الصحيح

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

٦٠٠،٠٠٠ ريال ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ‌ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع:

البيعة.. ونصب الوالي..

بيعة أهل البصرة علياً ×:

وبعد انتهاء حرب الجمل ودخول علي «عليه السلام» البصرة بايعه أهلها.. قال الطبري:

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: بايع الأحنف من العشى، لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد، ثم دخلوا جميعاً البصرة، فبايع أهل البصرة على راياتهم، وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة. فلما رجع مروان لحق بمعاوية.

وقال قائلون: لم يبرح المدينة حتى فرغ من صفين(1).

نص البيعة:

وقال الطبري أيضاً:

وكان في البيعة: عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكونن لسلمنا

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص541 و (ط الأعلمي) ج3 ص544 والفتنة ووقعة الجمل ص181.

سلماً، ولحربنا حرباً، ولتكفن عنا لسانك ويدك**(1)**.

ونقول:

البيعة بعد النكث:

لقد نكث أهل البصرة بيعتهم، وحاربوا أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولعل الكثيرين ممن لم يشارك في الحرب قد حدَّث نفسه بنكث البيعة، أو اعتبر نفسه غير ملزم بها. وإن منعته بعض الظروف أو بعض الإعتبارات من إعلان ذلك، أو حتى من الإسرار لبعض الناس من حوله..

فكانت هناك حاجة لتجديد البيعة على أهل البصرة، لأن عدم البيعة ربما يسهل على بعض الناس الذهاب يميناً وشمالاً، إذا وجد نفسه غير مطالب ببيعته من أحد من الناس..

على ماذا كانت البيعة؟!:

إن النص المذكور آنفاً، يدل على أن بيعتهم له كانت على شرطين:

أولهما: أن يكون هذا المبايع حرباً لحربهم «عليهم السلام»، وسلماً لسلمهم..

ويلاحظ: أنه لم يقل: حرباً لمن حاربنا، وسلماً لمن سالمنا.. فلم

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص543 و (ط الأعلمي) ج3 ص546.

يجعل الأشخاص هم المحور للولاء والخصومة، بل جعل المحور هو الأمن والخوف، والحرب والسلم، الذي يكون حاكماً ومهيمناً، ليكون المطلوب هو تأكيد السلم وإشاعته، وتقويته، ورفض الحرب، ومحاصرتها وإنهاؤها..

لأن السلم يشمل الجميع وكذلك الحرب. وليس المطلوب إنهاء الأشخاص وحربهم، ولا محبة الأشخاص لأجلهم.

الثاني: أن يكف عنهم لسانه ويده.. ولم يطلب منهم معونة ولا مالاً ولا مساعدة، ولا تأييداً لسياساتهم ولا أي شيء آخر..

لو بايعني مروان!!:

1 ـ روى أبو مخنف والمسعودي، عن هشام بن البريد، عن عبد الله بن مخارق، عن هاشم بن مساحق القرشي قال: حدثنا أبي: أنه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش، فيهم مروان بن الحكم، فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل ـ يعنون أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ ونكثنا بيعته من غير حدث، والله لقد ظهر علينا، فما رأينا قط أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فقوموا حتى ندخل عليه، ونعتذر إليه فيما صنعناه.

قال: فصرنا إلى بابه، فاستأذناه فأذن لنا. فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم. فقال «عليه السلام»:

انصتوا أكفكم، إنما أنا بشر مثلكم، فإن قلت حقاً فصدقوني، وإن قلت باطلاً فردوا عليَّ. أنشدكم الله! أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبض، وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟!

قلنا: اللهم نعم.

قال: فعدلتم عني، وبايعتم أبا بكر، فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين، وأفرق بين جماعاتهم.

ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده، فكففت ولم أهج الناس، وقد علمت إني كنت أولى الناس بالله، وبرسوله، وبمقامه.

فصبرت حتى قتل عمر، وجعلني سادس ستة، فكففت ولم أحب أن أفرق بين المسلمين.

ثم بايعتم عثمان، فطغيتم عليه وقتلتموه، وأنا جالس في بيتي، وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر.

فما بالكم وفيتم لهما، ولم تفوا لي؟!

وما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي؟!

فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: **(لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**(1).

فقال «عليه السلام»: لا تثريب عليكم اليوم، وإن فيكم رجلاً لو

---

(1) الآية 92 من سورة يوسف.

بايعني بيده لنكث بأسته. يعني: مروان بن الحكم[1].

2 - روى الشريف الرضي «رحمه الله»: أن الحسنين «عليهما السلام» تشفعا بمروان، وقالا لأبيهما: يبايعك مروان يا أمير المؤمنين.

فقال: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟![2] لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبَّته.

أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة. وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»[3].

قال المعتزلي: وروي هذا الخبر من طرق كثيرة[4].

---

(1) الجمل للمفيد ص416 و 417 و (ط مكتبة الداوري) ص222 وفي هامشه عن: شرح الأخبار ج1 ص392 - 393 وأمالي الطوسي ج2 ص120 - 121 ومثالب النواصب ج3 الورقة 55 وبحار الأنوار ج32 ص262 - 263. وراجع: نهج السعادة ج1 ص337 و 338 وقاموس الرجال ج10 ص48 و 49.

(2) وفي نسخة قبل قتل عثمان.

(3) نهج البلاغة الخطبة (بشرح عبده) ج1 ص123 و 124 رقم 73 وتذكرة الخواص ص390 وبحار الأنوار ج32 ص234 و 235 و 355 وشجرة طوبى ج1 ص130 وشرح نهج البلاغة للمتزلي ج6 ص146 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص36 وإعلام الورى ج1 ص340 .

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص146 وقاموس الرجال للتستري ج10

3 - روي [عن] أبي الصيرفي، عن رجل من مراد، قال: كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال، فقال: إن لي حاجة.

فقال «عليه السلام»: ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها، تطلب الأمان لابن الحكم؟!

قال: ما جئت إلا لتؤمنه.

قال: قد آمنته، ولكن اذهب وجئني به، ولا تجئني به إلا رديفاً، فإنه أذل له.

فجاء به ابن عباس مردَفاً خلفه كأنه قرد، قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: تبايع؟!

قال: نعم، وفي النفس ما فيها.

قال: الله أعلم بما في القلوب.

فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه عن كف مروان فنترها، فقال: لا حاجة لي فيها، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بأسته.

ثم قال: هيه يا بن الحكم، خفت على رأسك أن يقع في هذه المعمعة، كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه

ص36.

الأمة خسفاً، ويسقونهم كأساً مصبرة[1].

لا أبايعك حتى تكرهني:

4 - وروى أبو مخنف بإسناده قال: ارتث مروان يوم الجمل، فصار إلى قوم من عنزة، وبعث إلى مالك بن مسمع يستجيره، فأشار عليه أخوه مقاتل أن يفعل، فأجاره وسأل علياً له الأمان فآمنه، وعرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة، فأبى وقال: ألم تؤمني؟!

قال: بلى.

قال: فإني لا أبايعك حتى تكرهني.

قال علي: فإني لا أكرهك، فوالله أن لو بايعتني بأستك لغدرت.

ثم إنه مضى إلى معاوية[2].

ونقول:

---

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص197 و 198 والهداية الكبرى ص151 وبحار الأنوار ج41 ص298 وإثبات الهداة ج5 ص4 وراجع: ومدينة المعاجز ج2 ص39 ومشارق أنوار اليقين ص76 وإرشاد القلوب.

(2) راجع: الجمل وصفين والنهروان لأبي مخنف (جمعه وحققه: حسن حميد السنيد) ص207 وأنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص173.

فإنه أذل له:

إن علياً «عليه السلام» لا يريد إذلال الناس، ولا التشفي بهم، بل يريد حفظ حرماتهم، وصيانة كراماتهم.

ولكن حين يصبح الإنسان طاغوتاً، وجباراً في الأرض، فلا بد من إعادته إلى حجمه الطبيعي رأفة به، وحرصاً عليه، أو لأجل تأديبه، لكف شره عن الناس، ولأجل ذلك قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: التكبر على من تكبر عليك تواضع[1].

وروي: أن التكبر على المتكبر صدقة[2].

وقد سأل المنصور الإمام الصادق «عليه السلام»، وقد ضايقته ذبابة: لم خلق الله الذباب؟!

فقال «عليه السلام»: ليذل به الجبابرة[3].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص197 وتذكرة الموضوعات للفتني ص191 وكشف الخفاء للعجلوني ج2 ص185 .

(2) كشف الخفاء للعجلوني ج1 ص313 والتفسير الكبير للرازي ج15 ص4 وتفسير الآلوسي ج9 ص61.

(3) مناقب آل أبي طالب ج3 ص375 وتهذيب الكمال ج5 ص92 و 93 وسير أعلام النبلاء ج6 ص264 والوافي بالوفيات ج11 ص100 ومطالب السؤول ص440 وكشف الغمة ج2 ص370 ومعارج الوصول ص136 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص915 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج12 ص275 عن: حلية الأولياء (ط السعادة بمصر) ج3

وهذا بالذات ما حدث لمروان.

توضيح حول الرواية الأخيرة:

إن الذي يبدو لنا بقرينة الرواية الأخرى السابقة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي أبى قبول بيعة مروان، فخاف مروان أن يكون مالك بن مسمع لم يأخذ له الأمان، ولو من جهة أنه أخطأ في فهم كلام علي «عليه السلام».

أو أن مروان قد اتهم علياً «عليه السلام» بالرجوع عن أمانه، فلما سأله عن الأمان وأخبره أنه لا يزال قائماً أراد أن يلعب هذه اللعبة بأن يدفع أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى إكراهه على البيعة، ربما لأنه يريد أن يدخرها للتشنيع عليه، بادعاء أنه كان قد أكره الناس على بيعته، كما زعمه طلحة والزبير.. وهذا يسهل عليه النكث مرة أخرى.

فعرف أمير المؤمنين «عليه السلام» ما اراد، وأعلمه أنه عارف بأنه سوف ينكث مرة أخرى.

وهذا هو ما أشار إليه الرجل المرادي، فإن قول مروان: في

ص198 والتذكرة لابن الجوزي (ط الغر) ص353 والمختار في مناقب الأخيار للشيباني (نسخة مكتبة الظاهرية بدمشق) ص17 ونور الأبصار الشبلنجي (ط العثمانية بمصر) ص200 وأخبار الدول وآثار الأول للقرماني (ط بغداد) ص112 ومطالب السؤول (ط طهران) ص82 والفصول المهمة لابن الصباغ (ط الغري) ص206.

النفس ما فيها توطئة لإدعاء الإكراه، لتسهيل النكث..

فاستدرجه أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى مد يده، فرفضها «عليه السلام» ليخبر الناس أنه عارف بنوايا مروان.

فانظر إلى شيطنة مروان، وإلى دقة فهم أمير المؤمنين «عليه السلام» ما يهيء له من مؤامرات.

دوافع التوبة والاعتذار:

ثم إن ما نعلمه من أحوال الناس حين يهزمهم عدوهم، ويكون هو الحاكم في البلاد والعباد، هو أنهم يخشون أن يقعوا في يده، وينتقم منهم، فيبادرون إلى دفع شره بإظهار التوبة، والندم، والخضوع والبخوع، والرجاء والإلتماس، ويرسلون بالشفعاء إليه، ليمهدوا لهم سبيل الدخول إليه، ويكون أخوف الناس من بطش ذلك العدو، هم زعماء التمرد وحملة راية الخلاف عليه، والمبادرون لإيصال الأذى إليه..

ولكن ما نجده هنا: هو أن هؤلاء الذين كانوا هم رواد الخلاف على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزعماء الحرب ضده. لم يندفعوا إلى أن يخطبوا وده خوفاً من بطشه.. بل الذي دعاهم إلى ذلك: هو عظيم إحسانه إليهم، وحسن تجاوزه عن إساءاتهم، رغم نكثهم بيعته بلا سبب، ومحاربتهم إياه ظلماً وبغياً وعلواً، وإفساداً في الأرض، فيقابلهم، بأكرم سيرة، وأحسن عفو..

إنما أنا بشر مثلكم:

والأغرب والأعجب من ذلك: أنه «عليه السلام» لم يكلفهم حتى أن يصرحوا بعذرهم، وأن يجهروا بندمهم، ولم يرد لهم بذل ماء وجوههم، فتولى هو عنهم الكلام، وأعطاهم الحق بمناقشته، والإعتراض عليه. مصرحاً لهم بما يسهل عليهم المبادرة إلى هذا الإعتراض، وهو: أنه «عليه السلام» بشر مثلهم.

ثم أسهب «عليه السلام» في بيان تاريخ يظهر ما وقعوا فيه من تناقض. حيث عاملوه بضد ما عاملوا به غيره ممن سبقوه. وسألهم عن تفسير هذا التناقض، ولم يزد على ذلك.

فطلبوا منه أن يصفح ويعفو، فصفح وعفا «صلوات الله تعالى عليه».

وهنا بيت القصيد، فإنه عفو بالغ المرارة، شديد الألم، بل هو أشد من ضرب السيف القاطع، لأنه يعفو، وهو يعلم: أن بينهم من ليست لديه نية الوفاء، بل هو لو بايعه بيده لنكث بسبَّته، يعني مروان بن الحكم..

كنت أولى الناس بالناس:

وقد قرر «عليه السلام» هذه الجماعة الأموية المحاربة له بأمور حساسة جداً، ليسمع الناس أجوبتها من أعدائه أنفسهم، فلا تكون مجرد دعاوى منه لنفسه. فأقروا له بها.. ولم يجدوا سبيلاً لتبرير ظلمهم له

فيها.. هذا الظلم الذي تكرر.. وهو يعلم أنه سيتكرر منهم مرة بعد أخرى فيما يأتي..

وكان أول سؤال وجهه إليهم: أن قال لهم: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قبض كنت أنا أولى الناس به، وبالناس من بعده؟!

فقالوا: اللهم نعم..

ويلاحظ: أنه قد أطلق سؤاله من جهتين، فهو:

أولاً: لم يحدد موارد هذه الأولوية، هل هو أولى الناس به كوصي؟! أو أولى الناس بمقامه «صلى الله عليه وآله»، بأن يحكمهم؟! أو أولى بهم من أنفسهم في كل شيء، كولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم في ذلك؟!

ثانياً: لم يحدد من أين جاءته هذه الولاية وإلى ماذا يستند في إثبات هذه الأولوية لنفسه؟! هل يستند إلى الآيات القرآنية، كآية: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)(1). ونحوها من الآيات، أو إلى الحديث النبوي الشريف في يوم الغدير وغيره؟! أو ماذا؟!

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

إنها كف يهودية:

أما قوله «عليه السلام» عن كف مروان التي يريد أن يبايعه بها: «إنها كف يهودية»، فلعل المراد به: أنها كف رجل له طبيعة اليهود في الغدر والنكث، ونقض العهود والمواثيق..

أو أنها كف رجل تعلم هذا الأمر من اليهود، وأخذ عنهم، لأن ذلك ـ بنظره ـ من الأمور التي يحسن تعلمها والتعامل بها.

ومن المعلوم: أن بعض الصحابة كان يتعلم عند اليهود في مدارس ماسكة في المدينة، ولا ندري إن كان مروان من هؤلاء..

لنكث بإسته:

وهنا سؤال يقول: هل يمكن أن يتفوه علي «عليه السلام» بالكلمات النابية التي هي أسم للعورة: القبل والدبر. فإن ذلك إن كان محرماً شرعاً فكيف يخالف «عليه السلام» الشرع الشريف؟! وإن كان أمراً قبيحاً فكيف يصدر القبيح من الإمام المعصوم؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن بعض الكلمات تكون فبيحة في وقت، ثم تستبدل بغيرها عبر الأزمان، أو يقل تداولها، وتصبح من المفردات التي لا يعرف معناها إلا الأولون.

وبعض الكلمات قد لا تكون قبيحة في زمان، ثم تصير قبيحة في زمان آخر..

وقد استعمل العرب كلمات تعبر عن معان ترتبط بعلاقة الرجل والمرأة، أو تدل على العورة وليست هي قبيحة عندهم..

فمثلاً كلمة فرج، وكلمة هن، وكلمة نكاح، وكلمة وطء، وكلمة دبر وغير ذلك لا تعد مما يستقبح التصريح به، ولذلك وردت في كلمات العلماء والأدباء والمصنفين، وفي الحديث، والقرآن..

فلعل كلمة أست أيضاً لم تكن في ذلك الوقت من الكلمات التي يستقبح التصريح بها.

ثانياً: لو سلمنا: أن هذه الكلمة مما يستقبح التصريح به، لكن لم يثبت أنها هي قد قالها «عليه السلام» في هذه المناسبة لوجود روايات أخرى تقول: إنه «عليه السلام» قال: «لنكث بسبته»، وهذه الكلمة لا يستقبح التصريح بها، فلعلها حرفت واستبدلت بكلمة أخرى، لأجل التشنيع على أمير المؤمنين «عليه السلام».. مع ملاحظة مدى التقارب في رسم الخط لهاتين الكلمتين.

إمرة كلعقة الكلب أنفه:

ثم إنه «عليه السلام» أخبر عن أمر غيبي، وهو: أن لمروان إمرة قصيرة، كلعقة الكلب أنفه، وهو تعبير رائع، يشير فيه إلى قصر مدة تلك الإمرة، ويشير أيضاً إلى درجة المتعة بهذه الأمرة، ولعله يشير ثالثاً إلى الحديث الذي يقول: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»، أو إلى أن في مروان بعض الخصال الذميمة التي تكون في الكلب..

ثم تحدث عن إمرة ولده الأكبش الأربعة، وما يصيب الأمة منهم، وقد تحقق ذلك كله..

نصب الولاة على البلاد:

قال ابن حبان: «وولى على البصرة: عبد الله بن عباس، وولى الولاة في البلدان. وكتب إلى المدن بالقرار والطاعة»**(1)**.

علي × وزياد:

وقال الطبري:

وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة، قعد.

وكان في بيت نافع بن الحارث.

وجاء عبد الرحمن بن أبي بكرة في المستأمنين مسلماً بعد ما فرغ علي من البيعة، فقال له علي: وعمُّك المتربص المقاعد بي!

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنه لك لواد، وإنه على مسرتك لحريص، ولكنه بلغني أنه يشتكي، فأعلم لك علمه ثم آتيك.

وكتم علياً مكانه حتى استأمره، فأمره أن يعلمه فأعلمه.

فقال علي: امش أمامي فاهدني إليه، ففعل.

فلما دخل عليه قال: تقاعدت عني وتربصت ـ ووضع يده على صدره، وقال: هذا وجع بين ـ فاعتذر إليه زياد، فقبل عذره واستشاره.

---

(1) الثقات لابن حبان ج2 ص284.

وأراده علي على البصرة، فقال: رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس؛ فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا، وسأكفيكه وأشير عليه.

فافترقا على ابن عباس، ورجع علي إلى منزله[1].

وقال الطبري أيضاً:

وأمَّر ابن عباس على البصرة، وولى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع منه، فكان ابن عباس يقول: استشرته عند هنة كانت من الناس، فقال: إن كنت تعلم أنك على الحق، وأن من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغي، وإن كنت لا تدري أشرت عليك بما ينبغي كذلك.

فقلت: إني على الحق، وإنهم على الباطل.

فقال أضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك، فإن كان أعز للإسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه. فاستكتبته، فلما ولى رأيت ما صنع، وعلمت أنه قد اجتهد لي رأيه.

وأعجلت السبائية علياً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم، ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه، وقد كان له فيها مقام[2].

وقال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص543 و (ط الأعلمي) ج3 ص546.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص543 و 544 و (ط الأعلمي) ج3 ص546.

وروى الواقدي عن رجاله قال: لما أراد أمير المؤمنين «عليه السلام» الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن عباس وأوصاه، فكان في وصيته له أن قال:

يا ابن عباس، عليك بتقوى الله، والعدل بمن وليت عليه، وأن تبسط للناس وجهك، وتوسع عليهم مجلسك، وتسعهم بحلمك، وإياك والغضب؛ فإنه طيرة الشيطان، وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله.

واعلم أن ما قربك من الله فهو مباعدك من النار، وما باعدك من الله فمقربك من النار. واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين[1].

علي × لم يول زياداً:

وتقول بعض النصوص: إن علياً «عليه السلام» قد ولى زياد بن أبيه على فارس[2].

---

(1) الجمل للمفيد ص420 و (ط مكتبة الداوري) 223 و 224 وفي هامشه عن: الإمامة والسياسة ج1ص85 و 86 ونهج البلاغة الكتاب رقم 76 وقارن بالأخبار الطوال ص152 ومروج الذهب ج2 ص381.

وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص221 ونهج السعادة ج8 ص70

(2) راجع: رجال الشيخ ص65 والكامل في التاريخ ج3 ص443 حوادث سنة 44 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص157 والإيضاح

لكن قد أوضح النص الأول الذي نقلناه عن الطبري: أن علياً «عليه السلام» لم يول زياداً البصرة. كما في بعض النصوص(1).

ليقال: كيف يولي «عليه السلام» على الناس رجلاً يعرف بأنه ابن زنا؟!

غير أننا نقول:

إن نفس تصريح الرواية: بأنه «عليه السلام» أراد زياداً على البصرة، فنصحه برجل من أهل بيته يسكن إليه الناس.. يبقي الإشكال وارداً، إذ كيف يطلب «عليه السلام» ممن يقال عنه: إنه ابن زنا أن يتولى البصرة. لأن هذا العرض يحمل معه احتمالات قبول زياد به..

ويمكن أن يقال في الجواب:

أولاً: إنه «عليه السلام» متعبد بظاهر الشرع، والحكم الشرعي يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقد ولد زياد على فراش عبيد،

لابن شاذان ص546 والغارات للثقفي ج2 ص646 و 926 و 927 وبحار الأنوار ج32 ص501 وج33 ص490 و 518 ونهج السعادة ج5 ص352 و 354 و 357 وفتح الباري ج12 ص46 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص525 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص43 وج16 ص181 والأخبار الطوال ص219 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص175 وأسد الغابة ج2 ص216.

(1) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص256 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص171.

فلا بد أن ينسب إليه. ولا عبرة بغير ذلك في مقام ترتيب الأحكام..

ثانياً: إن المانع من تولية ابن الزنا: هو أن توليته تعني أن يؤم من يتولى عليهم في صلاتهم، ولا تصح إمامة ابن الزنا.

ومن المعلوم: أن هذا المحذور لا يكفي للمنع من التولية، لأن هذا الأمر ليس من شؤون الولاية، التي يجعلها له النبي «صلى الله عليه وآله» والإمام «عليه السلام»، بل هو حكم فرعي، وتكليف خاص موجه لأشخاص الناس في أمر صلاتهم، وبشرط معرفتهم بهذا الأمر، فمن عرف بأنه ابن زناً لم يجز للعارف أن يأتم به. ومن لم يعرف ذلك، فهو معذور، ولا شيء عليه..

ثالثاً: إن الصلاة خلف الوالي ليست إلزامية، كما أن صلاة الجماعة ليست من وظائفه، ولا هي من شؤون ولايته. وإنما الناس هم الذين يختارون الإمام لأنفسهم..

رابعاً: يمكن للإمام أن يولي على الناس شخصاً ويولي لإمامة الصلاة شخصاً آخر.

ولعل هذا هو ما كان علي «عليه السلام» يريد أن يفعله.

ويؤيد إمكانية الفصل بينهما: أن هذا الأمر هو ما حصل بالفعل، فإن ابن عباس لم يكن هو الذي يتولى الصلاة، بل كان أبو الأسود هو الذي يتولاها. وكان زياد يتولى الخراج وبيت المال(1).

---

(1) راجع كتابنا: ابن عباس وأموال البصرة.

خامساً: لماذا يذهب علي «عليه السلام» إلى زياد ليطلب منه هذا الطلب؟! ولماذا لم يرسل إليه ليأتيه، فيعرض عليه ما يريد؟! وهل يستحق التكريم من يتقاعد عنه؟!

متى كان نصب الولاة؟!:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» ـ كما يقول ابن حبان ـ قد ولى الولاة في البلدان بعد فراغه من حرب الجمل.

ولكننا قلنا في الجزء الحادي والعشرين من هذا الكتاب في فصل: علي «عليه السلام» ونصب العمال: أن علياً «عليه السلام» قد نصب ولاته على البلاد بصورة تدريجية، مراعياً حال كل بلد فراجع..

أعجلت السبائية علياً ×:

وزعم الطبري: أن السبائية خرجوا من البصرة بدون إذن علي «عليه السلام»، فاضطر «عليه السلام» للإسراع بترك البصرة، وكان راغباً بالمقام فيها أكثر من ذلك..

ونحن لا نعرف لماذا يحتاج الناس بعد انتهاء الحرب إلى البقاء في البصرة؟! ولماذا يحتاج علي «عليه السلام» إلى أن يستبقيهم معه؟! ولماذا لا يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم وعوائلهم؟!

ولا ندري أيضاً ما الذي أراده السبائية من المبادرة إلى الخروج من البصرة؟! هل أرادوا الإنقلاب على أمير المؤمنين؟! أم أرادوا الهجوم على قوم من الناس؟! فمن هؤلاء الناس؟! وأين يسكنون؟! وما

ذنبهم؟!

ولماذا لم يصرح لنا الطبري ولا راويه بهذا الأمر الذي أرادوه؟!

والحقيقة هي: أن هذا من هملجات سيف، وفريقه من الكذَّابين، الذين يريدون التمهيد لتبييض وجه معاوية وحزبه، واتهام الفريق الذي ينسبونه إلى علي: بأنه هو الذي دبر لحرب صفين، كما دبر لحرب الجمل قبلها، ولحرب الخوارج بعد ذلك..

الثناء على المحسن لإحسانه:

وقد كتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة يقول:

«وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم، وأطعتم، ودعيتم، فأجبتم»**(1)**.

ونقول:

1 ـ لقد أوضح «عليه السلام»: أن ما جرى في حرب الجمل كان دفاعاً عن أهل بيت النبوة، أو هو على الأقل قد أنتج ما يدخل في هذا السياق في إشارة إلى أن المقصود كان إلحاق الضرر بأهل البيت «عليهم السلام»، ولو بمستوى تضييع الحق، والخروج ـ ولو مرة

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص3 والكافئة للشيخ المفيد ص28 وبحار الأنوار ج32 ص84 و 253 ونهج السعادة ج4 ص77 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص26 والجمل للشيخ المفيد ص216.

واحدة ـ عن سنة العدل. ليسقط بذلك مضمون آية التطهير، وينفك ارتباطها بهم، فيرتاح أهل الأهواء وطلاب اللبانات، حيث تتساوى الأقدام، ويصبح المعيار هو ما تفرضه قوة المال وقوة السلطان، وليس هدى الرحمن ومفاهيم وقيم القرآن.

نعم.. إن المستهدف هو إسقاط أطروحة علي وأهل بيته «عليهم السلام»، لا بما أنهم مجرد أقرباء للرسول «صلى الله عليه وآله».. ومن عشيرته، بل بما هم نتاج التربية النبوية والإلهية، حتى كانوا الأدلَّاء على الخير، ورواد الصلاح والإصلاح.. وبما هم حملة للشريعة، ومعدن العلم والفقه والفضل..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «أهل بيت نبيكم»، ولم يقل أهل بيت محمد «صلى الله عليه وآله».

2 ـ إن هؤلاء الناس بنصرهم إياه قد عملوا بطاعة الله سبحانه، فدل على أن الله هو الذي أوجب عليهم هذا النصر، وأمرهم به، ولم يكن هذا النصر لمجرد طاعة أمر علي «عليه السلام» بما هو شخص، ولا بما هو مجرد حاكم..

3 ـ لقد ألمح «عليه السلام» إلى ما تضمنته الآية المباركة: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**(1)، ليدل على أن نصرهم له قد جاء حفاظاً على النعمة التي أتمها الله

(1) الآية 3 من سورة المائدة.

تعالى عليهم بولاية علي «عليه السلام»، كما أوضحناه في بعض فصول هذا الكتاب. وحفظ النعمة من مفردات الشكر لها.

فهم قد حفظوا النعمة بهذا الجهاد، ودافعوا عن أهل بيت نبيهم الذين أتم الله تعالى بهم هذه النعمة. ولأجلها رضي سبحانه وتعالى الإسلام ديناً لعباده.

4 - إنه «عليه السلام» يعرف للمحسن إحسانه، وينوه به ويشجع الناس على التأسي به، ويقبح الإساءة ويلوم فاعلها، ويؤنبه بالمقدار الذي يستحقه، ويردعه عن معاودتها، ويردع غيره عن استسهال الوقوع فيما وقع به.

خطبة علي × في حفل التنصيب:

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال: لما استعمل أمير المؤمنين «عليه السلام» عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ثم قال:

معاشر الناس، قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فاعلموا أني أعزله عنكم، فإني أرجو أن أجده عفيفا تقيا ورعاً، وإني لم أولِّه عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر الله لنا ولكم.

فأقام عبد الله بالبصرة، حتى عمل أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى التوجه إلى الشام، فاستخلف عليها زياد بن أبيه، وضم إليه أبا

الأسود الدؤلي، ولحق بأمير المؤمنين «عليه السلام» حتى صار إلى صفين(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أرسى الحاكمية على قاعدة صلبه من شأنها أن تضبط حركتها في النطاق العملي بصورة تلقائية.. حيث اعتبر الحاكمية بمثابة تعامل عقدي بين الحاكم ورعيته، لأن حاكمية الحاكم ليست امتيازاً له، بل هي مجرد تقديم خدمة منه للرعية، تقوم على أساس بلورة الرأي السديد، والجهد والتدبير، ليتم التنفيذ بأدوات عملية توفرها الطاعة الرعوية..

وقد جاء التدخل العلوي ليلامس المفردات التدبيرية التي يقدمها الحاكم، فجعل المبادلة العقدية خصوص صنف أو نوع معين منها، ذي خصوصية تميزه عما عداه..

وهو ما كان ذا صفة تجعله متوافقاً مع غرض الشارع الحكيم، والخالق العليم، ورسوله الكريم، ولذلك قال «عليه السلام» لأهل البصرة عن ابن عباس: «فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله

---

(1) الجمل للمفيد ص420 و 421 و (ط مكتبة الداوري) ص224 ونهج السعادة ج1 ص409 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص273.

ورسوله».

وإنما أشرك الرسول هنا في الطاعة، لكي يكون في أيدي الناس ميزان يعرف به مدى التوافق بين ما يقدمه هذا الطرف، مع المعايير المراد مراعاتها، لكي لا تصبح الضوابط التي تنسب إلى الله تعالى خاضعة في تقديرها للإجتهادات، والأهواء والمصالح. بل يكون قول الرسول الكريم «صلى الله عليه وآله» هو الحكم والمرجع في ذلك..

إن زاغ الحاكم يعزل:

وينتج عن ذلك: أن زيغ الحاكم عن أداء ما تعهد به، أو أخلاله بالشروط المأخوذة عليه، يفقده حق المطالبة بالبدل، الذي يفترض بالرعية أن تقدمه له. فتصبح الرعية في حل من لزوم طاعته، وتوفير الأدوات العملية والإجرائية له.

وقد قرر أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا المعنى أيضاً. ولكنه شرطه على الناس: أن يعلموه هو «عليه السلام» بالأمر، فيكون هو الذي يعلن فقدان ذلك الوالي حق الطاعة، بسبب إخلاله بالشروط.

وذلك لأن ترك هذا الأمر للناس، من شأنه أن يفسح المجال لأصحاب الأهواء والطامحين، وطلاب اللبانات إلى انتهاز الفرص للوصول إلى مآربهم، ولو عن طريق التزوير والإدعاء الباطل على الحاكم..

ومن المعلوم: أن للحاكم كرامته أيضاً، وحقه ولا بد أن يحفظ له

هذا الحق، فلا يقضى عليه غيابياً، ومن دون تثبت فيما يدعي عليه، أو ينسب إليه..

فجعل حسم الأمر في ذلك إلى الإمام وهذا هو التدبير الحكيم، والصحيح والسليم.. ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «فإن أحدث فيكم، أو زاغ عن الحق فأعلموني، أعزله عنكم..».

علي × يظن خيراً بابن عباس:

وحين أراد «عليه السلام» أن يعرفهم بابن عباس لم يجزم لهم بأنه ورع وتقي وعفيف، بل اكتفى بالقول: إنه يظن فيه ذلك.. مع أنه حين يرسل الأشتر إلى مصر يكتب لهم: أنه آثرهم به على نفسه، ويقول: فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة، ولا كليل الحد.. وغير ذلك.

فهل كان «عليه السلام» مرتاباً باستقامة ابن عباس؟! مطمئناً إلى استقامة الأشتر؟!

ويمكن أن يجاب بالإيجاب، ربما لأنه يعرف أن الأشتر ملتزم بحرفية وصايا أمير المؤمنين «عليه السلام» له. لا يتجاوز أقواله، ولا يؤول أفعاله، بل يأخذها على ما هي عليه، كما يدل عليه قوله في رسالته إلى أهل مصر حين ولاه: «فإنه لا يقدم ولا يحجم ، ولا يؤخر

ولا يقدم إلا عن أمري»[1].

أما ابن عباس، فلعله يستفيد من اجتهاداته وآرائه التي يرى فيها صلاحاً، ويأمل لها نجاحاً أكثر مما ينبغي، فلا يمكن لعلي «عليه السلام» أن يأمن عليه الوقوع بالغلط، والدخول في الشبهة..

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص63 وبحار الأنوار ج33 ص595 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص156 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص366 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج7 ص53 وقال في هامشه: نهج البلاغة، الكتاب 38 والغارات ج1 ص266 عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر، والإختصاص ص80 عن عبد الله بن جعفر، وبحار الأنوار ج33 ص595 و 741 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص96 عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر، وتاريخ دمشق ج56 ص390 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص194.

الفصل

من البصرة.. إلى الكوفة..

خطبة الوداع:

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال: لما أراد أمير المؤمنين «عليه السلام» التوجه إلى الكوفة قام في أهل البصرة، فقال:

ما تنقمون علي يا أهل البصرة؟! ـ وأشار إلى قميصه وردائه ـ فقال والله إنهما لمن غزل أهلي.

ما تنقمون مني يا أهل البصرة؟! ـ وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته ـ فقال والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة، فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون، فأنا عند الله من الخائنين.

نحو الكوفة:

ثم خرج، وشيعه الناس إلى خارج البصرة، وتبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة.

ولما خرج وصار على غلوة (أي غلوة سهم) استقبل الكوفة بوجهه، وهو راكب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال:

الحمد لله الذي أخرجني من أخبث البلاد وأخشنها تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وأبعدها من السماء، بها مغيض الماء، وبها تسعة أعشار الشر، وهي مسكن الجن، الخارج منها برحمة والداخل إليها بذنب.

أما إنها لا تذهب الدنيا حتى يجيئ إليها كل فاجر، ويخرج منها كل مؤمن، وحتى يكون مسجدها كأنه جؤجؤ سفينة[1].

وقدم علي «عليه السلام» من البصرة إلى الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين[2].

أما ابن أعثم، فيقول:

فأقام علي بالبصرة بعد حرب الجمل أياماً قلائل، فلما أراد الرحيل عنها نصب في عسكره منبراً، ثم نادى في الناس فجمعهم،

---

(1) الجمل للمفيد ص422 و (ط مكتبة الداوري) ص224 و 225 وفي هامشه عن: الأخبار الطوال ص152 ونهج البلاغة ص55 ـ 56 خ13 ومعجم البلدان ج1 ص436 وبحار الأنوار ج32 ص245 ـ 246 ومن أراد شرح هذه الخطبة فليراجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص252 ـ 253 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج1 ص290 ـ 294.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي ط سنة1416 هـ) ج2 ص182 و 183 ونهج السعادة ج1 ص417 و 433 والأخبار الطوال ص152 والبداية والنهاية ج7 ص282 وصفين للمنقري ص3 وكتاب الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص490.

وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، وذكر من أمر القوم ما ذكر.

قال: فوثب إليه المنذر بن الجارود العبدي، فسأله عن أمر الفتن وغيرها، فأخذ علي في ذلك، يخبره من يومه ذلك إلى أن تقوم الساعة.

فذكر الفتن في مدينة مدينة، وكيف تخرب، ومن يتولى خرابها، وكم النفقة تكون، وعلى من تكون في المشرق والمغرب ـ فتركنا ذكرها لطولها ـ.

ثم قال في آخر كلامه: يا منذر ـ يعني المنذر بن الجارود العبدي ـ إنه لن تقوم الساعة إلا على أشرار خلق ربك، وذلك في أول يوم من المحرم يوم الجمعة، فافهم عني يا منذر ما نبأتك به، ولم أكتمه عن غيرك ـ والله ولي الإحسان.

اللهم صل على سيدنا محمد الكريم في الحسب، الرفيع في النسب، سليل عبد المطلب، وسيد العجم والعرب، وسلم تسليماً كثيراً.

ثم نزل عن المنبر، وأمر أصحابه بالرحيل، وانصرف إلى الكوفة منصوراً(1).

ونقول:

علينا أن ننبه على بعض الأمور هنا فيما يلي:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص343 و (ط دار الأضواء) ج2 ص488.

من مالي، ومن غزل أهلي:

علينا أن نفهم كلام علي «عليه السلام» هنا عن الأموال، وفق السياق التالي:

1 ـ إن أول ما يطالعنا في خطبة علي «عليه السلام» في وداع أهل البصرة ـ وهي كلمات يسيرة لا تزيد على سطرين ـ هو حديثه عن الأموال وعن الخيانة فيها. فإن أول ما يرواد أذهان الناس، حين يرون الحاكم ويذكرونه في حضوره، أو في غيابه هو سيطرته على الأموال، وحرمانهم منها، وتجلي الرغبات في مشاركته فيها.

2 ـ لقد رأى أهل البصرة حكاماً وولاة احتجنوا من الأموال مئات الألوف، بل ألوف الألوف، وقد خصوا بشطر وافر منها أقاربهم، وأعوانهم، ومحبيهم..

3 ـ إن هذا البلد ـ أعني البصرة ـ قد كان مركزاً لانطلاق الجند إلى فتح البلاد لأولئك الحكام، وتمكينهم من أهلها، والإستيلاء على ما فيها من أموال منقولة، وغير منقولة، وتسليطهم على البشر، وعلى الحجر والمدر، والشجر والثمر. فكان على اتصال مباشر بالأموال وبأهلها. فلا بد من تسجيل موقف واضح من هذا الأمر بالذات، حتى لا يظن الناس أن كل ما يقوله ويفعله أمراؤهم هو من الدين، وموافق للشرع.

4 ـ إنه «عليه السلام» استهل كلامه بسؤال أهل البصرة عما ينقمونه عليه، لأنه كان يعلم: أنهم لا يملكون جواباً على هذا السؤال،

ولكنه يريد أن يهيئهم ذهنياً للقيام باستعراض دقيق لتاريخه معهم، وتحفيز أذهانهم للتدقيق في كل حدث يمر فيها، وعرضه على المعايير الشرعية والإنسانية، والقيم الأخلاقية.

5 ـ ثم أشار إلى قميصه وردائه، وقال: والله، إنهما من غزل أهلي. فدلهم بذلك: على أنه لم يكلفهم ولا كلف غيرهم من أهل الإسلام بذل جهد من أجله، ولا أن يصرفوا وقتاً في معونته، أو في خدمته، بأجر كان ذلك، أو بغير أجر، لأن باب الإحتمالات والتوهمات يبقى مفتوحاً، فلعل أحداً منهم، أو من غيرهم يتوهم أن الجهد قد بذل بلا مقابل، وإن كان بمقابل وأجر، فلعل المحاباة قد حسمت من ذلك الأجر جزءاً، ولأجل ذلك صرح بأن ثوبه كان من غزل أهله..

كما أن النفقة التي منها يقتات أو يستعين بها على قضاء حاجاته المختلفة ليست من بيت المال، ولا هي من هبات الناس، أو هداياهم إليه.. ولا يظن أنه قد خضع للمراعات والمحاباة بأي وجه.. لأن هذه النفقة هي من غلته بالمدينة، فهي نتاج جهده، وعرق جبينه..

6 ـ فليقارن الناس بعد هذا كيفما شاؤوا بينه وبين أسلافه، وليتخذوا من هذا معايير للظلم وللعدل، وللطمع وللزهد، وللاستئثار وللإيثار..

7 ـ ويبقى السؤال هنا: عن مراده «عليه السلام» بقوله: «فإن خرجت من عندكم بأكثر مما ترون، فأنا عند الله من الخائنين»!!

إذ كيف تتحقق الخيانة إذا خرج «عليه السلام» بما زاد على ما

لبسه من غزل أهله، وعلى نفقته التي جاء بها من غلته بالمدينة. وهل لو أن أحداً أهداه هدية، أو لو أن أحداً حاباه في ثمن حصير، أو أعانه على غزل ثوب يكون «عليه السلام» عند الله من الخائنين..

ونجيب:

بأن الأمور لا تقاس كلها بمعيار واحد، فهناك حيثيات كثيرة لا بد من ملاحظتها في كل قيمة، ومقارنة. فمثلاً ورد في الشرع الشريف: ركعتان يصليهما العالم خير من سبعين ركعة يصليها العابد[1]. وفي رواية: ألف ركعة[2].

وورد أيضاً: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[3]. وفي رواية: أربعين ذنباً[1].

---

(1) راجع: عدة الداعي ص66 وبحار الأنوار ج2 ص25.

(2) راجع: من لا يحضره الفقيه ج4 ص367 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص441 ومستطرفات السرائر ص620 وعوالي اللآلي ج4 ص73 وبحار الأنوار ج74 ص57.

(3) راجع: الكافي ج1 ص47 وسعد السعود ص89 وبحار الأنوار ج75 ص193 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص454 وج5 ص376 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج3 ص60 وج7 ص276 وفيض القدير ج6 ص480 وتفسير القمي ج2 ص146 وتفسير السمرقندي ج3 ص55 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص90 والعلل لابن حنبل ج3 ص85 وسير أعلام النبلاء ج8 ص435 .

وعلى هذا الأساس نقول:

إن الإمام هو العالم والمربي والحافظ للأمة، والأمين على دين الناس، وعلى دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وعلى أخلاقهم، ويريد أن يوصلهم إلى الله تعالى، وأن يطهرهم ويزكيهم، ويؤدبهم ويعلمهم، وأن يكون أسوة وقدوة لهم في كل ما ينوبهم وما يهمهم، فإذا كان هذا هو الإمام، فإن المطلوب منه سيكون أكثر من المطلوب من غيره، فيجب عليه ترك كثير من الأمور التي تحل له لو لم يكن إماماً، ولا قائداً، ولا معلماً، ولا هادياً، ولا مربياً، ولا.. ولا.. ولا..

ولو أنه لم يلزم نفسه بذلك، فلا يكون أهلاً لحمل الأمانة الإلهية، بل يكون خائناً لعهده، حائداً عن الصراط الذي ينبغي أن يسير عليه، تاركاً لما يطلب منه، مقصراً في القيام بما عهد إليه..

أخبث البلاد، وأخشنها تراباً:

1 - وحين وصف البصرة، بتلك الأوصاف الممجوجة، لعله أراد الإشارة إلى سوء اختيار وعدم سلامة مزاج وذوق من اختارها للسكنى، وهو يرى ما يراه فيها من عيوب، تنفر منها طباع البشر. لا

---

(1) راجع: الجامع الصغير ج1 ص614 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج10 ص152 وفيض القدير ج3 ص615 وتاريخ بغداد ج1 ص253 وتاريخ مدينة دمشق ج56 ص118 وميزان الإعتدال ج1 ص95 وج3 ص477 ولسان الميزان ج1 ص166 وج5 ص68.

سيما وأن الموقع

الذي تجتمع فيه هذه المساوئ يسرع إليه الخراب، بسبب استيلاء الماء عليه، وسرايته إلى مختلف المواقع، وحمله الأدواء، والأسواء والروائح الكريهة، وغير ذلك إلى أكثر الأشياء التي يصل إليها..

2 ـ ومن يسكن في بلاد هذه حالها، فإنه لا يسلم من مثل هذه السلبيات، وربما تتنامى هذه السلبيات، وتؤثر على الفكر والسلوك، والأخلاق، وما إلى ذلك.

ولعل هذا يلقي الضوء على قوله «عليه السلام»: «وبها تسعة أعشار الشر».

3 ـ وربما تكون سكنى الجن لها، لسبب أو لآخر، من أسباب زيادة الشر فيها، حيث يكثر الجن من التدخل في حياتهم، والعبث المثير لهلع الصبيان، وخوف النساء، وإفساد حياة الناس، والتأثير على ضعفاء العقول والنفوس منهم..

الإستقبال في الكوفة:

ماجيلويه، عن عمه، عن الكوفي، عن سفيان الجريري، عن علي بن الحزور، عن ابن نباته قال: لما أقبل أمير المؤمنين «عليه السلام» من البصرة تلقاه أشراف الناس، فهنوه وقالوا: إنا نرجوا أن يكون هذا الامر فيكم، ولا ينازعكم فيه أحد أبداً.

فقال: هيهات ـ في كلام له ـ أنى ذلك، ولماّ تُرمونَ بالصلعاء.

قالوا: يا أمير المؤمنين وما الصلعاء؟!

قال: يؤخذ أموالكم قهراً فلا تمنعون (فلا تمتنعون «خ ل»)[1].

ونقول:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

الصلعاء: الأرض التي لا تنبت، والصليعاء: الداهية والأمر الشديد، أو السوأة الشنيعة البارزة المكشوفة[2].

ونضيف ما يلي:

إن واقعية أمير المؤمنين «عليه السلام» تحتم عليه أن لا يكتفي بشكر الناس على تمنياتهم ببقاء الحكومة في أيدي أهل البيت «عليهم السلام»، بل هو يريد أن يعلم الناس بما ينتظرهم من مصاعب، وبلايا، ويقول لهم: إن الأمور سوف لا تبقى على هذا الحال.

مع أن غير علي «عليه السلام» قد لا يستسيغ أن يخبر الناس بما يدل على خروج الأمر من يده، حتى لو كان يعلم ذلك.. بل يبقيهم على تفاؤلهم، ويحفظ لهم تعلقهم به، ويبقيهم على غفلتهم، ولا يعكر عليهم صفو عيشهم، بما يذكر لهم من مصائب وبلايا تحيق بهم..

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد أخبر الناس في هذا الوقت

---

(1) معاني الأخبار ص167 و 168 وبحار الأنوار ج32 ص229 عنه.

(2) راجع: بحار الأنوار ج32 ص229.

بالذات ليس فقط بخروج الأمر من يد أهل البيت «عليهم السلام»، بل زاد على ذلك إخبارهم بما يؤذي أرواحهم، ويثير مشاعر الخوف فيهم، ويكبت فيهم كل معنى للسعادة، والسكينة ربما لأنه يريد لهم أن يحفظوا علاقتهم بالله، وأن يقووا هذه العلاقة، ليكون الله تعالى هو الملاذ لهم في البلاء، والعون لهم في الشدائد..

هل الناكثون مشركون؟!:

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أن أمير المؤمنين لما دنا إلى الكوفة مقبلاً من البصرة، خرج الناس مع قرظة بن كعب يتلقونه، فلقوه دون نهر النضر بن زياد، فدنوا منه يهنونه بالفتح، وإنه ليمسح العرق عن جبهته.

فقال له قرظة بن كعب: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أعز وليك، وأذل عدوك، ونصرك على القوم الباغين، الطاغين، الظالمين.

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي: إي والله، إنهم الباغون، الظالمون، الكافرون، المشركون.

فقال له أمير المؤمنين: ثكلتك أمك ما أقواك(1) بالباطل، وأجرأك على أن تقول ما لم تعلم. أبطلت يا ابن السوداء ليس القوم كما تقول لو كانوا مشركين سبينا وغنمنا أموالهم وما ناكحناهم ولا وارثناهم(2).

---

(1) يحتمل أن يكون الصحيح: «ما أقولك».

(2) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص32 وبحار الأنوار ج32 ص353 و

ونقول:

نلاحظ ما يلي:

من هو ابن السوداء؟!:

هناك جدل بين بعض الناس وبين الآخرين حول المقصود من ابن السوداء، فزعم بعضهم تارة: أنه عمار بن ياسر.

وقال آخرون: إنه عبد الله بن سبأ.

ولكن هذا النص يظهر: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أطلق هذا التعبير على عبد الله بن وهب الراسبي، رأس الخارجين على أمير المؤمنين «عليه السلام» بالنهروان، فلا حاجة إلى الذهاب في معرفة ابن السوداء يميناً ولا شمالاً، فلن نجد علماً صحيحاً إلا عند علي «عليه السلام» وأهل البيت «عليهم السلام» كما روي عنهم «عليهم السلام»..

وقد قتله أبو أيوب، وصعصعة بن صوحان ـ كما يقول المسعودي ـ وأتيا برأسه لعلي «عليه السلام»، فنظر إليه «عليه السلام» فقطب، وقال: شاه هذا الوجه! قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله**(1)**.

---

354 وراجع: مستدرك الوسائل ج11 ص58.

(1) مروج الذهب ج3 ص47.

وقد أوضح هذا النص الذي نحن بصدد الحديث عنه: أنه «عليه السلام» قد تعجب من قوته (أو قوله) بالباطل، ومن جرأته على القول بما لا يعلم.

الإستقبال والتهنئة:

وقد رأينا كيف استقبل والي الكوفة ـ وهو قرظة بن كعب ـ ومعه أهل الكوفة سيد المسلمين إلى مسافة بعيدة، وهنأوه على النصر والفتح، ولم نجده «عليه السلام» يعترض عليهم في ذلك..

فدلنا ذلك: على رجحان القيام بأمثال هذه الأمور، لأن في ذلك إعزازاً للدين، وتعظيماً لأهل الكرامة، وكبتاً للمبطلين، والمناوئين للحق وأهله.. فجزى الله من فعل ذلك من أهل الكوفة خير جزاء وأوفاه..

جرأة الراسبي على الله:

وقد أظهرت شدة علي «عليه السلام» في مواجهة الراسبي: أن الراسبي قد ارتكب في قوله هذا أمراً عظيماً وفادحاً، لأنه:

أولاً: قد أقدم على القول بما لا يعلم أمام من لو سكت عنه لفهم الناس أن هذا التصرف حلال ومشروع، ولكان قد تجرأ على ما هو أشد ضرراً، وأعظم خطراً..

ثانياً: إن الموضوع الذي خاض فيه كان بالغ الخطورة، لأنه قد حكم على أمة من الناس بالخروج عن ملة الإسلام بالكلية.

ومعنى هذا:

ألف: أنه يجوز أن تسبى نساؤهم، وفي هذا انتهاك أعراض لا يصح انتهاكها.

ب: أن تغنم أموالهم.

وهذا معناه: استحلال التصرف فيها لمن لا يجوز له ذلك..

ج: أنه لا يجوز تزويجهم والتزوج منهم، لأن تزويجهم هذا معناه: تعريض النساء المسلمات للزنا بهن من قبل أناس مشركين..

د: إن التوارث معهم معناه: تسليطهم الناس على أموال لا يجوز تسليطهم عليها، والإستيلاء على أموالٍ لا يصح الإستيلاء عليها..

هـ: إن الحكم بشركهم يستتبع جواز، بل وجوب إجراء أحكام أهل الشرك عليهم، من حيث وجوب قتالهم، ونحو ذلك..

وهذا غير صحيح كما أوضحه علي «عليه السلام».

عودة الظافر:

1 ـ عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره قالوا: لما قدم علي بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين، وقد أعز الله نصره، وأظهره على عدوه، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة، وفيهم قراؤهم وأشرافهم، فدعوا له بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين، أين تنزل؟! أتنزل القصر؟!

فقال: لا، ولكني أنزل الرحبة.

فنزلها، وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وقال:

«أما بعد.. يا أهل الكوفة، فإن لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا. دعوتكم إلى الحق فأجبتم، وبدأتم بالمنكر فغيرتم. ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله. [فأما] في الأحكام والقسم، فأنتم أسوة من أجابكم، ودخل فيما دخلتم فيه.

ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل.

فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، والآخرة ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة.

اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

الحمد لله الذي نصر وليه، وخذل عدوه، وأعز الصادق المحق، وأذل الناكث المبطل.

عليكم بتقوى الله، وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه، من المنتحلين المدعين، المقابلين إلينا، يتفضلون بفضلنا، ويجاحدونا أمرنا، وينازعونا حقنا، ويدافعونا عنه. فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غياً.

ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال، فأنا عليهم عاتب، زار. فاهجروهم، وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة».

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي ـ وكان صاحب شرطته ـ فقال: والله إني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً. والله لئن أمرتنا لنقتلنهم.

فقال علي: سبحان الله يا مال، جزت المدى، وعدوت الحد، وأغرقت في النزع!

فقال: يا أمير المؤمنين، لبعض الغشم أبلغ في أمور تنو بك من مهادنة الأعادي.

فقال علي: ليس هكذا، قضى الله يا مالِ قتل النفس بالنفس، فما بال الغشم؟!

وقال: **(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)**(1).

والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك، فقد نهى الله عنه، وذلك هو الغشم.

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي ـ وكان ممن تخلف عنه ـ فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة، بم

---

(1) الآية 33 من سورة الإسراء.

قتلوا؟!

قال: «قتلوا شيعتي وعمالي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي، «رحمة الله عليه»، في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث كما نكثتم، ولا نغدر كما غدرتم.

فوثبوا عليهم فقتلوهم، فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة إخواني أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا علي، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي، فقتلتهم بهم، أفي شك أنت من ذلك؟!

قال: قد كنت في شك، فأما الآن فقد عرفت، واستبان لي خطأ القوم، وأنك أنت المهدي المصيب.

وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانياً، وقد شهد مع علي ـ على ذلك ـ صفين، ولكنه بعد ما رجع كان يكاتب معاوية، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة، وكان عليه كريماً.

ثم إن علياً تهيأ لينزل، وقام رجال ليتكلموا، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا.

2 ـ روى نصر: أبو عبد الله سيف بن عمر، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة: أن علياً لما دخل الكوفة قيل له: أي القصرين ننزلك؟!

قال: «قصر الخبال لا تنزلونيه». فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي.

3 - روى نصر، عن الفيض بن محمد، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: لما قدم علي الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل وصلى، ثم تحول، فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به.

فقال: «إن الله لا يستأثر بأحد من خلقه»، وقرأ: **(وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..)**[1].

قال: فلما لحق الثقل قالوا: أي القصرين تنزل؟!

فقال: «قصر الخبال لا تنزلونيه»[2].

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

إن الكوفة إنما استحدثت في زمن عمر بن الخطاب، وبنى الولاة فيها القصور التي سكنها أولئك الولاة، بالرغم من كل ما يُدَّعى من زهد للذين سبقوا علياً «عليه السلام» في الخلافة.

---

(1) الآية 28 من سورة البقرة.

(2) وقعة صفين للمنقري ص3 - 6 وراجع: الأمالي للمفيد ص127 - 129 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص3 و 102 وبحار الأنوار ج32 ص354 - 356 ونهج السعادة ج1 ص417 - 421 وراجع: المعيار والموازنة ص97 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص490 و 491.

علي × لا ينزل القصر:

ولكن علياً «عليه السلام» قد رفض من أول يوم أن ينزل القصور، لأنها ـ كما قال ـ من موجبات الخبال. لأن الخبال هو: الفساد في الأفعال، والأبدان والعقول. والنقصان، والهلاك، والسم القاتل[1].

وآثر «عليه السلام» أن ينزل ضيفاً على ابن أخته أم هاني.. وهو جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان فارساً شجاعاً، فقيهاً، وله شرف عظيم في قريش[2]. وهو أحد الخمسة الذين كانوا من قريش مع علي «عليه السلام» وهم: جعدة بن هبيرة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ومحمد بن أبي حذيفة، وابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي «صلى الله عليه وآله» أبو الربيع، ومحمد بن أبي بكر[3]. وكان مع معاوية ثلاث عشر قبيلة من قريش[4].

---

(1) أقرب الموارد ج1 ص256 مادة: خبل. وراجع: لسان العرب ج11 ص198 وتاج العروس ج14 ص189.

(2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص104.

(3) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج63 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص281 ومعجم رجال الحديث ج15 ص242 والصوارم المهرقة للتستري ص74.

(4) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج63 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص281 ومعجم رجال الحديث ج15 ص242 والصوارم المهرقة للتستري ص74.

ولا حاجة إلى التذكير بما لسكنى القصور من آثار سلبية على النفس، التي تستهويها القصور، فتركن إلى الدنيا، وتزين له البقاء فيها. وتصد عن التضحية بالنفس في سبيل الله، وتحبب للإنسان التقلب في نعيم الدنيا..

هذا عدا الآثار السلبية التي يتركها ذلك على الناس الضعفاء والمحرومين. الذين يرون حاكمهم ورئيسهم يتقلب في النعم، وهم محرومون منها.

وعلينا أن نجري مقارنة بين حياة علي «عليه السلام»، ونظرته إلى الدنيا وتعامله معها، وبين غيره ممن تُدَّعى لهم المقامات، وتنسب إليهم الفضائل، ولا نريد أن نقول أكثر من هذا.

وقد يسأل سائل عن تناقض الروايات، فيقول: إنها تارة تقول: إنه نزل الرحبة، وأخرى تقول: إنه نزل على جعدة بن هبيرة.

ونجيب:

بأنه يبدو لنا: أنه «عليه السلام» قد وصل إلى الكوفة بصحبته الأشراف والرؤساء، فنزل الرحبة، ورفض نزول القصور.. ثم دخل المسجد، وألقى خطبته.. ثم لما وصل ثقله أي نساؤه وعائلته، توجه إلى منزل ابن أخته جعدة بن هبيرة فنزل فيه. وبذلك يجمع بين الروايات.

أشراف أهل البصرة مع علي ×:

وقد ألمح النص المتقدم: إلى أن أشراف البصرة قد رافقوا أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الكوفة. ويبدو: أن ذلك كان منهم على سبيل التعظيم والتكريم له، وإظهار التأكيد على الالتزام والوفاء لما أخذوه على أنفسهم من نصرته، والقيام بواجبهم تجاهه.

ومن المعلوم: أن هؤلاء الأشراف سواء أكانوا من أهل البصرة والكوفة أو من غيرها هم القادة وأصحاب القرار في قبائلهم.

الخطبة العتيدة:

ومراجعة نص الخطبة التي أوردها «عليه السلام» فور وصوله إلى الكوفة تعطي: أنه قد ضمنها أموراً على درجة كبيرة من الأهمية. ونحن نعترف بالعجز عن إدراك جميع مراميها، وفهم دقائق معانيها. والإحاطة بكل ما دلت عليه، أو أشارت إليه. ولكننا نكتفي بنقاط يسيرة منها، نوردها على سبيل الإختصار، الذي نرجو أن لا يصل إلى حد الإخلال، فنقول:

معايير الدنيا تختلف عن الآخرة:

إنه «عليه السلام» آثر أن تكون أول قاعدة يضعها أمام أعين الناس، هي تلك التي تعني بتحصينهم من وسوسات الشيطان وطغيان الأهواء، حيث قد يتسلل إلى النفوس والقلوب عن طريق تزيين أعمالهم لهم، وأيهامهم بأنها تكفي لأن ينالوا الفوز والنجاح، بحيث لا

يهمهم بعد هذا ما فعلوه، أو حتى ما ارتكبوه من أخطاء أو أسواء، وما ابتلوا به من أدواء.

فقال لهم «عليه السلام»: إن العمل الصالح إنما يحفظ لهم في سجل الكرامة والفضل بشرط أن لا يغيروا ولا يبدلوا، وأن لا ينقضوه، فلا يكون مثلهم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

وهذا الأمر أساسي جداً، في حفظ العمل وصيانته من أخطار الأهواء، ومن تسويلات الشياطين.. ومن الإنحراف به عن المسار الصحيح، وهو أمر يغفل الناس عنه عادة، وإنما يتمكن الشيطان من العبث بهم في حالات الغفلة عنه، والشعور بالأمن منه..

هذا كله لو علم أن العمل الصالح الظاهر متوافق مع صفاء النوايا، ونقاء الباطن..

أما إذا لم يعلم ذلك، فمن الواضح: أن الإنتفاخات والإدعاءات لا تثبت بمجردها شيئاً.

وخلاصة الأمر: أن الباطن بمجرده ليس في متناول أحد، ليمكن جعله ميزاناً، ومعياراً، ومنشأً للامتيازات. بل يؤخذ بظواهر الأمور، وتكون هي التي يتعامل الناس على أساسها.

أما عند الله، فالأمر على العكس. أي أن الأمور لا تقاس بأحجامها وبأشكالها الظاهرية، بل بما لها من باطن يكمن وراءها، لأن الله مطلع على هذا الباطن، لأن علام الغيوب واقف على ما في القلوب.

وهذا معناه: أن فضل الإنسان يبقى سراً بينه وبين الله.. ولا

يستطيع أن يطالب الناس بامتيازات لا يستطيع أن يثبت لهم مناشئها وموجباتها إلا على سبيل الإدعاء والإفتراض. فلا محيص عن الإكتفاء بالظاهر.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»:

« فضلكم فيما بينكم وبين الله [فأما] في الأحكام والقسم، فأنتم أسوة من أجابكم، ودخل فيما دخلتم فيه».

الله هو الذي نصر وخذل:

وبعد أن ذكر «عليه السلام» لهم أموراً هامة أخرى، ترتبط بحالات النفس أو بطموحاتها، أو بطريقة التعامل معها، أو معالجات أدوائها، أو ترتبط بالرؤية الشاملة للدنيا والآخرة، وكيفية استثمار هذه الرؤية على الصعيد العملي.. انتقل «عليه السلام» إلى الحديث عن الحرب التي خاضها ضد الناكثين، فأوضح لهم حقيقة أساسية لا بد من التعامل معها بطريقة عفوية تفهمهم لأنها هي الواقع الذي يفرض نفسه، ولا يمكن المراء فيه، إلا إذا أريد الجحود للحق الظاهر، والتزوير للبديهات، كما يفعله الناس غير المأمونين على الحق، والمزورون للحقيقة.

وهذه الحقيقة هي: أن الإنجاز الذي تحقق في تلك الحرب إنما هيأه الله تعالى لأوليائه. وليس لأحد فيه حيلة ولا نصيب، فالله هو الذي نصر عباده، وخذل أعداءه، وهو الذي أعز هؤلاء، وهو الذي أذل أولئك..

وقد بين «عليه السلام» ذلك بطريقة عفوية تظهر بداهته، إلى الحد الذي لا يحتاج إلا إلى الحمد لله، والثناء عليه، لأجل أنه صنعه لهم، وحباهم به، فقال: «الحمد لله الذي نصر وليه، وخذل عدوه الخ..».

كما أنه قد أطلق هذا الدعاء مشفوعاً بالدليل الظاهر، والبرهان الباهر حين قال: «نصر وليه، وخذل عدوه».

ليفهمنا: أن كون علي «عليه السلام» ومن معه أولياء لله، هو السبب في نصر الله تعالى لهم.. لأن الولي ينصر وليه، ولا يتركه طعمة لسيوف الأعداء..

كما أن نفس كون الناكثين أعداء لله، هو الذي أوجب خذلان الله تعالى لهم، فإن الله تعالى لا بد أن يكبت عدوه ويخذله، ويذله، ولا يتركه يبرق ويرعد، ويزبد ويعربد..

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد ربط الأمرين بالله تعالى. فكأنه اعتبر أن حربهم لعلي لا تستهدف علياً «عليه السلام»، لأن سببها هو العداوة لمن ينتسب إليه علي «عليه السلام»، وهو الله تعالى، وهذا يبرر تدخل الله تعالى لنصرة وليه على عدوه..

كما أن الإعزاز لم يكن لشخص علي «عليه السلام» بما هو شخص، بل بما هو صادق ومحق. فصدقه، وحقه هو السبب في إعزاز الله تعالى له. كما أن النكث والإبطال هو السبب في إذلال الله تعالى للناكثين..

طاعة من أطاع الله:

1 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» قد أمرهم بتقوى الله بصورة مطلقة، لم يقيدها بشيء.. ولكنه حين أمرهم بالطاعة لم يقل لهم: عليكم بطاعتي، أو طاعة ابنيَّ الحسن والحسين «عليهما السلام»، بل قال: «عليكم بطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم»..

وبذلك يكون قد أوضح لهم: أن طاعة علي وأهل البيت «عليهم السلام» ليست لأجل محاباة الله تعالى لهم، بل هي لأجل أنهم يطيعون الله تعالى.

ولكن قد يتوهم متوهم: أن أهل بيت النبي على قسمين:

أحدهما: يطيع الله.. والآخر يعصيه.

ولذلك قال «عليه السلام»: «وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم». مع أن آية التطهير قد بينت طهارة أهل البيت «عليه السلام» عن المعاصي، فكيف نفهم كلامه «عليه السلام» هنا؟!

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» قد لاحظ: أن كلمة «أهل البيت» تارة يقصد بها من سماهم الله ورسوله بأهل البيت، وهم فئة خاصة عينها «صلى الله عليه وآله» بأعيانها وأسمائها، وحصرها بهم.. وهم أصحاب الكساء، الذين نزلت فيهم آية التطهير، ودلت على عصمتهم، وهم: علي وفاطمة والحسنان، ثم سائر الأئمة الاثني عشر «عليهم

السلام»..

وتارة يقصد بها معنى أوسع يجري الناس في إطلاقه على حسب مقاصدهم وأغراضهم فقوله «عليه السلام»: «من أطاع الله من أهل بيت نبيكم» أريد به التحذير من المعنى الثاني، ودفع توهم أو إيهام الناس أنه هو المراد..

وذلك لأن هذه العبارة، وهي قوله: «من أطاع الله من أهل بيت نبيكم» قد حصرت المراد بخصوص أهل البيت المعصومين المطهرين، وهم أصحاب الكساء، ومن هو في جملتهم المعصومين الاثني عشر «عليهم السلام».

2 ـ أضاف «عليه السلام» هنا خصوصية أخرى بينت أن المعصوم فقط هو الذي يستحق أن يطاع. أما من يعص الله، فلا طاعة له على أحد، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذلك قال «عليه السلام»:

«الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه، من المنتحلين المدعين المقابلين إلينا». لأن من يقابل أهل البيت ينتحل أمراً ليس له، ويدعي ما ليس فيه، متوسلاً بذلك الفوز بطاعة الناس له..

3 ـ من كان كذلك فلا تصح، بل لا تجوز طاعته. أي لأنه يتفضل أي ينسب لنفسه الفضل الذي لسواه.

ولأنه يجحد الفضل لأهل الفضل، وهم أهل البيت المعصومون.

ولأنه ينازعهم حقهم، ويسعى لأن يغتصبه منهم.

4 ـ اعتبر «عليه السلام»: أن هذا بالذات هو ما جرى في حرب الجمل، وقد ذاقوا وبال أمرهم، وحاق بهم ما كسبته أيديهم، فسوف يلقون في الآخرة الغي والخسران والخيبة أيضاً..

ليعرف حزب الله:

1 ـ ثم أعلن «عليه السلام» عن موقفه ممن لم ينصر الحق على الباطل، ولم يكن في حزب الله على حزب الشيطان..

فلم يقتصر «عليه السلام» على مجرد العتب، بل أعلن بأنه يعيبهم على فعلهم هذا.. وقال: «فأنا عليهم عاتب زار».

2 ـ ثم زاد على ذلك: أن أعلن عقوبة قاسية لهم، حين طلب من الناس أمرين:

أولهما: أن يهجروهم ليدل بذلك على أنهم قد زالو عن مقام الأخوة الإيمانية، التي تمنع من أن يهجر المؤمن أخاه فوق ثلاث..

أو فقل: إن إيمانهم قد عرض له نوع من الإختلال، الذي أوجب الاختلال في الحقوق التي تنشأ عنه.

الثاني: أن يسمعوهم ما يكرهون. وهذا يدل أيضاً على أن الحرمة التي قد تعرضت للإختلال أيضاً تبعاً للإختلال في درجة الإيمان نفسه.

3 ـ ثم طلب «عليه السلام» منهم مواصلة العمل بهذا الإجراء إلى أن ينيب أولئك الخاطئون إلى الحق، ويعودوا إلى رشدهم،

ويعترفوا بخطأهم..

4 ـ ولكن اعتراض مالك بن حبيب اليربوعي قد دعا أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى التصريح: بأن هذا الإختلال الذي عرض لإيمانهم لم يوجب زواله من الأساس. بل كان لا يزال باقياً، ولا تزال بعض آثاره باقية ببقائه. ولذلك لم يرض بما قاله مالك بن حبيب..

5 ـ وقد أوضح قوله «عليه السلام»: «ليعرف حزب الله عند الفرقة»: أن هذه المعرفة مطلوبة. لأنها تأتي في سياق معرفة الناس حقوق بعضهم على بعض، وواجباتهم تجاه بعضهم، ليعرفوا كيف يتعاملون، وبمن يثقون، وعلى من يعتمدون..

6 ـ كما أن هذا يدعو إلى التعرف على المواصفات التي تجعل الإنسان في جملة حزب الله، وتمييزها عن تلك التي تخرجه منهم، وتميزه عنهم..

تصحيح المفاهيم:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد تصدى لتصحيح مفهوم رأى أن السكوت عن تصحيحه قد يؤدي إلى تكريسه في إذهان الناس بما له من إيحاء عقائدي خاطئ.. وذلك حين قالوا له عن الرجل الذي سألهم عنه: «استأثر الله به».

فإن معنى استأثر بالشيء: استبد به، وخصَّ به نفسه(1).

ومن الواضح: أن الله تعالى لا يستاثر بأحد لنفسه، لأنه لا يحتاج إلى أحد.

فأخبرهم «عليه السلام» بهذه الحقيقة لكي لا ينعكس ذلك بلبلة وتشويشاً في الوعي العائقدي للناس.

وهذه الملاحظة الدقيقة تدلنا على عدم صحة قول بعض أهل اللغة: إن معنى قولهم: «استأثر الله بفلان»: «مات مرجواً له الرحمة»(2). إذ لو كانت هذه الكلمة تحمل هذا المعنى لم يعترض أمير المؤمنين «عليه السلام» على هذا التعبير.. ولم يصح قوله «عليه السلام» لهم: إن الله لا يستأثر بأحد، لأن هناك كثيرين يموتون والرحمة مرجوة لهم.

يضاف إلى ذلك: أن هذا المعنى لو كان مقصوداً لم يتحقق معنى الإستئثار: «أن لا يخص الله تعالى نفسه بأحد».. بل يصير المعنى معكوساً. وهو أن يخص الله ذلك الشخص بالرحمة.

فلا تبقى مناسبة بين المعنى الأصلي للإستئثار، وبين المعنى

---

(1) أقرب الموارد ج1 ص4 والقاموس المحيط ج1 ص362 وراجع: بحار الأنوار ج82 ص256 وج99 ص122 .

(2) أقرب الموارد ج1 ص4. وراجع: كتاب العين للفراهيدي ج8 ص237 ولسان العرب ج4 ص8 وتاج العروس ج6 ص10.

الذي استعمل فيه في هذا المورد، فلاحظ..

القسم السادس

حتى معارك صفين..

الباب الأول:

أحداث قبل صفين..

الفصل الأول: علي × في الكوفة.. بداية مسيرة..

الفصل الثاني: أحداث جرت في الكوفة..

الفصل الثالث: نصب العمال وعزل قيس..

الفصل الرابع: ابن أبي بكر يتولى مصر..

الفصل الخامس: وقفات مع كتب علي × لابن أبي بكر..

الفصل السادس: أسئلة.. مؤآخذات.. ورسائل متبادلة..

الفصل السابع: توجيهات إلى العمال وأمراء

الفصل الأول:

علي × في الكوفة.. بداية مسيرة

فرح الناس بعلي ×:

وقد قال أحد الطائيين لمعاوية، وهو يصف علياً «عليه السلام» حين دخل الكوفة:

«فرأيته، وقد حف به الناس من المهاجرين والأنصار، حتى لقد حمل إليه الصبي، ودنت منه العجوز، وخرجت إليه العروس، كل ذلك فرحاً بولايته»[1].

ونقول:

قد أظهر هذا النص ما يلي:

1 - كثرة من كان مع علي «عليه السلام» من صحابة رسول الله

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص360 و (ط دار الأضواء) ج2 ص498 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص111 وصفين للمنقري ص65 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص78 و (تحقيق الشيري) ج1 ص105.

«صلى الله عليه وآله» من المهاجرين والأنصار.

2 ـ شدة فرح الناس بولايته «عليه السلام»، بعد أن ذاقوا طعم ولاية الظالمين والمبطلين، وعاينوا بعض تعدياتهم على الحق والدين، والناس، وبعض مخالفاتهم لأحكام الله سبحانه..

3 ـ إن الناس منذ اللحظة الأولى التي رأوا فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بدأوا يشعرون بالأمن والسكينة، وكأنهم يتوخون الحصول على أقصى درجات السلام والسلامة، والسعادة، حين يقتربون من إمامهم وحاكمهم..

وذلك على عكس ما كانوا يشعرون به مع من سبقه من حكامهم، فإنهم كانوا يخشون من بوادر ذلك الحاكم، ومن عدوانه وظلمه، ولا يأمنون معه على أنفسهم ولا على أموالهم، وأعراضهم، بل ولا على أخلاقهم ودينهم أيضاً..

أما مع علي «عليه السلام»، فلم تعد العجوز تخشى الطرد من حضرة الحاكم، ولا أن تأخذها خيوله، ولا أن تزجرها زبانيته. وأصبحت العروس ترى أن سعادتها لا تكتمل إلا إذا نالت الرضا، وحصلت على البركة من إمامها.. ولم تعد تخشى طمع الحاكم، ولا غشه، ولم تعد تشفق من أن تقتحمها نظراته المسمومة والجشعة..

4 ـ إن الناس قد بدأوا يشعرون أنهم بحاجة إلى نيل بركات إمامهم، وإلى أن تغمرهم أنفاسه الطاهرة، وصاروا يحملون إليه ثمرات أفئدتهم، وخلاصة وجودهم، وهم صبيانهم وأطفالهم ليباركهم

لهم.. ويمنحهم من نفحات روحه الزاكية ما ينعش وجودهم، ويبعث الخير والصفا، والسعادة الحقيقية في أعماق وجودهم..

بيعة أهل الكوفة:

ويقولون: «قدم علي «عليه السلام» من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها تهافت الناس عليه بالبيعة»(1).

ونقول:

إن حرب الجمل قد انجلت عن أمور لم يكن مجال لتجاهلها، فهناك الكثيرون قد حاربوا مع الناكثين، وكان قسم منهم من أهل البصرة، وكثيرون آخرون كانوا من غيرها من البلاد..

كما أن قسماً من الناس لم ينفروا للحرب، لا مع الناكثين، ولا مع علي «عليه السلام»، بل تربصوا، وارتابوا وشكوا..

وقسم من الناس شاركوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في الحرب ضد الناكثين، ولكنهم ربما يكونون لضعف نفوسهم، وبسبب ما عاينوه من أهوال، وكوارث، وبسبب كثرة القتلى الذين سقطوا، حتى ليعدون بعشرات الألوف، وبسبب التأثر ببعض الشبهات التي تناهت إلى أسماعهم.. والشائعات التي أثرت في نفوسهم.. وبسبب بعض العصبيات التي ظهرت لدى الكثيرين ولم يتمكنوا من الإفصاح

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص360 و (ط دار الأضواء) ج2 ص498.

عنها..

وربما لأجل ذلك كله، أو بعضه، أو لغير ذلك من أمور أوجبت بعض

التردد، والاختلال في الولاء، وفي اليقين، وعكَّر صفو البصيرة، وأطلق العنان للتوهمات الكثيرة..

نعم.. من أجل ذلك كله. وسواه، كان لا بد من تجديد البيعة، وتأكيد العهود والمواثيق على الناس، وإعادة السكينة إلى القلوب، وإشاعة السلام في الأجواء، وتأهيل الناس مرة أخرى نفسياً، وروحياً وتنشيط حركتهم وإعدادهم لمراحل جديدة، يتوقع أن تكون تحدياتها أعظم، ومسؤولياتها أكبر وأشد..

علي × يعاتب المتخلفين:

وروى نصر، عن سيف قال: حدثني إسماعيل بن أبي عميرة، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود: أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على علي بن أبي طالب بعد رجعته من البصرة، فعاتبه، وعذله، وقال له: «ارتبت، وتربصت، وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم ـ فيما أظن ـ إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك، وما زهدك في نصرهم؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردَّن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبني

بما مضى منها، واستبق مودتي يخلص لك نصيحتي. وقد بقيت أمور تعرف فيها وليَّك من عدوك. فسكت عنه.

وجلس سليمان قليلاً، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي وهو قاعد في المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ؟!

فقال له الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته.

فقال: إنه بقيت أمور سيستوسق [تقصَّف] فيها القنا، وينتضى [تتثلَّم] فيها السيوف، ويُحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصيحتي.

فقال له الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بالظنين»(1).

وروى نصر، عن عمر ـ يعني ابن سعد ـ عن نمير بن وعلة، عن الشعبي: أن سعيد بن قيس دخل على علي بن أبي طالب فسلم عليه، فقال له علي: «وعليك، وإن كنت من المتربصين».

فقال: حاش لله يا أمير المؤمنين لست من أولئك.

قال: «فعل الله ذلك».

وروى نصر، عن عمر بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن محمد

---

(1) صفين للمنقري ص6 و 7 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص349 و 350 و (ط دار الأضواء) ج2 ص492 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص105.

بن مخنف قال: دخلت مع أبي على علي «عليه السلام» حين قدم من البصرة، وهو عام بلغت الحلم، فإذا بين يديه رجال يؤنبهم ويقول لهم: «ما بطأ بكم عني، وأنتم أشراف قومكم؟! والله، لئن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، إنكم لبور(1). والله لئن كان من شك في فضلي، ومظاهرة عليَّ، إنكم لعدو».

قالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين، نحن سلمك، وحرب عدوك.

ثم اعتذر القوم..

فمنهم من ذكر عذره.

ومنهم من اعتل بمرض.

ومنهم من ذكر غيبة.

فنظرت إليهم، فإذا عبد الله بن المعتم العبسي، وإذا حنظلة بن الربيع التميمي ـ وكلاهما كانت له صحبة ـ وإذا أبو بردة بن عوف الأزدي، وإذا غريب بن شرحبيل الهمداني.

قال: ونظر علي إلى أبي فقال: «لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا، ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى: **(وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ**

---

(1) البور: الهلاك.

مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا)[1]»[2].

ونقول:

إن هذا النص يطرح أكثر من سؤال يحتاج إلى جواب.. ونحن نذكر بعضاً منها فيما يلي من مطالب:

المطالبات ضرورية:

إن الذين كان «عليه السلام» يطالبهم، ويلومهم على تخلفهم عن حرب الجمل هم أشراف قومهم ورؤساؤهم.

ومن الطبيعي: أن يكون قومهم قد اقتدوا بهم، وائتمروا بأمرهم، وقعدوا كما قعدوا.. وإذا فتح هذا الباب، واستسهل الرؤساء تجاهل أمر إمامهم، وأجازوا لأنفسهم وللناس القعود، ولم يجدوا فيه أي لوم أو حرج، فمن الطبيعي أن ينتهي إلى فشل ذريع، وخيبة قاتلة، وأن يسقط الهيكل على رؤوس أصحابه.. فكان لا بد من المطالبة واللوم، ووضع حد لهذه الظاهرة، دون أن يصل الأمر إلى التعدي والظلم لهم..

وكان «عليه السلام» يكتفي بما يسوقونه من أعذار، لأن

---

(1) الآيتان 112 و 113 من سورة النساء.

(2) صفين للمنقري ص7 و 8 وأشار إلى ذلك: ابن أعثم في الفتوح ج2 ص350 و (ط دار الأضواء) ج2 ص493 و 494 وبحار الأنوار ج32 ص355 و 356.

المطلوب هو إفهام الناس أن التخلف من غير مبرر غير مقبول في السياسة، ولا في الشرع والعقل، والوجدان..

وهذا ما حصل بالفعل..

هل يثق علي × بمن لا يوثق به؟!:

ذكر «عليه السلام» لسليمان بن صرد: أنه كان من أوثق الناس في نفسه، وأسرعهم ـ فيما يظن ـ إلى نصرته.. ثم أظهرت الوقائع خلاف ذلك، وأنه لم يكن جديراً بحسن الظن، ولا بالثقة التي أولاه إياها. فكيف يثق علي «عليه السلام» بمن ليس أهلاً للثقة، وهو الإمام المعصوم من الخطأ، المبرأ من الزلل؟!

وإذا كان علي «عليه السلام» يخطئ في ذلك، فهل نلوم غيره إذا وقع في الخطأ، وابتلي بسلبياته؟! وما الفرق بين المعصوم وغير المعصوم في مثل هذا الحال؟!

ونجيب:

بأن عصمة علي «عليه السلام» إنما تعني التصرف الصحيح والتعاطي الصائب، مع الأمور التي تواجهه، ووفق المعلومات التي تتوفر لديه، ويطلب منه التعاطي معها بما تستحقه مما يفرضه عليه العقل، والشرع، والحكمة، والتدبير الصحيح.. حيث لم يخوَّل إضافة إليها أو استبعاد أي شيء منها، استناداً إلى علم خاص لا يتيسر لغيره الوصول إليه، أو الحصول عليه.

وبتعبير أوضح: إن المعصوم لا يخطئ ولا يسهو، ولا ينسى، ولا يعصي في كل ما يجب عليه التعاطي فيه.. فهو إذا توفرت لديه المعطيات المطلوبة من مصادرها العادية المقدورة والميسورة لكل الناس، وصار لا بد من التعامل معها، فإنه يتعامل معها بصورة صحيحة وفي دائرة العصمة، ولا يخطئ في تحديد أحكامها، ولا ينسى، ولا يسهو، ولا يجهل، ولا يتعمد المخالفة والمعصية في شيء منها..

بخلاف غيره من الناس، فإنهم قد يخطئون، وينسون ويسهون، وقد لا يعرف أحدهم الحكم الشرعي الصحيح، وقد يتعمدون المعصية، والعمل بخلاف الحكمة والشرع، والعقل فيها..

وهذا هو الفرق بين المعصوم وبين غيره من سائر الحكام العدول أو غيرهم. وليس المعصوم مكلفاً بكشف الواقع العيني للناس، والتعامل معه بما هو عليه في واقع الأمر، وفي علم الله..

وكان ظاهر سليمان بن صرد يفرض عليه أن يمنحه الثقة، وأن يتعامل معه على أساس السلامة والصحة، بحيث لو أن جميع الأنبياء، والأوصياء، والعلماء الأتقياء، والعقلاء، والحكماء والمتشرعة، رأوا حال سليمان بن صرد لحكموا على ظاهره بما حكم عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولما استجازوا أن يخرجوا عن الدائرة التي تصرف فيها معه علي «عليه السلام».

وليس المطلوب من علي «عليه السلام»، ولا من النبي «صلى

الله عليه وآله» أكثر من ذلك.

وهذا بالذات هو الذي سوغ له «عليه السلام» أن يوبخ، ويبكت سليمان بن صرد، لكي تكون هذه الثقة حجة على سليمان، ومن وسائل إحراجه، وإظهار سوء فعله أمام عينيه، وتجسيد الخلل الذي أوقع نفسه فيه..

ابن صرد لم ينصر أهل بيت نبيه:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» اعتبر قعود سليمان بن صرد عن نصرته، قعوداً عن أهل بيت نبيه وعن نصرتهم..

فدلنا بذلك: على أن الحرب التي خاضها الناكثون ضد علي «عليه السلام» إنما كانت ضد جميع أهل البيت «عليهم السلام» لا ضد شخص علي «عليه السلام» وحسب، مع أن ظاهر الأمور يوحي بأن المطلوب للناكثين هو الحصول على المال والمقام، وهما إنما كانا بيد علي «عليه السلام» فقط..

ولكن التأمل في الأمور يعطي: أن جميع أهل البيت «عليهم السلام» كانوا على نفس نهج علي «عليه السلام». وهذا يعطي: أن مطلوب الناكثين هو إقصاؤهم، لأنهم يدركون: أن لا أحد يداني أهل البيت في الفضل، والمقام، والعلم والإستقامة، وإذا اضطلع أي منهم بهذا الأمر، فلن يفكر الناس في غيره، ولن يكون لغيره مكان معه.. ولذلك كان لا بد من إقصائهم واقتلاع آثارهم..

وكان الناكثون يدركون أيضاً: أنه إذا أقصي علي «عليه السلام»، وحسم الأمر معه، فلا يبقى مكان لغيره من أهل البيت «عليهم السلام»، لأنه سيدهم وعظيمهم، على حد تعبير عمر بن الخطاب لابن عباس(1).

فمحاربة علي «عليه السلام» بنظرهم كانت تحسم الأمر بالنسبة لجميع أهل البيت، لأن ثبوت الحق له هو الأقوى، والأوضح والأصرح، ولأن ظهور تقدمه، وفضله، وعلمه وزهده، وعظيم جهاده، وباهر علمه، وظاهر زهده، لا يدانيه شيء مما عداه.. فإذا أزيل الأقوى أزيل سائر من ينتمي إليه.

مفارقة بين الأفعال والأقوال:

ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ الكريم بالمفارقة الظاهرة بين فعل ابن صرد، وبين قوله.. فهو يستعظم من علي «عليه السلام» تبكيته وتقريعه على رؤوس الأشهاد، وينسى أنه إنما يقرعه ويوبخه على أمر فعله هو على رؤوس الأشهاد، وقد عرفه عنه الناس كلهم، وهو قعوده عن نصرة الحق وأهله، وتركه ما فرضه الله عليه وأمره به.

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج12 ص20 عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وحلية الأبرار ج2 ص320 وبحار الأنوار ج30 ص243 و 555 وج31 ص74 وج38 ص156 و 157 والدرجات الرفيعة ص106 وكشف الغمة ج2 ص47 وكشف اليقين ص470.

وهو يعلم: أنه رئيس في قومه يقتدي به الناس، ويتخذون قوله وفعله معذِّراً لهم في خذلان الحق، بالتخلي عن واجباتهم الإلهية، وربما يكون موقفه هذا وموقف أمثاله، سبباً في حدوث كوارث خطيرة، وفي هجوم النكبات، وإبطاء النصر، وتقوية شوكة الباطل وأهله.

فما معنى أن يستعظم تقريع علي «عليه السلام» له، وأن يستهين بخذلان الحق، وأهله؟!

كلام ابن صرد غير موزون وأناني:

لماذا يأبى ابن صرد أن يسمع التوبيخ على خطأ ارتكبه؟! بل ويهدد باستبدال المودة بالعداوة، في صورة مطالبته بخطأه؟! وهل يجوز له التهديد بارتكاب خطأ أفدح لو طولب بخطأ صدر منه؟! وهل يجوز له أن يتحول من ناصح لإمامه إلى غاش؟! مع أنه إمام منصوص عليه من الله ورسوله، وله في عنقه بيعة، ولم يقم هو بموجبات تلك البيعة؟!

ألا يدلنا هذا التهديد، ثم شكواه علياً «عليه السلام» إلى الإمام الحسن «عليه السلام»: على أنه رجل أناني، قد غضب من معاتبته على خطأ ارتكبه، لمجرد أنه قد طولب بخطأه، وحُذِّر من خطورة ارتكابه له مرة أخرى؟!

من أين يثبت ابن صرد أقواله؟!:

إن ابن صرد لم يقدم أي شيء يثبت صحة أقواله، فإن مجرد أن تكون هناك أمور قد بقيت، ويحتاج فيها علي «عليه السلام» إلى أمثاله، لا يعني أنه حين تستجد تلك الأمور سوف يتخذ موقفاً صحيحاً وسليماً، فإن ما سبق له من موقف لا يطمئن، ولا يشير إلى أن موقفه الآتي سيكون أحسن من موقفه السابق..

فما معنى أن يتعجب، أو ما معنى أن يطلب من غيره أن يعجب من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» له، ومن تأنيبه، وتوبيخه إياه؟!

فكيف يمكن أن يوثق بعتبه، وأن لا تتهم نصيحته؟!

وبعد ما تقدم نقول:

إن تخلف سليمان بن صرد عن حرب الجمل، يظهر عدم صحة قول بعضهم: إنه لم يقف على تخلفه عن حرب الجمل بعد فضل تتبع منه[1].

كما أن قول الجزري: إن سليمان شهد مع علي مشاهده كلها[2] غير دقيق ولا صحيح..

---

(1) تنقيح المقال ج2 ص63.

(2) تنقيح المقال ج2 ص63 وأسد الغابة ج2 ص351 وأعيان الشيعة ج7 ص299 وراجع: الجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص52.

ابن صرد زعيم التوابين:

واللافت هنا: أنه قد تكرر من سليمان بن صرد التخلف عن واجبه، والإخلاف بالتزاماته، فإنه كان من أهل الكوفة الذين كتبوا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» بعد موت معاوية، يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه(1).

فلما استشهد الإمام الحسين «عليه السلام» ندم هو والمسيب بن نجبة، وجماعة آخرون ممن خذلوه «عليه السلام»، فخرجوا للطلب بدمه مستهلَّ ربيع الآخر سنة 65 للهجرة، وولوا أمرهم سليمان بن صرد، فالتقوا بعبيد الله بن زياد في عين الوردة، فقتل سليمان، والمسيب وكثير ممن كان معهما. وكان عمْرُ سليمان حين قتل ثلاثاً وتسعين سنة(2).

فلا يصح قول بعضهم: إن ابن زياد كان قد حبس الذين كاتبوا

---

(1) أسد الغابة ج2 ص351 ترجمة سليمان بن صرد، وتنقيح المقال ج2 ص63 عنه، وتهذيب الكمال ج11 ص454 و 455.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص352 وأسد الغابة ج2 ص351 وتنقيح المقال ج2 ص63 وتاريخ بغداد ج1 ص216 والمنتخب من ذيل المذيل ص26 وتهذيب الكمال ج11 ص456. وراجع: المستدرك للحاكم ج3 ص530 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص650 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص292 و 293 وج6 ص25 والبداية والنهاية ج8 ص280 وتاريخ الكوفة للبراقي ص435.

الإمام الحسين «عليه السلام» وكانوا أربعة آلاف وخمس مئة رجل من التوابين، ومنهم سليمان بن صرد(1). فكان ذلك سبباً في عدم نصرتهم للإمام «عليه السلام» في كربلاء. فضلاً عن أن نفس إظهار التوبة ينفي خبر سجنهم، إذ لو كانوا مسجونين، فهم معذورون، ولا داعي لإظهار التوبة.

فإن ابن صرد نفسه يصرح في خطبته في عين الوردة بقوله: «حتى بلى الله خيارنا، فوجدنا كذابين في نصر ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولا عذر دون أن تقتلوا قاتليه، فعسى ربنا أن يعفو عنا»(2).

كما أنهم حين ساروا للأخذ بثار الإمام الحسين «عليه السلام»، وانتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين «عليه السلام» نادوا صيحة واحدة:

«يا رب، إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين.

---

(1) تنقيح المقال ج2 ص63 واللهوف لابن طاووس ص153 ومستدركات علم رجال الحديث ج4 ص137.

(2) بحار الأنوار ج45 ص355 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص674 وذوب النضار لابن نما الحلي ص75.

وإنَّا نشهدك يا رب: أنَّا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفره لنا، وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[1].

وثمة نصوص أخرى تدل على خذلانهم إياه، وتوبتهم مما بدر منهم.

اتهامات علي × لابن صرد:

إن التأمل في كلمات علي «عليه السلام» لسليمان بن صرد يعطي: أنه «عليه السلام» قد ذكر أموراً صعبة وحساسة، أكثر من مجرد التخلف عن الحرب، فإنه «عليه السلام» وصفه بما يلي:

1 ـ إنه قد ارتاب في مشروعية خوض علي «عليه السلام» غمار حرب الجمل، وهذا معناه: حصول اختلال اعتقادي عنده.. فإن ريبه لا مبرر له، ولو كان له أدنى مبرر لما لامه «عليه السلام» علناً.

كما أن هذا الريب القلبي لا يعرف إلا بأحد طريقين:

أحدهما: أن يكون سليمان قد صرح به، فبلغ علياً «عليه السلام»..

الثاني: أن يكون قد علم ذلك بالعلم الخاص الذي هو علم الإمامة.

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص456 و 457 والكامل في التاريخ ج4 ص178 وتاريخ الكوفة للبراقي ص344 ومقتل الحسين لأبي مخنف ص290 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج6 ص214 وأصدق الأخبار ص15.

وفي إخباره «عليه السلام» بأمر قلبي لم يصرح صاحبه به لأحد، إقامة للحجة على سليمان.. كما في قصة العباس مع النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث أخبره أنه قد أودع مالاً لدى زوجته بعد أن ادَّعى أنه لا مال له.

2 - إنه تربص وانتظر لمن تكون الغلبة ليكون معه، وهذه إدانة لسليمان، واتهام له بالوصولية، وعدم مراعاته التكليف الشرعي فيما يتخذه من مواقف..

3 - إن سليمان قد راوغ في تصرفاته، والمراوغة أسلوب ممجوج ومرفوض، لا يلجأ الإنسان المستقيم إليه في التعامل مع القضايا المصيرية، ولا سيما إذا كان الأمر يعني إمامه، ومن له في عنقه بيعة، وله مساس مباشر بمصير الأمة..

4 - إنه كان زاهداً وغير مهتم بنصر أهل بيت نبيه، ولأجل ذلك اختار القعود عنهم، ولم يكن قعوده هذا لخطأ في تشخيص الأهم والمهم. أو لغير ذلك من أسباب..

هل سعيد بن قيس من المتربصين؟!:

أما فيما يرتبط بسعيد بن قيس وتخلفه عن حرب الجمل، فإن مراجعة مواقفه وسيرته تعطي: أنه كان من خيرة أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولكن النص المتقدم يذكر: أنه قد تخلف عن حرب الجمل.. ولم

نجد عند الذين يترجمون لسعيد ما يدل على تخلفه هذا..

ولكن التأمل في النص الذي تقدم يشير إلى أنه «رحمه الله» لم يرض بأن يقال عنه: إنه من المتربصين.. واعتبر ذلك من العيوب التي يتنزه عنها، ولا يصح نسبتها إليه، حيث قال: «حاش لله يا أمير المؤمنين، لست من أولئك».

ولم يعاود أمير المؤمنين «عليه السلام» التأكيد لإثبات هذا الأمر عليه، بل قال له: «فعل الله ذلك».

وأَحْسَبُ أن اكتفاء علي «عليه السلام» بهذه العبارة يشير إلى أن سعيد بن قيس قد تخلف عن حرب الجمل لعذر رأى أنه كاف لتبرير هذا التخلف.

ولعله «عليه السلام» أراد بكلمته هذه أن يقول: إنه يرجو من الله تعالى أن يكون له عذر مقبول، وإن لم يكن غير كاف للتبرير في الواقع ونفس الأمر.. أو أنه أراد أن يعرف الناس: بأن سعيداً ليس كغيره ممن تخلف عنه، فإنه كان يرى نفسه معذوراً بما فعل، وليس كذلك غيره.

الفصل الثاني:

أحداث جرت في الكوفة..

خطبة الجمعة في الكوفة:

روى نصر، عن أبي عبد الله سيف بن عمر، عن الوليد بن عبد الله، عن أبي طيبة، عن أبيه قال: أتم علي الصلاة يوم دخل الكوفة، فلما كانت الجمعة وحضرت الصلاة صلى بهم وخطب خطبة.

وروى نصر: قال أبو عبد الله، عن سليمان بن المغيرة، عن علي بن الحسين: خطبة علي بن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة:

«إن الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأستهديه، وأعوذ بالله من الضلالة. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، انتجبه لأمره، واختصه بالنبوة، أكرم خلقه، وأحبهم إليه، فبلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، وأدى الذي عليه.

وأوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، وأقربه لرضوان الله، وخيره في عواقب الأمور عند الله.

وبتقوى الله أمرتم، وللإحسان والطاعة خلقتم.

فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه، فإنه حذر بأساً شديداً. واخشوا الله خشية ليست بتعذير، واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل له، ومن عمل لله مخلصاً تولى الله أجره.

وأشفقوا من عذاب الله، فإنه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى، قد سمى آثاركم، وعلم أعمالكم، وكتب آجالكم.

فلا تغروا بالدنيا، فإنها غرارة بأهلها، مغرور من اغتر بها، وإلى فناء ما هي.

وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون.

أسأل الله منازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء، ومعيشة السعداء، فإنما نحن له وبه»[1].

ونقول:

يفهم من هذا النص: أن النص الذي كان يقوله علي «عليه السلام» للناس في كل خطبة جمعة كان واحداً.

وهذا أمر محير، فإن علياً «عليه السلام» كان أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وأخطب الناس، فهل كان عاجزاً عن الإتيان في كل

---

(1) صفين للمنقري ص9 و 10 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص50 و 51.

يوم جمعة بخطبة لا تشبه أختها؟! أم أن ثمة حكمة قضت عليه بأن يعتمد نصاً واحداً في جميع خطب الجمعة؟! كأن يكون المطلوب هو تلقين الناس أموراً بعينها، وتكرارها على مسامعهم، حتى تصبح جزءاً من ثقافتهم وحياتهم.. والمضمون العام والدقيق لهذه الخطبة يشجع على تأييد هذا الإحتمال.

إلا أن يقال: إن المقصود: هو أنه «عليه السلام» قد كرر مضمون هذه الخطبة مرتين فقط:

إحداهما: في المدينة.

والأخرى: في الكوفة.

وليس المراد: أنه كان يكررها دائماً..

وعلى هذا، فمن الممكن أن تكون هناك أمور اقتضت الحديث عن موضوع واحد في الحالتين.

على أن التكرار ليس سيئاً دائماً، بل قد يكون حسناً، وله مصالح وغايات عديدة. والتركيز على أمر معين أو أكثر وتكراره هو من الأساليب التربوية. ونتلمس هذا في القرآن الكريم من خلال تكرار دعوة الناس إلى الإيمان وأمرهم بالتقوى.

ومن ذلك: ما ورد في بعض الروايات من الحث على المداومة على ذكر معين، أو تكرار قراءة سورة أو آية يومياً، أو في يوم معين لما في ذلك من فوائد وعوائد، ومنها: أنه يترك أثراً إيجابياً على النفس.

عصيان بني ناجية بعد حرب الجمل:

ذكر الثقفي:

أنه لما بايع أهل البصرة علياً «عليه السلام» بعد هزيمة أصحاب الجمل، دخلوا في الطاعة غير بني ناجية، فإنهم عسكروا، فبعث إليهم علي «عليه السلام» رجلاً من أصحابه في خيل ليقاتلهم، فأتاهم، فقال: ما بالكم عسكرتم، وقد دخل الناس في الطاعة غيركم؟!

فافترقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كنا نصارى فأسلمنا، ودخلنا فيما دخل الناس فيه من الفتنة، فنحن نبايع كما بايع الناس.

فأمرهم، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: كنا نصارى، فلم نسلم، وخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً، فخرجنا معهم، فهزموا، فنحن ندخل فيما دخل فيه الناس، ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم.

فقال: اعتزلوا، فاعتزلوا.

وفرقة قالوا: إنا كنا نصارى، فأسلمنا، فلم يعجبنا الإسلام، فرجعنا إلى النصرانية، فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى.

فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام.

فأبوا، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، فقدم بهم على علي «عليه السلام»(1).

ونقول:

قد ذكرنا فيما سبق: أن بني ناجية كانوا ينسبون أنفسهم إلى قريش، وقريش تدفعهم عن هذا النسب، ويسمونهم بني ناجية، وهي أمهم، فلا حاجة إلى إعادة ذلك..

غير أننا نشير هنا إلى ما يلي:

سبي ذراري بني ناجية:

أولاً: ذكرت الرواية: أن مبعوث علي «عليه السلام» قتل مقاتلة المرتدين من بني ناجية، وسبى ذراريهم وقدم بهم على علي «عليه السلام»..

ويرد على هذا: أنه لا يجوز سبي ذراري المرتدين..

ويمكن أن يجاب:

أولاً: لعل هذا الذي بعثه علي «عليه السلام» لم يكن يعرف حكم ذراري من يقتل من المرتدين.. ولم تذكر الرواية ما صنع علي «عليه السلام» بذلك السبي بعد ورودهم عليه، فلعله أطلق سراحهم، وفقاً للحكم الشرعي في مثل هذا المورد.

---

(1) شرح نهج البلاغة ج3 ص127 والغارات للثقفي ج1 ص330 و 331 وراجع: ج 2 ص77 وبحار الأنوار ج 34 ص 42.

ثانياً: يقال: ذكرت الروايات: أن مصقلة بن هبيرة اشترى سبايا بني ناجية وأعتقهم، وأن ذلك قد حصل في عرض الطريق. وهذا معناه: أن السبايا لم يصلوا إلى علي «عليه السلام».. ولم تصرح الرواية التي نحن بصددها بوصولهم إليه أيضاً.

إلا أن يقال: إن هذا يدل على أنه قد كان لبني ناجية عصيانان: أحدهما هذا، والثاني حين خرجوا بقيادة الخريت بن راشد.

ويمكن تأييد ذلك: بأن هذه الرواية تقول: إن ذلك قد حصل بعد الفراغ من حرب الجمل.. وقصة الخريت إنما كانت بعد صفين، وقد اشترى مصقلة السبي في قصة الخريت بعد صفين..

علي × وأهل السواد في العراق:

روى نصر، عن عبد الله بن كردم بن مرثد، قال: لما قدم علي «عليه السلام» حشر أهل السواد، فلما اجتمعوا أذن لهم، فلما رأى كثرتهم قال: إني لا أطيق كلامكم، ولا أفقه عنكم، فأسندوا أمركم إلى أرضاكم في أنفسكم، وأعمه نصيحة لكم.

قالوا: نرسا، ما رضي فقد رضيناه، وما سخط فقد سخطناه.

فتقدم فجلس إليه، فقال: أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا؟!

قال: كانت ملوكهم في هذه المملكة الآخرة اثنين وثلاثين ملكاً(1).

____

(1) جعلهم المسعودي في التنبيه والإشراف 87 ـ 90 ثلاثين ملكاً. وهم

قال: فكيف كانت سيرتهم؟!

قال: ما زالت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة(1)، حتى ملكنا كسرى بن هرمز، فاستأثر بالمال والأعمال، وخالف أولينا، وأخرب الذي للناس، وعمر الذي له، واستخف بالناس، فأوغر نفوس فارس، حتى ثاروا عليه فقتلوه، فأرملت نساؤه ويتم أولاده.

فقال: يا نرسا، إن الله عز وجل خلق الخلق بالحق، ولا يرضى من أحد إلا بالحق، وفي سلطان الله تذكرة مما خول الله، وإنها لا تقوم مملكة إلا بتدبير، ولا بد من إمارة، ولا يزال أمرنا متماسكاً ما لم يشتم آخرنا أولنا، فإذا خالف آخرنا أولنا وأفسدوا، هلكوا وأهلكوا.

ثم أمر عليهم أمراءهم(2).

ونقول:

لا حظ ما يلي:

تضمن النص المتقدم أموراً عديدة، نذكر منها:

النائب عن الجماعة:

قد يحتاج الجمع الكثير إلى استنابة بعضهم للقيام ببعض المهمات

الساسانيون.

(1) عظم الأمر ـ بالضم والفتح ـ: معظمه.

(2) صفين للمنقري ص14 و 15 والغارات للثقفي ج2 ص780 وبحار الأنوار ج32 ص358 و 359 .

التي يعود نفعها للجميع، وذلك حين لا يمكن أن يتولى جميعهم إنجاز ذلك الأمر بأنفسهم مباشرة. وقد وضع أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا لهذا النائب شرطين:

أولهما: أن يكون الأرضى لذلك الجمع كله في أنفسهم، فلا يقبل انتخاب شخص يكون غيره أرضى منه..

وإنما أضاف «عليه السلام» كلمة: «في أنفسهم»، ولم يقتصر على قوله: «أرضاكم»، ربما لأنه يريد أن يستبعد نواعاً من الرضا، مثل الرضا به لقرابته، أو لأجل منصبه، أو لمصلحة لهم يتوخون حصولها بسببه، وقرر أن المطلوب: هو الطمأنينة والسكينة القلبية إلى كونه جامعاً لصفات الخير والصلاح، والإستقامة، بحيث لا يخالجهم شك في ذلك، فيكون هناك إجماع منهم على فضله، ونبله، وخلوص نواياه، وحسن تصرفه، وسلامة تدبيره.

الثاني: أن يكون أعم الناس نصيحة لهم. فلا يكون ممن يخص بنصيحته أقاربه، أو أصحابه، أو أهل بلده. ولا يعلم هذا الأمر إلا بالتجربة، وتكرر الموارد التي ظهر فيها نصحه لجميع الناس، وعدم تحيزه لفريق دون فريق.

الحاكم وتفقد أحوال الرعية:

وقد دلتنا هذه القضية أيضاً: على أن من مهمات الحاكم الإطلاع على أحوال الناس وشؤونهم بصورة مباشرة، فلا يكتفي بما يصله

عنهم عن طريق أعوانه وموظفيه.. لأن الأعوان قد لا يطلعون على كثير من حاجات الناس التي في داخل بيوتهم. ومنها الحاجة إلى معرفة الأحكام، أو إلى التربية الأخلاقية، أو الدينية، وقد تكون هناك مشاكل معيشية، أو إجتماعية، أو في السلوك، أو التعامل مع عوائلهم، أو غير ذلك من الحاجات التي تبقى في داخل البيوت، ولعل بعضها مما يخفيه الناس عن بعضهم، ولا يمكن الإطلاع عليه إلا بالتصريح به.

لماذا السؤال عن ملوك فارس؟!:

وقد لفت نظرنا سؤاله «عليه السلام» أهل السواد عن ملوك فارس. ولم يسألهم عن حاجاتهم. وقد جاءه الجواب بما أوضح: أنه يريد أن يفهمنا أن معرفة طريقة تعامل الملوك والحكام من شأنها أن تكشف جوانب واسعة من حالات الناس، وتظهر الكثير الكثير من واقع معاناتهم، وما هم فيه من بلاء وشقاء.

فذكروا له: أن كسرى بن هرمز:

1 ـ استأثر بالمال والأعمال. فدل ذلك على أن ثمة نقصاً في الأموال، كما أن هناك نسبة كبيرة من البطالة.

2 ـ إنه أخرب ما للناس، مما يعني: أن الناس يحتاجون إلى تعمير ما خرب من مصالحهم، ومرافقهم العامة والخاصة.

3 ـ إن هرمز قد استخف بالناس، فهم يحتاجون إلى إعادة الثقة،

والشعور بالكرامة.

4 - إنه أوغر نفوس الناس، وتسبب بالأحقاد والضغائن. فلا بد من تسكين النفوس، وتطهيرها من ذلك.

منطلقات الإصلاح عند علي ×:

وحين تكلم أمير المؤمنين «عليه السلام» معقباً على ما ذكره نرساً عن كسرى بن هرمز، فإنه قد وضع الأسس التي تستطيع أن تعيد الأمور إلى نصابها، وتصلح ما أفسده الطغاة والجبارون..

وهي كلمات يسيرة، ولكنها حملت معها البلسم الشافي، والمعين الكافي، الذي لا ينضب، لأمة تريد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة..

فقد ذكر «عليه السلام» الأمور التالية:

1 - إن الحق ليس من الأمور العارضة، ولا من الأمور الإعتبارية التي لا قوام ولا قيام لها إلا بنفس الإعتبار، وليس أيضاً من الأمور الإستنسابية، أو الذوقية، بل أمر حقيقي متصل بالتكوين، متجذر في حنايا الخلق، وفي الحياة كلها، وفي جميع امتداداتها، ومن الإبتداء إلى الإنتهاء.

ولعل إلى هذا أشار «عليه السلام» بقوله: «إن الله عز وجل خلق الخلق بالحق».

2 - ولأجل ذلك، ولأن الخلق قد جاء وفق ضوابط، وحيثيات واقعية، فلا يصح تجاوز هذه الضوابط، ولا مجال للإخلال بها في أي

مرحلة من مراحل التعامل معها، لأنه يؤدي إلى الإخلال في أدائها لوظائفها، الأمر الذي ينتهي إلى إبطال ما لها من آثار، وتضييع ما يترتب عليها من أهداف.

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «ولن يرضى من أحد من خلقه إلا بالحق».

3 ـ وقد خول الله عباده التصرف فيما خلقه لهم، ولكنه جعل لهم معايير وأحكاماً تتناغم مع طبيعة وخلقة ذلك الذي خولهم تعالى إياه.. فالإخلال بشرع الله سيؤدي إلى إخلال بالتكوين والخلق نفسه، ولذلك قال «عليه السلام»: «وفي سلطان الله تذكرة مما خول الله».

4 ـ ثم إنه «عليه السلام» أشار إلى أن تمشية الأمور، وإعادتها إلى سياقها الطبيعي يحتاج إلى تدبير من مسؤول ومطالب بهذا التدبير. وهذا يحتم قيام سلطة قادرة على التدبير، وعلى تنفيذ تدابيرها، وحمايتها من التعديات، وبذلك يمكن التغلب على المشكلات التي تسبب بها كسرى بن هرمز، فإن التدبير يؤدي إلى أن يتوفر المال، وتواجه البطالة، ويعمر الخراب، وتعود الثقة بين الناس، وتسود المحبة، وتزول الأحقاد.

5 ـ ثم إنه «عليه السلام» أمَّر عليهم أمراءهم، ليقوموا بمهمات هذا التدبير، وحل المشكلات، وإعادة الأمور إلى نصابها.

أفضل من آصف بن برخيا:

1 ـ عن محمد بن سنان قال: بينا أمير المؤمنين «عليه السلام» يجهز أصحابه إلى قتال معاوية إذ اختصم إليه اثنان، فلغى أحدهما في الكلام فقال له: إخسأ يا كلب.

فعوى الرجل لوقته، وصار كلباً، فبهت من حوله، وجعل الرجل يشير بإصبعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ويتضرع، فنظر إليه، وحرك شفتيه فإذا هو بشر سوي!!

فقام إليه بعض أصحابه وقال له: مالك تجهز العسكر ولك مثل هذه القدرة؟!

فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في هذه الفلوات حتى أضرب صدر معاوية فأقلبه عن سريره لفعلت، ولكن: **(عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)**[1]»[2].

2 ـ وعن محمد بن علي، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم، عن

____

(1) الآيتان 26 و 27 من سورة الأنبياء.

(2) بحار الأنوار ج32 ص385 وج33 ص386 و381 ومشارق أنوار اليقين للبرسي ص76 وإرشاد القلوب للديلمي ج2 ص272 وخصائص الأئمة ص46 والبرهان للبحراني ج6 ص26 و 27 وراجع: الهداية الكبرى ص124 و 125 والثاقب في المناقب ص242.

أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال:

قال الصادق «عليه السلام»: يا أبان، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» لما قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام، فنكسته عن سريره»؟!

ولا ينكرون تناول آصف وصي سليمان عرش بلقيس، وإتيان سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه؟!

أليس نبينا أفضل الأنبياء، ووصيه أفضل الأوصياء؟! أفلا جعلوه كوصي سليمان؟! حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا، وأنكر فضلنا(1).

وفي رواية للديلمي عن ميثم التمار: أنه بينما كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يخطب في مسجد الكوفة خطبة طويلة، إذ جاءه النذير بأن خيل معاوية تشن الغارة عليهم ما بين هيت والأنبار، فطالبه الحاضرون بالتصدي لمعاوية وعدم إمهاله.

فصاح زيد بن كثير المرادي وقال: يا أمير المؤمنين، تقول بالأمس وأنت تجهز إلى معاوية، وتحرضنا على قتاله، ويحتكم إليك الرجلان في الفعل، فتعجل عليك أحدهما في الكلام، فتجعل رأسه رأس الكلب، فيستجير بك فترده بشراً سوياً!! ونقول لك: ما بال هذه

---

(1) الإختصاص ص212 و 213 وبحار الأنوار ج14 ص115 و 116 وج27 ص28 وج32 ص385 وج42 ص50.

القدرة لا تبلغ معاوية؟! فتكفينا شره، فتقول لنا: وفالق الحبة وبارئ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة صدر معاوية فأقلبه على أم رأسه لفعلت، فما بالك لا تفعل؟! ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا، فنشك فيك، فندخل النار(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إخسأ يا كلب:

1 ـ قد يقال: إننا نعرف أن علياً «عليه السلام» كان حكيماً وكريماً، يحسن إلى من أساء إليه، ملتزماً بما يمليه عليه خُلقه العظيم، وأدبه الرفيع، فما معنى أن يواجه هذا الرجل الذي لغى في كلامه بهذه الشدة والحدة، ويزجره بهذه الطريقة الجارحة، والمهينة؟!

بل ما معنى أن يتسبب له بهذه المذلة، وينزل به هذا العار الذي سوف يلاحقه مدى الحياة؟!

ونجيب:

إن الرواية قد جاءت قاصرة عن بيان حقيقة ما صدر عن ذلك الرجل، فإن من الواضح: أن مجرد أن يعجل أحدهما في الكلام ويزيد فيه ـ كما تدعى رواية الديلمي ـ لا يستدعي هذا الموقف القاسي منه

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص281 و 282.

«عليه السلام»(1).

فلعل اللغو الذي صدر من ذلك الرجل كان هائلاً، وعظيماً، استحق به هذه العقوبة منه «عليه السلام». لأنه تجرأ على إمامه، فاستحق أن يعاقب.

وهذا ما صرحت به رواية رواها الشريف الرضي «رحمه الله» في كتابه: خصائص الأئمة، حيث ذكر: أن أحد الرجلين كان من الخوارج، وأنه لما حكم عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: «والله، ما حكمت بالسوية، ولا عدلت في القضية، وما قضيتك عند الله بمرضية»، فحينئذ قال له «عليه السلام»: «إخسأ عدو الله، فاستحال كلباً أسوداً، وتطايرت عنه ثيابه في الهواء..

فجعل يبصبص(2) لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ودمعت عيناه في وجهه، فرق له «عليه السلام».

فلما أعاده «عليه السلام» بدعائه إلى حال الإنسانية، وتراجعت ثيابه في الهواء حتى رأى «عليه السلام» تعجب الناس قال لهم: أما تعلمون أن آصف بن برخيا وصي سليمان بن داود قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر؟! فقص الله جل اسمه قصته في القرآن.. ثم ذكر

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص280 و282.

(2) البصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعاً أو خوفاً. راجع: لسان العرب، مادة بصبص.

الآيات حول المجيء بعرش بلقيس..

إلى أن قال: «فأيما أكرم على الله، نبيكم؟! أم سليمان «عليه السلام»؟!

قالوا: بل نبينا «صلى الله عليه وآله» أكرم يا أمير المؤمنين.

قال: فوصي نبيكم أكرم من وصي سليمان. وإنما كان عند وصي سليمان «عليهما السلام» من اسم الله الأعظم حرف واحد. فسأل الله جل اسمه، فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، فتناوله في أقل من طرفة العين.. وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به دون خلقه.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، فإذا كان هذا عندك، فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره، واستنفارك الناس إلى معاوية (حربه - خ) ثانية؟!

فقال «عليه السلام»: بل **(عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)**[1]. إنما أدعو هؤلاء القوم إلى قتاله ليثبت الحجة وكمال المحنة (المحجة - خ)، ولو أذن لي في إهلاكه لما تأخر، لكن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء.

قالوا: فنهضنا من حوله ونحن نعظم ما أتى به «عليه السلام»[2].

---

(1) الآيتان 26 و 27 من سورة الأنبياء.

(2) خصائص الأئمة ص46 و 47 والبرهان (تفسير) ج6 ص26 و 27 والعقد

ونقول:

إن تحول ذلك الرجل إلى كلب بمجرد وصف علي «عليه السلام» له بذلك يشير إلى أنه «عليه السلام» قد قصد بكلامه هذا إحلال العقوبة به، ليكون عبرة لمن اعتبر، وليحفظ إيمان أصحابه بإمامته من خلال تلمس صفات الإمامة فيه، وقد أشار قول زيد بن كثير ـ حسب رواية الديلمي ـ: ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا، فنشك فيك، فندخل النار[1]. ـ أشار إلى ارتباط هذه الأمور بعقيدة الإمامة بصورة واضحة.

ولو لم يقصد «عليه السلام» إحلال العقوبة به بنفس قوله هذا، لم يحصل لذلك الرجل شيء مما حصل.

ويدلنا على ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف عمرو بن عبد ود بـ «الكلب» حين عبر الخندق مع بعض المشركين، وصار يطلب من المسلمين المبارزة، فقال «صلى الله عليه وآله»: «من لهذا الكلب»؟![2].

النضيد والدر الفريد ص40 ـ 42 ومدينة المعاجز ج1 ص308 ـ 310.

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص282 عن إرشاد القلوب.

(2) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» (الطبعة الرابعة) ج9 ص331 و (الطبعة الخامسة) ج11 ص119 وراجع: بحار الأنوار ج20 ص226 وشجرة طوبى ج2 ص288 وتفسير القمي ج2 ص183 وتفسير نور الثقلين ج4 ص250 والتفسير الصافي ج4 ص175.

ولم توجب هذه الكلمة تحول عمرو إلى كلب. فلو أنه «صلى الله عليه وآله» قد قصد حصول ذلك له، لكان قد حصل بلا ريب، لأنه الرجل الذي كان علي «عليه السلام» يأخذ عنه، ويقتدي به، ويتعلم منه.. بل كان «عليه السلام» يقول: «أنا عبد من عبيد محمد»(1).

2 ـ تنص الرواية المتقدمة: على أن تحول ذلك الرجل من الحالة التي أصبح عليها، وهي كونه كلباً إلى الحالة التي كان عليها ليصبح بشراً سوياً، إنما حصل بعد أن حرك «عليه السلام» شفتيه بكلام.

وهذا يدل: على أنه «عليه السلام» كان يتصرف انطلاقاً من ضوابط، ويستفيد من وسائل يملكها، وطرق يعرفها. تمكنه من خرق العادة إلى هذا الحد..

ومن المعلوم: أن أحداً سواه وسوى الأنبياء والأوصياء لم يكن يملك تلك الوسائل والمعارف، فهذا الأمر إذن هو من دلائل إمامته، ومن الحجج التي هيأها الله تعالى له، لتكون رحمة للناس، لأنها في متناول أيديهم ليستدلوا بها، ولتسهل عليهم الخروج من الضلال إلى الهدى، أو لتزيد من يقينهم، وليربط بها على قلوبهم، حين يحتاج

(1) الكافي ج1 ص90 وشرح أصول الكافي ج3 ص130 و 131 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص313 وغوالي اللآلي ج1 ص292 والفصول المهمة في أصول الأئمة ج1 ص168 وبحار الأنوار ج3 ص283 ونور البراهين ج1 ص430 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص64 وميزان الحكمة ج1 ص144 وج4 ص3207 ونور الثقلين ج5 ص233.

الأمر إلى ذلك..

يضرب برجله صدر معاوية:

وفي الرواية: أنه «عليه السلام» لو شاء أن يضرب صدر معاوية برجله، وهو في الكوفة ومعاوية في الشام، فيقلبه على أم رأسه لفعل. وكما أنه لو أقسم على الله أن يؤتى بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف لفعل، وقد حصل ذلك لآصف بن برخيا بالنسبة لعرش بلقيس، فلماذا لا يحصل نظيره لعلي «عليه السلام»؟! فليس هذا أمراً مستهجناً. فقد ورد عن الإمام الباقر والصادق «عليهما السلام»: أن الأرض قد طويت لآصف بن برخيا إذا أراد طواها، بحيث جعل الله القطعة التي عليها السرير إلى جانب القطعة التي في مجلس سليمان «عليه السلام»، فما كان من آصف إلا أن جر السرير من هنا إلى هنا، وعادت الأرض كما كانت في أقل من ارتداد الطرف.

مع أن آصف بن برخيا كان عنده من الاسم الأعظم حرف واحد، فكيف بأمير المؤمنين الذي كان عنده اثنان وسبعون حرفاً؟![1].

---

(1) راجع: بصائر الدرجات ج1 ص408 و 400 و 412 و (ط أخرى) ص203 و 204 و 205 والكافي ج1 ص230 و (ط أخرى) ص179 و 180 والبرهان (تفسير) ج6 ص23 - 27 والإختصاص ص207 وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص46 وبحار الأنوار ج33 ص280 - 282 وعن إرشاد القلوب للديلمي تارة عن الإمام الباقر «عليه السلام»،

كما أن الله تعالى قد وصف الذي جاء بعرش بلقيس: بأنه كان عنده علم من الكتاب ـ كما أشارت إليه الآية التي أضافت كلمة «من» بالنسبة لآصف، فقالت ـ: **(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ..)**[1]. وقال عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن عنده علم الكتاب كله.. وهو قوله تعالى: **(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)**[2].

فإنها نزلت في علي «عليه السلام»، وهذا بالذات هو ما أكدته الروايات عنهم «عليهم السلام».

فإن إنكار حصول هذا الأمر، استناداً إلى أنه فوق طاقة البشر، في غير محله، فإن القرآن قد صرح بإمكانه. فلماذا لا ينكرون تناول آصف بن برخيا عرش بلقيس، وإحضاره لسليمان «عليه السلام»، وهو وصيه، وينكرون ذلك على وصي محمد «صلى الله عليه وآله» مع أن نبينا أفضل من سليمان، ووصيه أفضل من وصيه؟! ثم بيَّن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن ما يدعوهم لذلك هو جحود حقهم، وإنكار فضلهم «عليهم السلام»[3].

وأخرى عن ميثم التمار عن علي «عليه السلام».

(1) الآية 40 من سورة النمل.

(2) الآية 43 من سورة الرعد.

(3) راجع المصادر المذكورة آنفاً.

لا يسبقونه بالقول:

وحين قيل لأمير المؤمنين «عليه السلام»: ما لك تجهز العسكر، ولك مثل هذه القدرة؟! فما بالك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة؟!

كان جوابه ـ بعد التمهيد له بضرب صدر معاوية برجله ـ: «ولكن (**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**)[1]».

وقد صرح «عليه السلام» إضافة إلى ذلك: بأنه وإن كان قادراً على إهلاك معاوية، والإستغناء بذلك عن الحرب، ولكن هذا لم يكن هو الخيار المطلوب، ولا يتوافق مع السياسة الإلهية للعباد، فقد قال حسب رواية

الرضي: «إنما أدعو هؤلاء القوم إلى قتاله لثبوت الحجة، وكمال المحنة، ولو أذن لي في إهلاكه لما تأخر، لكن الله تعالى يمتحن خلقه بما يشاء»[2].

فدل ذلك: على أنه «عليه السلام» وإن كان يملك هذه القدرة، بمعنى: أن صلته بالله تعالى هي التي خولته الحصول على هذه

---

(1) راجع: الآيات 26 و27 من سورة الأنبياء.

(2) خصائص الأئمة ص47 والبرهان (تفسير) ج6 ص27 والعقد النضيد والدر الفريد ص42 ومدينة المعاجز ج1 ص310.

الكرامة والمنحة الإلهية، ولكنه لم يكن له أن يستفيد منها في سياسته مع الناس، إلا حين ترتفع الموانع، ويأذن الله له باستعمالها، ولا يأذن الله تعالى بذلك إلا في موقع العقوبة، أو إرادة حفظ أساس الدين، بإظهار معنى النبوة والإمامة، بإظهار بعض شؤونها بحيث لا يؤدي ذلك إلى قهرهم، وإلى إلغاء الإختيار الذي هو أغلى ما في الإنسان، لأن صيرورته في موقع المقهور، معناه: أنه فقد عنوان وجوده، وأفرغ من محتواه. وهذا يتنافى مع السنة الإلهية فيه، بل هو ظلم له، يستحيل صدوره منه تعالى..

أين النظرة إذن؟!:

وقد ذكرت رواية الديلمي عن ميثم التمار: أن معاوية لما تلقى الضربة التي أسقطته عن سريره صاح: «يا أمير المؤمنين، فأين النظرة»[1].

وهذه هي نفس كلمة إبليس حين طرده الله تعالى من رحمته، فقد قال: (**فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**)[2].

وبذلك يكون معاوية قد أشبه جده إبليس، أو فقل: قد ورث جده إبليس في هذا الأمر.

---

(1) من الآية 79 - 81 من سورة

(2) راجع: بحار الأنوار ج33 ص282.

الفصل الثالث:

نصب العمال وعزل قيس..

علي × ينصب العمال:

قالوا: ثم إن علياً «عليه السلام» أقام بالكوفة، واستعمل العمال.

روى نصر، عن عمر بن سعد قال: حدثنا يحيى بن سعيد، والصقعب بن زهير، عن يوسف وأبي روق: أن علياً حين قدم من البصرة إلى الكوفة بعث يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن وجوخا[1] كلها.

وقال أصحابنا: وبعث مخنف بن سليم على أصبهان وهمدان.

روى نصر، عن محمد بن عبيد الله، عن الحكم، قال: لما هرب مخنف بالمال قال علي «عليه السلام»: «عذرت القردان فما بال الحَلَم؟!

ثم رجع إلى حديث عمر بن سعد، قال: وبعث قرظة بن كعب على البهقباذات.

---

(1) جوخا: اسم بلد في نواحي المدائن.

وبعث قدامة بن مظعون الأزدي على كسكر.

وعدي بن الحارث على مدينة بهرسير وأستانها.

وبعث أبا حسان البكري على أستان العالي.

وبعث سعد بن مسعود الثقفي على أستان الزوابى.

واستعمل ربعي بن كأس على سجستان - وكأس أمه يعرف بها - وهو من بني تميم.

وبعث خليدا إلى خراسان.

فسار خليد حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا، ونزعوا يدهم من الطاعة، وقدم عليهم عمال كسرى من كابل.

فقاتل أهل نيسابور فهزمهم، وحصر أهلها، وبعث إلى علي بالفتح والسبي. ثم صمد لبنات كسرى فنزلن على أمان، فبعث بهن إلى علي «عليه السلام»، فلما قدمن عليه قال: أزوجكن؟!

قلن: لا، إلا أن تزوجنا ابنيك، فإنا لا نرى لنا كفواً غيرهما.

فقال علي «عليه السلام»: اذهبا حيث شئتما.

فقام نرسا، فقال: مر لي بهن، فإنها منك كرامة، فبيني وبينهن قرابة.

ففعل. فأنزلهن نرسا معه، وجعل يطعمهن ويسقيهن في الذهب

والفضة، ويكسوهن كسوة الملوك، ويبسط لهن الديباج(1).

ونقول:

1 ـ القردان: جمع قراد ـ بالضم ـ والحلم: جنس منه صغار. والقراد: دويبة تلتصق بالجلد، وتمتص الدماء.

2 ـ بهقباذات: ثلاث كور ببغداد، منسوبة إلى قباذ بن فيروز. والد أنوشروان.

3 ـ بهرسير: من نواحي سواد بغداد.

4 ـ الأستان ـ بالضم ـ: السواد والقرى.

5 ـ استان العالي: كورة في غربي بغداد من السواد، تشتمل على أربعة طساسيج. وهي: الأنبار، وبادوريا، وقطر بل، ومسكن.

6 ـ الزوابي: جمع زاب، وهو النهر. وفي العراق أربعة أنهر: نهران فوق بغداد، ونهران تحتها.

نصب العمال كان تدريجياً:

ونقول حول نصب علي «عليه السلام» لعماله:

1 ـ ذكرنا في الفصول السابقة: من هذا الكتاب قولهم: إنه «عليه السلام» قد تصدى لنصب العمال في البصرة، وفي المدينة قبل أن يصل «عليه السلام» إلى الكوفة.

---

(1) صفين للمنقري ص10 ـ 12 وراجع: أعيان الشيعة ج6 ص335.

ومرادهم: أنه «عليه السلام» قد نصب بعضهم على بعض البلاد بعد البيعة له في المدينة، ثم نصب بعضاً آخر منهم على البلاد الأخرى في البصرة.. وها هو في الكوفة يكمل نصب العمال على ما بقي من البلاد..

2 ـ لعل المصلحة اقتضت هذا التأني والتدرج في إنجاز هذه المهمة. ربما لأنه لا يريد أن يفاجئ بعضهم بالعزل، لأنه يريد له أن يطمئن إلى أن علياً «عليه السلام» لا يعاديه، ولا يأبى من الإستفادة من جهده، إذا أظهر عملياً ما يتوقعه ويتوخاه منه، من الصلاح والإستقامة.

ولعل بعضهم قد تسول له نفسه أنه لن يكون مرضياً لعلي «عليه السلام»، ولن يتمكن من التعامل معه، ويحسب أن من مصلحته في الإبتعاد عنه، واللجوء إلى معاوية. فاستعجاله باستبدالهم بغيرهم، قد يعجل لجوئهم إلى هذا الخيار السيء، الذي يهلكون به أنفسهم، ويخسرون آخرتهم.

خيانة مخنف بن سليم:

وقد أشار النص المتقدم إلى خيانة مالية حصلت من مخنف بن سليم، وقد بين «عليه السلام» هذا الأمر في ضمن كلمة صارت مثلاً، وهي قوله: عذرت القردان، فما بال الحلم؟! وكأنه «عليه السلام» يريد أن يشير بها إلى أمرين:

أحدهما: ضآلة شأن مخنف، وصغر نفسه، وخمود همته، بحيث لا يتوقع من مثله أن يقدم على أمر ذي بال، أو أن يجترئ على الأمور الصعبة.

الثاني: أن القرادة تسعى لامتصاص الدماء بحسب طبعها، وفي الناس من له هذا الطبع، فيسعى لسلب الناس أموالها، والإستئثار بها لنفسه، ولا يبالي بعد هذا بأي تبعة تترتب على ذلك، لأن كل همه منصرف إلى الجمع والتكديس، والتكثير من حلال أو من حرام.

طموحات بنات كسرى:

أما بالنسبة لبنات كسرى، فنقول:

1 ـ لقد لفت نظرنا رفض بنات كسرى ما عرضه عليهن أمير المؤمنين «عليه السلام» من الزواج. وعدم قبولهن بأن يختار «عليه السلام» لهن من يراه صالحاً. وكانت حجتهن على هذا الرفض أنهن لا يرين أحداً كفؤاً لهن غير ابنيه.

ولا شك في أنه «عليه السلام» سيرفض ذلك منهن.

أولاً: لأنه يعلم أن اختيارهن ابنيه للزواج إنما انطلق من المنطق الذي يعتبر المناصب الدنيوية هي المعيار في الشرف والكرامة. وهي التي يقاس عليها موضوع الكفاءة وعدمه.. في حين أن علياً «عليه السلام» يرى الكفاءة بالإسلام والدين، والأخلاق والقيم.

ثانياً: إنه «عليه السلام» يرفض هذه المشاعر الطبقية المريضة

والبغيضة، لأنها تقوم على أساس واه، وساقط في المفهوم الإيماني، والإدراك العقلي، والمضمون الشرعي، والوجداني، لأن مجرد كون هذه البنت هي بنت فلان من الناس لا يبرر تفضيلها على أي إنسان آخر، ما دام أنها لم تقدم أي إنجاز إنساني، أو إيماني، أو أخلاقي، فكيف إذا كان من تنتسب إليه وتعتز به من الظالمين والجبارين، أو من المجرمين الذين يقهرون الناس بسلطانهم، ويمنعونهم حقوقهم، ويعتدون على حرياتهم، ويتدخلون بغير حق في مختلف شؤون حياتهم؟!

فإن قلت: في الإسلام بعض الأحكام التي توحي بذلك، مثل استصفاء بعض السبايا، واختصاص النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام» بها، وما ورد من القول: ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وغير ذلك..

فالجواب: إن الأمر في بنات كسرى لم يقتصر على ذلك، بل تجاوزه إلى التعالي اعتزازاً بالكفر والكافرين، والظلم والظالمين على أهل الإيمان والطهارة، والصلاح والجدارة.. وليس هذا من مورد الرفق بالعزيز الذي ذل، ونحو ذلك.

2 ـ إن هذا وذاك هو السبب في أنه «عليه السلام» أعرض عنهن، واكتفى بالوفاء بالأمان لهن. فأطلق لهن الحرية في الذهاب حيث شئن، فلما طلب أحدهم منه ـ وهو نرسا ـ أن يخصه بهن كرامة منه له، وتعهد بأن يرعى قرابتهن أنعم «عليه السلام» له بذلك.

3 ـ إن إعطاءهن لنرسا كان بمثابة جواب سلبي وعملي منه «عليه السلام» على ما ظهر منهن من عنجهية واستكبار، وإنزال لهن عن المقام الذي ادعينه لأنفسهن، لأن إعطاءهن الأمان معناه: الإكتفاء بحفظ حياتهن، بالرغم من الجرم الذي ارتكبوه بإثارة القتال ضد عامله.. ولا يعني إعطاءهن إمتيازات لسن أهلاً لها. وهذا ظاهر.

4 ـ إنه «عليه السلام» قد أحسن إليهن حين أعطاهن لمن لا يسيء لهن، بل يكرمهن، ويهتم بتهيئة العيش الذي يروق لهن، بحيث لا يرين أن ثمة فرقاً بين حياتهن السابقة واللاحقة.

تذكير:

وبعد.. فإن الرواية لم تصرح بعدد بنات كسرى، فلعلهن كنَّ اثنتين فقط، كما يفهم من قوله «عليه السلام»: اذهبا حيث شئتما، والحديث عنهن بصيغة الجمع ليس بالأمر المستهجن.

مما سبق:

قلنا فيما سبق: إن الظاهر هو أنه «عليه السلام» قد ولى قيس بن سعد بلاد مصر بعد قتل عثمان بيسير.. وقد كتب له كتاب العهد في أوائل شهر صفر.. فسار إليها ثم قدم عليه فحضر حرب الجمل، وبعدها عاد إلى مصر، إلى أن عزله بمحمد بن أبي بكر في غرَّة شهر رمضان المبارك.. فعاد قيس إلى المدينة، ثم إلى الكوفة.

وقد تحدثنا في هذا الكتاب(1) عن بعض ما جرى لقيس في ولايته على مصر، ولا سيما ما كان بينه وبين أهل خربتا من الموادعة والمسالمة.

وذكرنا: أن أمر قيس قد ثقل على معاوية جداً، لقربه من الشام، ومخافة أن يُقبل إليه علي «عليه السلام» بأهل العراق، وقيس بأهل مصر، فيقع بينهما. وعرف أنه لا سبيل له إلى مصر ما دام قيس بن سعد فيها. فبذل معه أقصى ما يستطيع من الجهد ليستميله إليه، فلم يصل إلى نتيجة.

وفي هذا الفصل إجمال لبعض ما جرى بين قيس وبين معاوية.. وكيف كاده معاوية عند علي «عليه السلام».. وذلك ضمن ما يلي من عناوين:

مكاتبات بين قيس ومعاوية:

كتب معاوية إلى قيس بن سعد، وعلي «عليه السلام» بالكوفة، قبل أن يسير إلى صفين رسالة يقول فيها:

«أما بعد.. فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها، أو في ضربة سوط رأيتموه ضربها، أو في شتمة رجل، أو تعييره واحداً، أو في استعماله الفتيان من أهله، فإنكم قد علمتم ـ إن كنتم

______

(1) راجع الجزء الحادي والعشرين ص131 فما بعدها.

تعلمون ـ أن دمه لم يحل لكم بذلك».

ثم طلب من قيس إن كان ممن أجلب على عثمان أن يتوب إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً.

ثم ذكر أنه تيقن من أن علياً «عليه السلام» قد أغرى بعثمان.. و «أنه لم يسلم من دمه عظم قومك». ثم طلب منه أن يكون من الطالبين بدم عثمان، وقال: «وبايعنا على أمرنا هذا، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان الخ..»(1).

فأجابه قيس:

أما بعد.. فقد وصل إلي كتابك، وفهمت ما ذكرت من قتل عثمان، وذلك أمر لم أقاربه.

وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان، ودسهم إليه حتى قتلوه، وهذا أمر لم أطلع عليه.

وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان، فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي..

وأما ما سألتني من متابعتك على الطلب بدمه، وعرضت علي ما عرضت فقد فهمته، وهذا أمر لي فيه نظر وفكر، وليس هذا مما يعجل

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص213 و 214 وبحار الأنوار ج33 ص536 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص60 والدرجات الرفيعة ص338.

إليه.. وأنا كافٌّ عنك، وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعاً مكايداً..

فكتب إليه معاوية أيضاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فقد قرأت كتابك، فلم أرك تدنو فأعدك سلماً، ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً، أنت ههنا كجمل جرور، وليس مثلي من يصانع بالخدائع، ولا يختدع بالمكايد، ومعه عدد الرجال، وأعنة الخيل.. فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل ملأت عليك مصر خيلاً ورجلاً.. والسلام.

قال: فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية، وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في قلبه، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان..

أما بعد.. فالعجب من استسقاطك رأيي، واغترارك بي، وطمعك في أن تسومني ـ لا أبا لغيرك ـ الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة

أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيلة، ولديك قوم ضالون مضلون، طواغيت إبليس..

وأما قولك: إنك تملأ عليَّ مصر خيلاً ورجلاً، فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد.. والسلام.

فلما أتى معاوية كتاب قيس بن سعد أيس منه، وثقل مكانه عليه، وكان أن يكون بالمكان الذي هو به غيره أعجب إليه، واشتد على معاوية لما يعرف من بأسه ونجدته، فأظهر للناس قِبَلَه أن قيساً قد بايعكم.. فادعوا الله له.

وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وقاربه، واختلق معاوية كتابا نسبه إلى قيس، فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد..

أما بعد.. فإن قتل عثمان كان حدثا في الإسلام عظيماً، وقد نظرت لنفسي وديني لم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً براً تقياً، ونستغفر الله لذنوبنا، ونسأله العصمة لديننا، ألا وإني قد ألقيت إليك بالسلم، وأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم، فعول علي فيما أحببت من الأموال والرجال أعجله إليك إن شاء الله تعالى.. والسلام عليك.

قال: فشاع في أهل الشام كلها: أن قيساً صالح معاوية، فسرحت

عيون علي بن أبي طالب «عليه السلام» إليه بذلك.

فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره، وتعجب له، ودعا ابنيه: الحسن والحسين، وابنه محمداً.. ودعا عبد الله بن جعفر، فأعلمهم بذلك، وقال: ما رأيكم؟!

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيس بن سعد عن مصر.

فقال لهم: إني والله ما أصدق بهذا على قيس.

فقال له عبد الله بن جعفر: اعزله يا أمير المؤمنين، فوالله إن كان ما قد قيل حقاً لا يعتز لك إن عزلته.

قال: وإنهم لكذلك إذ أتاهم كتاب من قيس بن سعد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فإني أخبر أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ أن قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكف عنهم، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى ويرون. وقد رأيت أن أكف عنهم، وألا أعجل، وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم، ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله.. والسلام.

فقال له عبد الله بن جعفر: ما أخوفني يا أمير المؤمنين أن يكون هذا مما اتهم عليه، إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها، ولكن مره بقتالهم.

فكتب إليه علي «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وإلا فناجزهم.. والسلام.

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين:

أما بعد يا أمير المؤمنين، فالعجب لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك، ولم يمدوا إليك يداً للفتنة، ولا أرصدوا لها، فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم، فإن الرأي تركهم يا أمير المؤمنين، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً، فوالله لبلغني أن قيساً يقول: إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مُخَلَّد لسلطان سوء، والله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر وأني قتلت ابن مخلد.

وكان عبد الله بن جعفر أخاً لمحمد بن أبي بكر لأمه، وكان يحب أن يكون له إمرة وسلطان(1).

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص214 - 219 وراجع: الدرجات الرفيعة ص338 - 340 وأعيان الشيعة ج8 ص454 وبحار الأنوار ج33 ص536 - 539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص60 - 63 وراجع: أنساب الأشراف

عزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر مصر:

قال: فبعث علي بن أبي طالب «عليه السلام» محمد بن أبي بكر إلى مصر، وعزل قيساً، وكتب معه إلى أهل مصر كتاباً، فلما قدم على قيس قال له قيس: فما بال أمير المؤمنين؟! ما غيَّره؟! أدخل أحد بيني وبينه؟!

قال: لا، وهذا السلطان سلطانك ـ وكان بينهما نسب، إذ كانت تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق، فكان قيس زوج عمته ـ فقال قيس: لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة، وغضب حين عزله علي «عليه السلام» عنها، فخرج منها مقبلاً إلى المدينة، ولم يمض إلى علي «عليه السلام» بالكوفة. وكان قيس مع شجاعته ونجدته جواداً مفضالاً.

عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن قيساً لما خرج عن مصر، فمر بأهل بيت من بلقين (وفي نص آخر: أن الرجل من بلي، يقال له: الأسود)**(1)**، فنزل بينهم، فنحر لهم صاحب المنزل جزوراً، فأتاهم بها، فقال: دونكم هذه، فلما كان الغد نحر لهم أخرى، ثم جستهم السماء اليوم الثالث، فنحر لهم ثالثة، فأتاهم فقال: دونكم هذه، ثم إن السماء

ص390 - 392 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص554 - 555.

(1) الغارات للثقفي ج1 ص221 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص64 والدرجات الرفيعة ص341 وراجع: الإصابة ج1 ص340 .

أقلعت.

فلما أراد قيس أن يرتحل ـ وكان جواداً ـ وضع عشرين ثوباً من ثياب مصر، وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل، وقال لها: إذا جاء صاحبك فادفعي هذه إليه.

وخرج قيس بن سعد، فما أتت عليه إلا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس ومعه رمح، والثياب والدراهم بين يديه، فقال: يا هؤلاء، خذوا ثيابكم ودراهمكم.

فقال قيس: انصرف أيها الرجل، فإنَّا لم نكن لنأخذها.

فقال الرجل: والله لتأخذنها.

فعجب قيس منه، ثم قال: لله أبوك! ألم تكرمنا وتحسن ضيافتنا، فكافأناك، فليس بهذا بأس؟!

فقال الرجل: إنا لا نأخذ لقرى ابن السبيل والضيف ثمناً، والله لا أفعل ذلك أبداً.

فقال قيس: أما إذ أبى ألا يأخذها فخذوها. فوالله ما فضلني رجل من العرب قط غيره.

إلى أن قال الثقفي:

ثم أقبل قيس حتى دخل المدينة، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به، وكان عثمانياً، فقال له: نزعك علي بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر.

فزجره قيس، وقال له: يا أعمى القلب يا أعمى البصيرة، والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، أخرج عني.

ثم إن قيساً وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي الكوفة، فخبره قيس الخبر، وما كان بمصر، فصدقه[1].

وقال الثقفي أيضاً:

«كان قيس على مصر عاملاً لعلي «عليه السلام»، فجعل معاوية يقول: لا تسبوا قيساً، فإنه معنا.

فبلغ ذلك علياً، فعزله، وأتى المدينة، فجعل الناس يغرونه (لعل الصحيح: يعيرونه) ويقولون له: نصحت فعزلك!!

فلحق بعلي عليه السلام ، وبايعه ومعه اثنا عشر ألفاً على الموت[2].

وقال المسعودي:

وكتب معاوية إلى قيس وهو في مصر:

أما بعد.. فإنك يهودي ابن يهودي، فإن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك، واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك. وقد كان

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص219 - 222 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص63 - 64 والدرجات الرفيعة ص340 - 341 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص555 والكامل في التاريخ ج3 ص272.

(2) الغارات للثقفي ج1 ص223.

أبوك أوتر قوسه، ورمى غرضه، فأكثر الجد، وأخطأ القصد، فخذله قومه، وأدركه يومه، ثم مات بحوران طريداً. والسلام.

فكتب إليه قيس:

أما والله، فإنما أنت وثني ابن وثني، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك.

وقد كان أبي أوتر قوسه، ورمى غرضه، فشغب به من لم يبلغ عقبه، ولا شق غباره، ونحن أنصار الدين الذين منه خرجت، وأعداء الدين الذي فيه دخلت. والسلام(1).

ونقول:

ولا مجال لاستقصاء جميع ما أشير إليه في النصوص المتقدمة، ولعل أكثره قد أصبح مفهوماً من خلال الكثير من البيانات التي مرت معنا في كتابنا هذا..

من أجل ذلك نقتصر على ما يلي:

ما أصغر ذنوب عثمان!!:

إن طريقة عرض معاوية لذنوب عثمان في رسالته لقيس بن سعد، المتقدمة في أول هذا الفصل هي نفسها طريقة عائشة، وأصحاب الجمل.. فإنها تعتمد طريقة تهوين شأن تلك الذنوب،

---

(1) مروج الذهب ج3 ص16 و 17.

وتبسيطها إلى حد تبدو وكأنها مجرد ضرب طفل بباقة ورد، أو لمسة لريش نعام، أو لمنديل من حرير خالص.. لا تستحق سوى الحمد، والثناء، وشكر أهل الأرض والسماء، على ما بذله من أجلهم من تعب وعناء..

إنهم يقولون للناس: إن غاية ما أخذوه على عثمان، وقتلوه من أجله هو مجرد أثرة رأوها، أو ضربة بسوط، أو شتمة لرجل، أو تعييره (أو تسييره) واحداً من الناس. أو استعماله الفتيان من أهله.. وكل ذلك لا يوجب شيئاً مما واجهوه به.. وما انتهى إليه أمره..

ويا ليت هؤلاء يذكرون للناس ما فعله بأبي ذر، وضربه لعمار بن ياسر وابن مسعود، وابن حنبل.. وسواهم.. أو يذكرون للناس كيف واجه موضوع الكتاب المرسل لواليه في مصر، الذي يأمره فيه بقتل المصريين الذين جاؤوا ليشكوه إلى الخليفة..

وكيف كان يعطي العهود لأمير المؤمنين «عليه السلام» بإصلاح الفاسد من الأمور، ثم يعلن تراجعه عن وعوده تلك، ليتضح ـ من ثم ـ أنه يجمع الرجال من كل اتجاه للبطش بالناس الذي يطالبونه بالإصلاح، وكان قد وعدهم به.

وليتهم يذكرون أن عائشة كانت من أشد المحرضين على عثمان، والآمرين بقتله، وأن معاوية قد خذله، ولم يسمح للنجدة بأن تصله، كما أن من جملة قادة الهجوم عليه نفس الذين طالبوا علياً «عليه السلام» بدمه، وقاتلوه عليه..

ليت معاوية يقيس ما يقدم عليه من شن حرب على إمامه يقتل بها عشرات الألوف من أهل القبلة بدعوى معاوية وحزبه دون غيرهم أنه قد خذل عثمان، ولم ينصره، مع أن معاوية نفسه كان من خاذليه أيضاً، بل من جملة من أسهم في قتله. كما أن رفيقه عمرو بن العاص هو الذي نكأ القرحة التي أدماها، فقتل عثمان بسبب ذلك..

فإذا كان خذلان عثمان أمراً صغيراً ولا يدَّعيه على علي «عليه السلام» إلا معاوية وحزبه، ولا يمكن أن يقاس بقتل حوالي ثمانين ألف رجل من أهل القبلة. فلماذا لا يتراجع معاوية عنه؟! ولماذا يصر على ارتكابه انتقاماً لذلك الأمر الذي ليس بذي أهمية؟!

رشاوى معاوية:

وقد وعد معاوية قيس بن سعد بأنه إن بايعه فله سلطان العراقين وسلطان الحجاز لمن أحب من أهل بيته، كما أنه سيلبي له أي طلب آخر، فهل ورث معاوية بلاد الإسلام عن أبيه، أو عن أخيه؟!

ولست أدري أنه أحياها بكد يده؟! أو اشتراها بماله؟! أو أنها منحة منحه الله إياها حتى صار يهبها لمن يشاء؟! فتارة يجعل ملك مصر طعمة لعمرو بن العاص. وأخرى يجعل العراقين والحجاز طعمة لقيس بن سعد، ولمن شاء من أهل بيته. مقابل قتال وقتل الإمام الذي بايعته الأمة، ورضيه المهاجرون والأنصار، بعد قتل عثمان، ورضيه الله ورسوله للأمة إماماً في يوم الغدير..

وهل صار بذل مصر لابن العاص، والعراقين، والحجاز لقيس غير ذي أهمية، ولا يستحق حتى الإعتراض لأجله من أحد على معاوية؟! مع العلم بأن معاوية لم يكن سوى متغلب غاصب، ومعتد على حقوق الناس، وخارج على إمام زمانه.

وهل كانت ثورة المسلمين على عثمان إلا لأجل مثل هذه الأعمال التي صغَّرها معاوية وصغرتها قبله عائشة. واعتبرتها أموراً عادية، ولا أهمية لها؟!

قيس يكشف دخيلة معاوية:

وقد لاحظنا: أن قيس بن سعد قد نجح في دفع معاوية للكشف السريع عن وجهه الحقيقي، حيث إنه بعد أن ادعى لقيس أنه إنما يريد الطلب بدم عثمان، وعرض عليه ملك العراقين والحجاز كرشوة له لم يزد قيس على أن طلب المهلة للتأمل فيما عرضه عليه.. فثارت حفيظة معاوية، وبادر إلى تهديده بالحرب، فدل بذلك على أنه يتعامل مع الناس بمنطق الجبارين، ويسعى لإرغامهم على الإنصياع لإرادته.. ففتح بذلك الباب أمام قيس ليبين له أنه ليس أهلاً للطاعة، ولا يجوز أن يقاس بأمير المؤمنين «عليه السلام» أحد من الناس.. وذلك لأمور أربعة، كانت فيه، وكان في معاوية أضدادها، وهي:

1 - أن علياً «عليه السلام» أولى الناس بالأمر.. ومعاوية أبعد الناس من هذا الأمر.

2 ـ إنه «عليه السلام» أقول الناس بالحق.. ومعاوية أقولهم بالزور.

3 ـ إنه «عليه السلام» أهدى الناس سبيلاً، ومعاوية أضلهم سبيلاً.

4 ـ إنه «عليه السلام» أقرب الناس من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيلة، ومعاوية أبعد الناس منه «صلى الله عليه وآله» وسيلة..

وقد زاد على ذلك: أن لدى معاوية قوماً ضالين مضلين، طواغيت إبليس.. أما أصحاب علي «عليه السلام» فليسوا كذلك.. بل هم هداة أخيار أبرار.

تصديق قول قيس بفعل معاوية:

ولم يجد معاوية سبيلاً إلى رد كلام قيس هذا، فلجأ إلى المراوغة، والمكايدة له بطرق ملتوية أخرى عمادها التضليل والتزوير والكذب، فصدقت أفعال معاوية أقوال قيس هذا، فكانت أدلة عملية عليها، صريحة وواضحة..

وظهر جلياً: أن ما يهم معاوية هو إبعاد الناس بذلك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن نهجه، ويكرس نهج الطواغيت والأبالسة كما هو ظاهر..

وعلى هذا الإساس جاءت رسالة معاوية التي زورها على لسان

قيس، وأشاعها في الناس، وفيها أن قيساً صالح معاوية، ووعده بإرسال الأموال والرجال إليه، وبأنه سيقاتل معه قتلة عثمان..

كل ذلك بهدف إفساد أمر قيس عند علي «عليه السلام» لكي يعزله عن مصر.. فكتبت عيون علي «عليه السلام» في الشام إليه، بما أشاعه معاوية.. حسبما تقدم..

نجاح مكيدة معاوية:

وقد نجح معاوية في مكيدته، فقد تحرك الذين في قلوبهم مرض، ممن كانوا عند علي «عليه السلام»، وكان هواهم مع معاوية لاستغلال هذه الشائعات في إشاعة الترهات على قيس لحمل أمير المؤمنين «عليه السلام» على عزله عن مصر. واتخذوا من كتاب قيس الذي أرسله إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ويخبره فيه بموادعته لمسلمة بن مخلَّد وأهل خربتا شاهداً على ما ادَّعوه من الريب في إخلاص قيس..

وخلاصة ما جرى: أن أهل مصر قد بايعوا أمير المؤمنين «عليه السلام» إلا قليل منهم، ومنهم مسلمة بن مخلد، كانوا بصدد القيام للطلب بدم عثمان، فدعاهم قيس، واتفق معهم على أن يكفوا عن ذلك ولا يطالبهم بالبيعة، حتى ينجلي الأمر بين العراق والشام.. ثم أرسل كتاباً إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يخبره بذلك.. وفيه يقول:

«وقد رأيت أن أكف عنهم ولا أتعجل بحربهم، وأن أتألفهم فيما

بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم، ويفرقهم (لعل الصحيح: يصرفهم) عن ضلالتهم إن شاء الله».

فقال عبد الله بن جعفر لأمير المؤمنين «عليه السلام»: ما أخوفني يا أمير المؤمنين أن يكون هذا مما أتهم عليه، إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر، وتفاقمت الفتنة، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها، ولكن مره بقتالهم(1).

وقد وصل كتاب قيس هذا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» حين وصول أخبار تزوير معاوية الكتاب على لسان قيس، وفيه: أن قيساً وعده أن ينحاز إليه، ويقاتل معه علياً «عليه السلام»..

فتلقف محبوا معاوية، كالأشعث بن قيس وأضرابه هذا الكتاب المزور، وأشاعوه في العراق.

فكتب «عليه السلام» إليه يأمره بقتالهم(2).

فكتب إليه قيس:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص554 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص530 وبحار الأنوار ج33 ص538 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص62 والدرجات الرفيعة ص340 والغارات للثقفي ج1 ص218.

(2) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص555 والغارات للثقفي ج1 ص218 و 219 وأنساب الأشراف ج3 ص163 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص531 وبحار الأنوار ج33 ص538 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص63 والدرجات الرفيعة ص340.

أما بعد، يا أمير المؤمنين، فالعجب لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك لم يمدوا يداً للفتنة، ولا أرصدوا لها، فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم فإن الرأي تركهم.. والسلام(1).

ولكن الأشعث، ومن هم على شاكلته صاروا يصرون على علي «عليه السلام» بعزل قيس عن مصر.

ولم تخف هذه المكيدة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد صرح «عليه السلام» بذلك، فقال: «إني والله ما أصدق بهذا عن قيس».

فأصروا عليه بعزله.. وقال له عبد الله بن جعفر: «فوالله إن كان ما قد قيل حقاً لا يعتزلك إن عزلته»(2).

ولكن قيساً كان فوق الشبهات، حيث إنه قد أثبت عملياً كذب تلك الأباطيل، فقد اعتزل بعزل أمير المؤمنين «عليه السلام» له..

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص555 والكامل في التاريخ ج3 ص271 والإصابة ج3 ص249 وأنساب الأشراف ج3 ص163 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص531 والغارات للثقفي ج1 ص219 والإستيعاب، وأسد الغابة ترجمة قيس بن سعد.

(2) راجع: الغارات للثقفي ج1 ص217 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص553 و (ط الأعلمي) ج3 ص554 والكامل في التاريخ ج2 ص355 وأنساب الأشراف ج3 ص163 وبحار الأنوار ج33 ص538 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص62 والدرجات الرفيعة ص339 و 340 .

ونحن لا نتهم عبد الله بن جعفر بشيء، بل كان ما يدّعوه إلى الإصرار على عزل قيس هو أن عبد الله بن جعفر كان أخا محمد بن أبي بكر لأمه أسماء بنت عميس، وكان يحب أن يكون له إمرة وسلطان(1).

والظاهر: أن عبد الله بن جعفر كان يتأثر بما يسمعه من شائعات، وما يثيره الأشعث وغيره من شبهات حول قيس.

ومما يشهد على أنه «عليه السلام» كان على علم بالمكر الذي تعرض له قيس: ما ذكره البلاذري، من أن معاوية وعمرو بن العاص قد كتبا إلى قيس كتاباً شتماه فيه، فأجابهما قيس بكتاب لطيف قاربهما فيه، فكتبا إليه يذكران شرفه وفضله، فأجابهما بمثل كتابه الأول.

فقالا: إنا لا نطيق مكر قيس، ولكن نمكر به عند علي، فبعثا بكتابه الأول إلى علي «عليه السلام»، فلما قرأه، قال أهل الكوفة: غدر والله قيس، فاعزله.

فقال علي «عليه السلام»: «ويحكم، أنا أعلم بقيس، إنه والله ما غدر ولكنها إحدى فعلاته».

قالوا : «فإنا لا نرضى حتى تعزله»، فعزله، وبعث مكانه محمد بن أبي بكر.

---

(1) الغارات للثقفي ج1ص219 وبحار الأنوار ج33 ص539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص63 والدرجات الرفيعة ص340.

فلما قدم محمد على قيس قال له قيس: إن معاوية وعمرو سيمكران بك، فإذا كتبا إليك بكذا فاكتب بكذا، فإذا فعلا كذا، فافعل كذا ولا تخالف ما آمرك به، فإن خالفته قتلت(1).

وهذا دليل آخر على إخلاص قيس، وعلى تفانيه في حب علي «عليه السلام»، وفي نصرته.

غضب قيس:

ويأتي هنا سؤال يقول: إذا كان قيس موالياً لأمير المؤمنين «عليه السلام»، عارفاً بمقامه وفضله، منقاداً لإمامته، فما معنى أن يفارقه ويذهب إلى المدينة ولا يرجع إليه إلى الكوفة، ويكون في كنفه وخدمته؟!

ونجيب:

أولاً: إن كلمة «وغضب حين عزله»(2). لا تدل على أنه «رحمه الله» قد غضب من علي «عليه السلام».

____

(1) راجع: أنساب الأشراف ج3 ص173 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص57 - 63 والغارات للثقفي ج1 ص211 - 219.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص555 و (ط الأعلمي) ج3 ص555 وراجع: الغارات ج1 ص220 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص63 والدرجات الرفيعة ص340 .

بل الظاهر: أنه غضب من الكيد الذي تعرض له عند علي «عليه السلام»، حتى لم يجد «عليه السلام» مناصاً من عزله.

ثانياً: عن الزهري: قدم قيس المدينة، فتوامر فيه الأسود بن أبي البختري ومروان أن يبيتاه، وبلغ ذلك قيساً، فقال: والله إن هذا لقبيح أن أفارق علياً وإن عزلني، والله لألحقن به. فلحق به الخ..(1).

فكتب معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما، ويقول: «أمددتما علياً بقيس بن سعد، ورأيه ومكايدته، فوالله لو أنكما أمددتماه بثمانية آلاف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ إلي من ذلك إخراجكما قيس بن سعد إلى علي»(2).

ثالثاً: إن الرواية نفسها تقول: إنه لما قدم المدينة جاء حسان بن ثابت شامتاً، وكان عثمانياً، فقال له: نزعك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم. ولم يحسن لك الشكر، فقال له قيس: يا أعمى القلب، يا أعمى البصيرة، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، أخرج عني.

---

(1) سير أعلام النبلاء ج3 ص110 وتاريخ مدينة دمشق ج49 ص428 وسير أعلام النبلاء ج3 ص110.

(2) المصنف للصنعاني ج5 ص460 و 461 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص94 و (ط الأعلمي) ج3 ص556 وج4 ص70 وتاريخ مدينة دمشق ج49 ص428 .

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي، فخبره قيس، فصدقه علي(1).

وحسب نص الزهري: «وحدثه بما كان يعتمد بمصر. فعرف علي أن قيساً كان يداري أمراً عظيماً بالمكيدة، فأطاع علي قيساً في الأمر كله»(2).

رابعاً: وأخيراً: إننا لا نشك في أن قيساً كان يعرف علياً «عليه السلام»، ويعرف أصحاب علي «عليه السلام»، ويعرف الأخطبوط الأموي، ومن يتعاطف معهم، ويميل إليهم، من طلاب اللبانات بأعيانهم وأشخاصهم، ويعرف الأخيار والمخلصين الذين هم حول علي «عليه السلام»، ولم يكن لتخفى عليه مكائدهم ودسائسهم..

فلا يمكن أن يتهم علياً «عليه السلام» بأن له موقفاً سلبياً تجاهه، أو أن أحداً قد خدعه، وحول رأيه فيه.. فإنه كان على

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص555 و (ط الأعلمي) ج3 ص555 وأنساب الأشراف ج3 ص164 وراجع: الكامل في التاريخ ج2 ص256 والغارات للثقفي ج1 ص219 - 223 وبحار الأنوار ج33 ص539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص64 والدرجات الرفيعة ص341 .

(2) سير أعلام النبلاء ج3 ص110 وتاريخ مدينة دمشق ج49 ص428 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص555 و (ط الأعلمي) ج3 ص555 وراجع: المصنف للصنعاني ج5 ص461 والدرجات الرفيعة ص342 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص291.

دراية تامة بأنه «عليه السلام» يعرف أصحابه جيداً، ويعرف مكائد معاوية ومصائده أيضاً.

ولكن المشكلة هي: أن أصحاب علي «عليه السلام» ـ كما ذكرناه في موضع آخر من الكتاب ـ كانوا إما من المخلصين له، وإما أنهم لم يكونوا يعرفونه حق معرفته، ولا يرون أن عليهم التسليم والإنقياد له بالمستوى المطلوب. وكان كثيرون منهم يتأثرون بالشائعات، وينخدعون بالمكائد، ويقعون بالمصائد الأموية.. وإما أهل دنيا، وطلاب مناصب، ومتآمرون عليه، وعلى قضيته.

ولأجل ذلك: كان «عليه السلام» يقول لأهل العراق: لقد ملأتم قلبي قيحاً[(1)].

ويقول: «لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، وأعطاني رجلاً منهم»[(2)].

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص66 الخطبة رقم 26 والأغاني ج15 ص45 والمهذب لابن البراج ج1 ص324 ودعائم الإسلام ج1 ص390 والغارات للثقفي ج2 ص477 ومقاتل الطالبيين ص15 وشرح الأخبار ج2 ص75 وبحار الأنوار ج34 ص65 ونهج السعادة ج2 ص564 وج5 ص317 والمعيار والموازنة ص99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص75 والأخبار الطوال ص212 والعثمانية للجاحظ ص96.

(2) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص188 والإرشاد للمفيد ج1

إن قيساً كان واقفاً على ذلك كله.. وكان غاضباً من هذا الواقع، غير راض به. ولم يكن غاضباً من أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل كان متألماً له لما يواجهه من متاعب ومصاعب، وما يحمله، ويتحمله من هموم وغموم.. ويود لو يفتديه بنفسه، وبكل عزيز عليه، فلما واجه في المدينة شماتة الشامتين، أدرك أن مقامه في المدينة سيكون مضراً، أو غير مجد من جهتين:

إحداهما: إنه سوف ينشغل بالمحافظة على نفسه من التعرض للإغتيال على يد بعض الحاقدين من بني أمية، مثل مروان بن الحكم، والأسود بن أبي البختري أو غيرهما.. فإن ظفروا به وقتلوه، فسيذهب دمه ضياعاً، إن لم يقل: إنه سيكون سبباً في مشاحنات، وربما حروب تزيد الأمر سوءاً، وإن نجا منهم، فإن عمره وجهده سيكون مقتصراً على حفظ شخصه، من دون أن يكون له أي أثر في نصرة الدين وأهل الدين. ولو بالتدبير والرأي، والمعونة، والإرشاد إلى ما هو أولى وأصلح، إن لم يكن بالحضور في ساحات النضال والجهاد، ومقارعة الأشرار، وردّ عاديتهم.

الثانية: إن بُعْدَهُ عن أمير المؤمنين «عليه السلام» سوف يثلج

ص280 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص255 وبحار الأنوار ج34 ص81 و 137 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص732 ونهج السعادة ج2 ص570 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص70.

صدور الشامتين، ويقر عيونهم، ويفرح قلوبهم.. لأنه ليس فقط يحرم علياً «عليه السلام» من نصرته، بل قد يؤدي أن يقتدي به غيره من أهل النفوذ، ويحجب ذلك عنه «عليه السلام» نصرة الكثيرين من أتباعهم، والمؤتمرين بأمرهم..

ولا شك في أن هذا سيضعف أهل الإيمان، وسيزيد من معاناتهم، وربما يضاعف من خسائرهم..

هذا.. إن لم نقل: إنه سوف يلقي الشبهة في أذهان الكثيرين من ضعفاء البصيرة، ويفسح المجال لشائعات المغرضين لتمعن في تشكيكهم بسلامة مسيرته «عليه السلام»، وصحة نهجه، وفي اهتمامه بحفظ المخلصين، والوفاء لأهل الوفاء.. وما إلى ذلك. بل قد يصورون لهم علياً «عليه السلام» في صورة طالب الدنيا، المتهالك على زخارفها، الساعي للحصول عليها بأي ثمن كان..

هل كان علي × مغلوباً على أمره؟!:

وهنا سؤال مهم يحتاج إلى جواب، وهو: هل كان أمير المؤمنين «عليه السلام» ضعيفاً أمام أعوانه وأصحابه، إلى حد أنهم كلما خالفوه الرأي في أمر كانت النتيجة هي تقديم آرائهم، واستبعاد رأيه؟!

ففي موضوع شريح تراهم يمنعونه من عزله، ويقولون له: كيف تعزله، وقد نصبه عمر.

كما أنهم يفرضون عليه إبقاء أبي موسى على الكوفة، حتى كان منه

ما كان..

ثم إنهم يفرضون عليه الإنصياع لمكيدة رفع المصاحف، وإيقاف الحرب، مع أنه كان من النصر على قاب قوسين أو أدنى.

ثم إنهم يفرضون عليه إرسال أبي موسى حكماً من قبله، وكان يرى إرسال غيره.. وحين حكم الحكمان وظهر انحياز أبي موسى، وتحامله عليه، نجدهم لأجل ذلك يكفرون علياً «عليه السلام»، ويخرجون عليه، ويحاربونه..

وها هم يفرضون عليه هنا عزل قيس بن سعد، وتولية محمد بن أبي بكر مكانه، مع أنه كان «عليه السلام» يرى إبقاء قيس، وعدم استبداله بأحد سواه..

ونجيب:

أولاً: إنه لم يكن «عليه السلام» ضعيفاً، ولا منقاداً لأحد من الناس، سواء أكانوا ممن يحيطون به، أو من البعيدين عنه، بل كان قوياً في ذات الله سبحانه، لا يحابي أحداً على حساب الدين والحق، ولكنه لا يعتدي على حق غيره، ولا يفرض على رعيته ما لا يحق له فرضه عليهم.. كما أنه لا يحمِّلهم ما لا يطيقون، ولا يحمِلهم على ما لا يعرفون..

ثانياً: يشهد على ما ذكرناه من صلابته وقوته، وأنه إنما يعمل ما يقتضيه تكليفه الشرعي، ويراعي فيه مصلحة الدين وأهله: أنه «عليه السلام» لم يرض بإبقاء معاوية يوماً واحداً ولا ساعة واحدة، رغم

النصائح التي أسديت إليه من القريب والبعيد.

كما أنه قد عزل جميع عمال عثمان، ولم يرض بتولية أي منهم. لأن أمرهم في مخالفة الشرع والدين كان كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار..

كما أنه بمجرد توليه الخلافة بعد قتل عثمان، قد أرجع الأموال التي وجدها مما كان قد أخذ من بيت مال المسلمين بغير حق. ولم يأبه لاعتراض المعترضين، ولا لإجلاب المجلبين عليه بسبب ذلك..

ثم إنه «عليه السلام» لم يرض بإعطاء الرؤساء والأشراف بعض المال ليدفع مكرهم، وليتلافى حرب الناكثين بالرغم من علمه بالنتائج المرعبة التي سوف تنتهي إليها تلك الحرب.. وبالرغم من النصائح التي أسديت إليه في هذا الاتجاه، وذلك لأنه لم يكن ليطلب النصر بالجور..

ثم رضي بإبطال السنة المخالفة لسنة الرسول في العطاء، ورضي بخوض حرب طاحنة بسبب ذلك كان على رأسها زوجة الرسول، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر، ولم يأبه لنفوذها القوي، ولم يكن يجرؤ غيره على مواجهتها..

ثم قاتل القاسطين الذين كانت قريش من ورائهم، بكل جبروتها، وبغيها، وعظيم نفوذها، وبالغ إصرارها على كسر شوكته، وتقويض حكمه، بل وقتله.

ثم قاتل أصحاب الجباه السود، المعروفين بكثرة الصلاة، وبقراءة

القرآن..

وهو القائل: «أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيري. ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون»(1).

ولو كان يخضع لآراء الرجال لما حصل كل هذا الذي حصل..

(1) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص374 و 375 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص66 والأخبار الطوال ص211 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص193 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص57 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص103 وراجع ج2 ص346 والغارات للثقفي ج1 ص7 وراجع ص16 وج2 ص677 وشرح الأخبار ج2 ص39 و 286 والملاحم والفتن لابن طاووس ص221 وتذكرة الخواص ص105 عن الواقدي، والبداية والنهاية ج7 ص289 والكامل لابن الأثير ج3 ص 348 ومروج الذهب ج2 ص207 وراجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص256 وكنز العمال ج11 ص298 وشرح الأخبار ج2 ص286 وبحار الأنوار ج32 ص316 وج33 ص356 و 366 وج34 ص118 و 259 وج41 ص354 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ج1 ص194 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص165 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص59 و 133 وراجع: نهج السعادة ج2 ص437 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص698 وحلية الأولياء ج1 ص68 و 168 والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ج2 ص627 وأعيان الشيعة ج1 ص358.

ثالثاً: لاحظ ما يلي:

1 ـ هناك أناس قد ظهر حالهم، وعرف نهجهم، وافتضح أمرهم، وأثبتوا عملياً: أنهم ممن لا يرضى الله تعالى بتوليتهم شيئاً من أمور المسلمين.. ولم تظهر لهم توبة عما اقترفوه، ولا ندم على ما فعلوه، ولا أمكن حمل ما صدر منهم على وجه من وجوه الصحة مهما كان ضعيفاً وموهوناً.. ومن هؤلاء: معاوية، وابن العاص، والوليد بن عقبة، وابن عامر، وسائر عمال عثمان.

2 ـ هناك أناس قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.. ويمكن حمل بعض ما صدر منهم على وجوه تصلح عذراً لهم. وقد يحتمل في حقهم القصور عن فهم بعض المسائل ويحجزهم عن الوصول إلى الحق..

ويحتمل أيضاً: وقوعهم في شبهة عرضت لهم، أو توهم باطل وقعوا فيه.. وربما صدر منهم ذنب، قد أظهروا التوبة منه، والندم عليه.. أو أنهم لا يظهرون العناد واللجاج في مخالفة الحق.. أو يمكن إخضاعهم له، كما هو حال شريح وأبي موسى الأشعري، وأضرابهما.. فهؤلاء يمكن القبول بتوليتهم أو بإبقائهم في ولاياتهم وقتاً مَّا، إذا اقتضت الضرورة ذلك، شرط مراقبة أعمالهم، والتدقيق في محاسبتهم، إلى أن ترتفع الضرورة، ويتم الإستغناء عنهم..

3 ـ هناك فريق ثالث لم يجرب الناس عليهم أي خطأ، أو انحراف في النهج، بل عرفوا منهم الإستقامة على طريق الحق، وسلامة النية،

وصحة السلوك.. فلا معنى لاتخاذ موقف سلبي منهم، ولا ضرورة لإثارة الشبهات حولهم..

وليكن محمد بن أبي بكر، ونظراؤه من هذا الصنف..

وبعد ما تقدم نقول:

إن أبا موسى وشريح القاضي، وإن كانا من القسم الثاني، الذي يستعان به إلا في مقام الضرورة.. ولكن الضرورة كانت قائمة، وقد فرضت الإستعانة بهما للتخلص من بعض السلبيات التي فرضتها بعض العصبيات، أو التسويلات المغرضة، التي أنتجتها المكائد التي دبرها شياطين الإنس، لاقتناص تأييد قاصري النظر، أو طلاب اللبانات وما أكثرهم..

ولكن الأمر في قضية قيس بن سعد كان له منحى آخر، لأنه نتاج عمل شارك فيه الأخطبوط الأموي المتغلغل بأشكال مختلفة بين العراقيين الذين لم يكونوا من أهل الإخلاص والولاء لأمير المؤمنين «عليه السلام» بالمعنى الدقيق للكلمة، بل كان أكثرهم يتعاملون معه إنطلاقاً من البيعة التي له في عنقهم ولا بد لهم من الوفاء بها، وقليلون جداً أولئك الذين كانوا يتعاملون معه على أساس معنى الإمامة بمفهومه الصحيح والدقيق.

من أجل ذلك تجدهم يعترضون عليه، ويخالفونه، ويتثاقلون في امتثال أوامره، ويهتمون بمصالحهم، أكثر من اهتمامهم بالشأن العام..

كما أن ارتباطهم بزعاماتهم القبلية كان هو الأعمق والأوثق من

ارتباطهم به «عليه السلام»، بل إن ارتباط أكثر الناس به «عليه السلام» قد كان من خلال تلك الزعامات..

وقد قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب: إنه «عليه السلام» قد حارب أعداءه بأعدائه، لأن المجتمع العراقي الذي حارب معه معاوية كان أقرب إلى معاوية في أفكاره وفي طموحاته، وفي طريقة حياته، وفي مفاهيمه.. وسائر حالاته منه إلى علي «عليه السلام»..

الفصل الرابع:

ابن أبي بكر يتولى مصر

ابن أبي بكر يتولى مصر:

وفي أول شهر رمضان المبارك سنة ست وثلاثين للهجرة تولى محمد بن أبي بكر مصر من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وحيث إن العلامة الجليل الشيخ الأحمدي «رحمه الله» قد ذكر العهد الذي كتبه علي «عليه السلام» لمحمد بن أبي بكر، وذكر سائر ما كتبه له، ليكون هو منهاج عمله في أهل مصر، فقد آثرنا أن نذكر في هذا الفصل نفس ما ذكره هذا العلامة الجليل في كتابه: مكاتيب الإمام علي «عليه السلام»، من دون تصرف فيه، إلا بما لا يضر في سياق كلامه..

ثم نعقب ذلك بفصل آخر نذكر فيه بعض ما يرتبط بهذه الكتب والعهود، فنقول:

قال العلامة الأحمدي «رضوان الله تعالى عليه»:

عهد علي لمحمد بن أبي بكر:

عن كعب قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حيث قدم مصر، فلما أتاها قرأ عليهم عهده:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر:

أمره بتقوى الله، والطاعة له في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، وأمره باللين للمسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبالإنصاف للمظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع. والله يجزي المحسنين، ويعذب المجرمين.

وأمره أن يدعو مَنْ قبله إلى الطاعة والجماعة، فإن لهم في ذلك من العاقبة، وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره، ولا يعرفون كنهه.

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل، ولا ينتقص منه ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، وأمره أن يلين لهم جناحه، وأن يساوي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد عنده في الحق سواء.

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن يقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا يخاف في الله لومة لائم، فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته على ما سواه، والسلام.

وكتبه عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لغرة شهر رمضان سنة ست وثلاثين(1).

ثم إن محمد بن أبي بكر قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد.. فالحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصَّرنا وإياكم كثيراً مما عمي عنه الجاهلون، ألا إن أمير المؤمنين ولاني أموركم، وعهد إلي بما سمعتم، وأوصاني بكثير منه مشافهة، ولن آلوكم خيراً ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فإن يكن ما ترون من آثاري وأعمالي لله طاعة وتقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك، فإنه هو الهادي له، وإن رأيتم من ذلك عملاً بغير حق فادفعوه (لعل الصحيح: فارفعوه) إلي وعاتبوني عليه، فإني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون.

وفقنا الله وإياكم لصالح العمل برحمته(2).

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص224 وراجع: تحف العقول ص176 وبحار الأنوار ج33 ص540 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص556 و (ط الأعلمي) ج3 ص556 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص65 وأنساب الأشراف ج3 ص164 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص224 ونهج السعادة ج4 ص98 و 99.

(2) الغارات للثقفي ج1 ص226 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص66 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص556 و (ط الأعلمي) ج3 ص556 و 557 والكامل في التاريخ ج3 ص272 و 273.

ونقول:

هذه هي نفسية أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وهذه هي تربيته، وهؤلاء هم تلامذته، وأين هذا من خطب غيرهم؟! التي يسهلون فيها كلامهم مع رعيتهم، بأمثال قولهم: إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها(1)، وأشباه ذلك من كلمات تنم عن عقلية الجبابرة، ونفسية الطواغيت، الذين يلذ لهم الولغ في دماء الأبرياء، فكيف بما عدا ذلك من حقوقهم الذين يعتدون عليها، ويسلبونهم إياها؟!

من كتب علي × لواليه على مصر:

وبعد أن ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله» ترجمة يسيرة لمحمد بن أبي بكر «رحمه الله»، قال:

1 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر:

قال إبراهيم: فحدثنا يحيى بن صالح قال: حدثنا مالك بن خالد

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج12 ص127 و 130 و 134 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج5 ص41 ومعاني القرآن للنحاس ج2 ص465 والجامع لأحكام القرآن ج7 ص50 وتفسير البحر المحيط ج4 ص188 ووفيات الأعيان ج2 ص33 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج2 ص26 و (تحقيق الشيري) ج2 ص40 وكتاب الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج7 ص8 وغريب الحديث ج2 ص323 وكتاب العين للفراهيدي ج5 ص105 والنهاية في غريب الحديث ج4 ص84 وج5 ص303.

الأسدي، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب «عليهم السلام» عن عباية: أن علياً «عليه السلام» كتب إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وعلى أي حال كنت عليها. واعلم أن الدنيا دار بلاء وفناء، والآخرة دار بقاء وجزاء، فإن استطعت أن تؤثر ما يبقى على ما يفنى فافعل، فإن الآخرة تبقى، وإن الدنيا تفنى.

رزقنا الله وإياك بصراً لما بصرنا، وفهماً لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا به، ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه، فإنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة.

ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال حين رجع من تبوك: لقد كان بالمدينة أقوام ما سرتم من مسير ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض يقول: كانت لهم نية.

ثم اعلم يا محمد، أني وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر، وإذ وليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط فيها ربك لرضى أحد من خلقه فافعل، فإن في الله خلفاً

من غيره، وليس في شيء غيره خلف منه، فاشتد على الظالم، ولِن لأهل الخير، وقربهم إليك، واجعلهم بطانتك وإخوانك، والسلام(1).

تعقيب للعلامة الأحمدي &:

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»:

[أقول: نقل مصنف كتاب معادن الحكمة كتابه إلى محمد بن أبي بكر، حين قلَّده مصر عن النهج، ولكنه قسم منه جزءاً من كتابه المفصل المشتمل على مسائل كثيرة، الذي نقله المصنف: من قوله «عليه السلام»: «واعلم يا محمد بن أبي بكر، وقد وليتك.. وليس في شيء سواه خلف منه»، وقسم أيضاً جزءاً منه نقله المصنف «واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا..». على اختلاف في الألفاظ، ومواضع الجملات، ويأتي نقله بعد هذا أيضاً. ولعل السيد كانت عنده رواية لم تصل إلينا.

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص228 - 230 وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص27 - 29 الكتاب 27 وتحف العقول ص178 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص556 وأنساب الأشراف ج6 ص67 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص133 و 134 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص65 و 66 ونهج السعادة ج4 ص101 - 103 والأمالي للمفيد ص266 والأمالي للطوسي ص29 وبحار الأنوار ج33 ص542 و 543 و 587.

وما ذكرناه نحن عن الغارات أيضاً، ذيله موجود في الكتاب الطويل، وفي شرح المعتزلي نقل هذا الكتاب عن إبراهيم الثقفي في الغارات، وقال: كتب علي «عليه السلام» إلى أهل مصر، لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به، ويخاطب محمداً أيضاً، ثم نقل الكتاب. والضمائر فيه بخطاب الجمع، كقوله: «أوصيكم، آمركم، منكم و.. ومراده من مخاطبته محمداً قوله «عليه السلام»: «ثم اعلم يا محمد..»] انتهى.

2 ـ كتابه × لمحمد بن أبي بكر وأهل مصر:

قال إبراهيم الثقفي:

كتب محمد بن أبي بكر إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو إذ ذاك بمصر، عاملها لعلي «عليه السلام»، يسأله جوامع من الحرام والحلال والسنن والمواعظ، فكتب إليه:

لعبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فإن رأى أمير المؤمنين ـ أرانا الله وجماعة المسلمين فيه أفضل سرورنا وأملنا فيه ـ أن يكتب لنا كتاباً فيه فرائض وأشياء مما يبتلى به مثلي من القضاء بين الناس فعل، فإن الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر، ويحسن له الذخر.

فكتب إليه علي «عليه السلام»:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر..

سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فقد وصل إليَّ كتابك، فقرأته وفهمت ما سألتني عنه، وأعجبني اهتمامك بما لا بد لك منه، وما لا يصلح المسلمين غيره، وظننت أن الذي دلك عليه نية صالحة، ورأي غير مدخول ولا خسيس. وقد بعثت إليك أبواب الأقضية جامعاً لك فيها، ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وكتب إليه عما سأله من القضاء، وذكر الموت، والحساب، وصفة الجنة والنار، وكتب في الإمامة، وكتب في الوضوء، وكتب إليه في مواقيت الصلاة، وكتب إليه في الركوع والسجود، وكتب إليه في الأدب، وكتب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب إليه في الصوم والإعتكاف، وكتب إليه في الزنادقة، وكتب إليه في نصراني فجر بامرأة مسلمة، وكتب إليه في أشياء كثيرة لم يحفظ منها غير هذه الخصال، وحدثنا ببعض ما كتب إليه.

ثم نقل إبراهيم الكتاب المتقدم إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر، ثم قال:

عن عبد الله بن الحسن، عن عباية قال: كتب علي «عليه السلام» إلى محمد وأهل مصر:

أما بعد.. فإني أوصيكم بتقوى الله، والعمل بما أنتم عنه مسؤولون، فأنتم به رهن، وأنتم إليه صائرون، فإن الله عز وجل يقول: (**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**)(1). وقال: (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ**)(2)، وقال: (**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)(3).

فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير، فإن يعذب فنحن أظلم، وإن يعف فهو أرحم الراحمين.

واعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة والمغفرة حين يعمل بطاعة الله، ومناصحته في التوبة، فعليكم بتقوى الله عز وجل، فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها، ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها، خير الدنيا وخير الآخرة، يقول الله: (**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**)(4).

واعلموا عباد الله، أن المؤمن يعمل لثلاث(5):

---

(1) الآية 38 من سورة المدثر.

(2) الآية 28 من سورة آل عمران.

(3) الآيتان 92 و 93 من سورة الحجر.

(4) الآية 30 من سورة النحل.

(5) ذكر اثنتين، ولم يذكر الثالثة فيما يظهر، فلعل في الرواية سقط، ولعل.. ولعل..

إما لخير الدنيا، فإن الله يثيبه بعمله في الدنيا، قال الله سبحانه: **(وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)**(1)، فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما، وقد قال: **(يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**(2)، فما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة. قال: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)**(3)، فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي الدنيا.

وإما لخير الآخرة، فإن الله يكفر عنه بكل حسنة سيئة، يقول : **(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)**(4)، حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم، وأعطوا بكل واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فهو الذي يقول: **(جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا)**(5)، ويقول عز وجل: **(فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ)**(6)، فارغبوا فيه، واعملوا به وتحاضوا عليه.

---

(1) الآية 27 من سورة العنكبوت.

(2) الآية 10 من سورة الزمر.

(3) الآية 26 من سورة يونس.

(4) الآية 114 من سورة هود.

(5) الآية 36 من سورة النبأ.

(6) الآية 37 من سورة سبأ.

واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم. يقول الله عز وجل: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**[(1)]، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، أكلوا من أفضل ما يأكلون، وشربوا من أفضل ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا بأفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، مع أنهم غداً من جيران الله عز وجل يتمنون عليه، فيعطيهم ما يتمنون، لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة، فإلى هذا يشتاق من كان له عقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد الله أنكم إن اتقيتم ربكم، وحفظتم نبيكم في أهل بيته، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، وذكرتموه بأفضل ما ذكر، وشكرتموه بأفضل ما شكر، وأخذتم بأفضل الصبر، وجاهدتم بأفضل الجهاد، وإن كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياماً، إذ كنتم أتقى لله، وأنصح لأولياء الأمر من آل محمد وأخشع.

واحذروا عباد الله الموت ونزوله، وخذوا له عدته، فإنه يدخل

---

(1) الآية 32 من سورة الأعراف.

بأمر عظيم، خير لا يكون معه شر أبداً، وشر لا يكون معه خير أبداً، فمن أقرب إلى الجنة من عاملها؟! ومن أقرب إلى النار من عاملها؟! إنه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلين يصير! إلى الجنة أو إلى النار؟! أعدو هو لله أم هو ولي له؟!

فإن كان ولياً لله فتحت له أبواب الجنة، وشرعت له طرقها، ورأى ما أعد الله له فيها، ففرغ من كل شغل، ووضع عنه كل ثقل.

وإن كان عدواً لله فتحت له أبواب النار، وشرعت له طرقها، ونظر إلى ما أعد الله له فيها. فاستقبل كل مكروه، وترك كل سرور.

كل هذا يكون عند الموت، وعنده يكون بيقين قال الله تعالى: **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**(1)، ويقول: **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)**(2).

واعلموا عباد الله، أن الموت ليس منه فوت، فاحذروه قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرداء(3) الموت، وجدوا للثواب، إن أقمتم له أخذكم، وإن هربتم منه أدرككم، فهو ألزم لكم من ظلكم،

---

(1) الآية 32 من سورة النحل.

(2) الآيتان 28 و 29 من سورة النحل.

(3) في النهاية: كنت أطارد حية. أي أخادعها لأصيدها. منه طراد الصيد.

معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، فإنه كفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» كثيراً ما يوصى أصحابه بذكر الموت، فيقول: أكثروا ذكر الموت، فإنه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات.

واعلموا عباد الله، أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه، واحذروا القبر وضمته وضيقه وظلمته وغربته، فإن القبر يتكلم كل يوم ويقول: أنا بيت التراب، وأنا بيت الغربة، وأنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، إن المسلم إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلا قد كنت ممن أحب أن يمشي على ظهري، فإذ وليتك فستعلم كيف صنعي بك، فيتسع له مد البصر، وإذا دفن الكافر قالت له الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، قد كنت ممن أبغض أن تمشي على ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنعي بك، فتنضم عليه حتى تلتقي أضلاعه.

واعلموا أن المعيشة الضنك التي قال الله تعالى: **(فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)**(1)، هي عذاب القبر، وإنه ليسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهش لحمه حتى يبعث، لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض ما أنبتت ريعها أبداً.

---

(1) الآية 124 من سورة طه.

واعلموا عباد الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا، فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم مما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه، فتعملوا بما أحب الله سبحانه، وتتركوا ما كره، فافعلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت.

واحذروا يوماً عبوساً قمطريراً، يوماً كان شره مستطيراً.

أما إن شر ذلك اليوم وفزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب، والسبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرضون المهاد، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، وتغيرت فكانت وردة كالدهان، وكانت الجبال سراباً بعد ما كانت صماً صلاباً، يقول الله سبحانه: **(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ)**[1]، فكيف بمن يعصيه بالسمع والبصر، واللسان، واليد، والرجل، والفرج، والبطن إن لم يغفر الله ويرحم؟!

واعلموا عباد الله، أن ما بعد ذلك اليوم أشد وأدهى على من لم يغفر الله له من ذلك اليوم، فإنه يقضي ويصير إلى غيره، إلى نار قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، وشرابها صديد، ومقامعها

---

(1) الآية 68 من سورة الزمر.

حديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليست لله سبحانه فيها رحمة، ولا يسمع فيها دعوة.

واعلموا عباد الله، أن مع هذا رحمة الله التي وسعت كل شيء، لا تعجز عن العباد، وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين، خير لا يكون معه شر أبداً، وشهوة لا تنفد أبداً، ولذة لا تفنى أبداً، ومجمع لا يتفرق أبداً، قوم قد جاوروا الرحمن، وقام بين أيديهم الغلمان، بصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

فقال رجل: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إني أحب الخيل أفي الجنة خيل؟!

قال: نعم، والذي نفسي بيده، إن فيها خيلاً من ياقوت أحمر، عليها يركبون فتدف بهم خلال ورق الجنة.

قال رجل: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إني يعجبني الصوت الحسن، أفي الجنة الصوت الحسن؟!

قال: نعم، والذي نفسي بيده، إن الله ليأمر لمن أحب ذلك منهم بشجر يسمعه صوتاً بالتسبيح ما سمعت الأذان بأحسن منه قط.

قال رجل: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إني أحب الإبل، أفي الجنة إبل؟!

قال: نعم، والذي نفسي بيده، إن فيها نجائب من ياقوت أحمر عليها رحال الذهب قد ألحفت بنمارق الديباج، يركبون فتزف بهم خلال ورق الجنة.

وإن فيها صور رجال ونساء يركبون مراكب أهل الجنة، فإذا أعجب أحدهم الصورة قال: اجعل صورتي مثل هذه الصورة، فيجعل صورته عليها، وإذا أعجبته صورة المرأة قال: رب اجعل صورة فلانة زوجته مثل هذه الصورة، فيرجع وقد صارت صورة زوجته على ما اشتهى.

وإن أهل الجنة يزورون الجبار كل جمعة، فيكون أقربهم منه على منابر من نور، والذين يلونهم على منابر من ياقوت، والذين يلونهم على منابر من زبرجد، والذين يلونهم على منابر من مسك.

فبينا هم كذلك ينظرون إلى نور الله جل جلاله، وينظر الله في وجوههم، إذ أقبلت سحابة تغشاهم، فتمطر عليهم من النعمة، واللذة، والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

ثم قال: بلى، إن مع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر، فلو أننا لم يخوفنا إلا ببعض ما خوفنا لكنا محقوقين أن يشتد خوفنا مما لا طاقة لنا به، ولا صبر لنا عليه، وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ولا بد لنا منه، فإن استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم ويحسن به ظنكم فافعلوا، فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه، إن أحسن الناس طاعة لله أشدهم له خوفاً.

في الصلاة والوضوء:

أنظر يا محمد صلاتك كيف تصليها، فإنما أنت إمام ينبغي لك أن

تتمها، وأن تحفظها بالأركان ولا تخففها، وأن تصليها لوقتها. فإنه ليس من إمام يصلي بقوم فيكون في صلاتهم نقص إلا كان إثم ذلك عليه، ولا ينقص ذلك من صلاتهم شيئاً.

ثم الوضوء، فإنه من تمام الصلاة، اغسل كفيك ثلاث مرات، وتمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاث مرات، واغسل وجهك ثلاث مرات، ثم يدك اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم يدك الشمال ثلاث مرات إلى المرفق، ثم امسح رأسك، ثم اغسل رجلك اليمنى ثلاث مرات، ثم اغسل اليسرى ثلاث مرات، فإني رأيت النبي «صلى الله عليه وآله» هكذا كان يتوضأ. قال النبي «صلى الله عليه وآله»: الوضوء نصف الإيمان.

انظر صلاة الظهر فصلها لوقتها، ولا تعجل بها عن الوقت لفراغ، ولا تؤخرها عن الوقت لشغل، فإن رجلاً جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسأله عن وقت الصلاة، فقال «صلى الله عليه وآله»: أتاني جبرئيل فأراني وقت الصلاة، فصلى الظهر حين زالت الشمس، ثم صلى العصر وهي بيضاء نقية، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى الصبح فأغلس(1) به والنجوم مشتبكة، كان النبي «صلى الله عليه وآله» كذا

(1) في النهاية: أنه كان يصلي الصبح بغلس. والغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. ومنه حديث الإفاضة: «كنا نغلس من جمع إلى

يصلي قبلك، فإن استطعت ولا قوة إلا بالله أن تلتزم السنة المعروفة، وتسلك الطريق الواضح الذي أخذوا، فافعل، لعلك تقدم عليهم غداً.

ثم انظر ركوعك وسجودك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أتم الناس صلاة، وأحفظهم لها، وكان إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده، ثلاث مرات، وإذا رفع صلبه قال: سمع الله لمن حمده، اللهم لك الحمد ملء سماواتك، وملء أرضك، وملء ما شئت من شيء، فإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى وبحمده، ثلاث مرات.

اعلم يا محمد أن كل شيء من عملك يتبع صلاتك، واعلم أن من ضيَّع الصلاة فهو لغيرها أضيع، أسأل الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا وإياك ممن يحب ويرضى، حتى يبعثنا وإياكم على شكره وذكره، وحسن عبادته، وأداء حقه، وعلى كل شيء اختاره لنا من دنيانا وديننا، وأُولانا وأُخرانا، جعلنا الله وإياكم من المتقين الذين **(لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)**(1).

في الوصية:

إن استطعتم يا أهل مصر، ولا قوة إلا بالله أن يصدق قولكم فعلكم، وسركم علانيتكم، ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم، فافعلوا، عصمنا الله وإياكم بالهدى، وسلك بنا وبكم المحجة الوسطى، وإياكم ودعوة

منى». أي نسير إليها ذلك الوقت. وقد غلس يغلس تغليساً.

(1) الآية 62 من سورة يونس.

الكذاب ابن هند، وتأملوا واعلموا أنه لا سواء إمام الهدى، وإمام الردى، ووصي النبي، وعدو النبي، جعلنا الله وإياكم ممن يحب ويرضى.

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيخزيه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق عالم حلو اللسان، يقول ما تعرفون، ويعمل ما تنكرون، ليس به خفاء.

وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: من سرته حسناته، وساءته سيئاته، فذلك المؤمن حقاً.

وقد كان يقول: خصلتان لا تجتمعان في منافق، حسن سمت، وفقه في سنة.

اعلم يا محمد، أن أفضل الفقه الورع في دين الله، والعمل بطاعته، أعاننا الله وإياك على شكره، وذكره، وأداء حقه، والعمل بطاعته إنه سميع قريب.

ثم إني أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وعلى أي حال كنت عليها، جعلنا الله وإياك من المتقين، ثم أوصيك بسبع هن جوامع الإسلام: اخش الله ولا تخش الناس في الله، فإن خير القول ما صدقه العمل.

ولا تقض في أمر واحد بقضائين مختلفين فيتناقض أمرك، وتزيغ عن الحق.

وأحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، والزم الحجة عند الله.

وأصلح أحوال رعيتك، وخض الغمرات إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم، وانصح لمن استشارك، واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم.

في الصوم والإعتكاف:

وعليك بالصوم، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عكف عاماً في العشر الأول من شهر رمضان، وعكف في العام المقبل في العشر الأوسط من شهر رمضان، فلما كان العام الثالث رجع من بدر، فقضى اعتكافه، فنام فرأى في منامه ليلة القدر في العشر الأواخر كأنه يسجد في ماء وطين، فلما استيقظ رجع من ليلته وأزواجه وأناس معه من أصحابه.

ثم إنهم مطروا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى النبي «صلى الله عليه وآله» حين أصبح، فرأى في وجه النبي «صلى الله عليه وآله» الطين، فلم يزل يعتكف في العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله.

وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: من صام رمضان ثم صام ستة أيام من شوال فكأنما صام السنة، جعل الله خلتنا ودنا خلة المتقين، وود المخلصين، وجمع بيننا وبينكم في دار الرضوان إخوانا

على سرر متقابلين إن شاء الله.

أحسنوا يا أهل مصر مؤازرة محمد، واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيكم «صلى الله عليه وآله»(1).

إستيلاء ابن العاص على الكتاب:

قال إبراهيم : حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان، عن علي بن محمد بن أبي سيف، عن أصحابه: أن علياً «عليه السلام» لما أجاب محمد بن أبي بكر بهذا الجواب كان ينظر فيه ويتعلمه ويقضي به، فلما ظهر عليه وقتل أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجبه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية لما رأى إعجاب معاوية به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق.

فقال له معاوية: مه، يا ابن أبي معيط، إنه لا رأي لك.

فقال له الوليد: إنه لا رأي لك، أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك؟! تتعلم منها وتقضي بقضائه؟! فعلام تقاتله؟!

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص227 - 250 وراجع: بحار الأنوار ج33 ص541 - 550 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص67 - 72 والأمالي للمفيد ص260 - 269 ونهج البلاغة، الكتاب 27 والأمالي للطوسي ص25 وتحف العقول ص176.

فقال معاوية: ويحك، أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟! والله ما سمعت بعلم أجمع منه، ولا أحكم ولا أوضح.

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟!

فقال معاوية: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه، ثم سكت هنيئة، ثم نظر إلى جلسائه، فقال: إنا لا نقول: إن هذه من كتب علي بن أبي طالب، ولكنا نقول: إن هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد، فنحن نقضي بها ونفتي.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فلما بلغ علي أبي طالب «عليه السلام»: أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد ذلك عليه.

تأسف علي على × هذا الكتاب:

قال أبو إسحاق: فحدثنا بكر بن بكار، عن قيس بن الربيع، عن ميسرة بن حبيب، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: صلى بنا علي «عليه السلام»، فلما انصرف قال:

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر
وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؟! سمعنا منك كذا؟!

قال: إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر، فكتب إلي أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتاباً فيه السنة، فقتل، وأخذ الكتاب(1).

قال ابن أبي الحديد: «قلت: الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه، ويعجب منه، ويفتي به، ويقضي بقضاياه وأحكامه، هو عهد علي «عليه السلام» إلى الأشتر، فإنه نسيج وحده. ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا، والأحكام، والسياسة. وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق مثله أن يقتنى في خزائن الملوك»(2).

3 ـ عهده × إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر:

فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم، فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم.

واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم.

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص251 ـ 254 وراجع: بحار الأنوار ج33 ص550 و 551 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص72.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص72.

سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون. ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح. أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم. لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذة.

فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته، فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً. فمن أقرب إلى الجنة من عاملها؟! ومن أقرب إلى النار من عاملها؟! وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم. الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم.

فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد. دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة.

وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله.

واعلم يا محمد بن أبي بكر، أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك، وأن تنافح عن دينك، ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره.

صلِّ الصلاة لوقتها الموقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

ومنه: فإنه لا سواء إمام الهدى، وإمام الردى، وولي النبي، وعدو النبي. ولقد قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً. أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون(1).

4 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر:

عن قاموس بن مخارق: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي «عليه السلام» سأله عن مسلمين تزندقا، وعن مسلم زنى بنصرانية، وعن مكاتب مات وترك بقية من كتابته، وترك ولداً أحراراً، فكتب إليه علي «عليه السلام»:

أما اللذان تزندقا، فإن تابا وإلا فاضرب أعناقهما.

وأما المسلم، فأقم عليه الحد، وادفع النصرانية إلى أهل ذمتها.

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص27 الكتاب 27 وراجع: الأمالي للمفيد ص260 والأمالي للطوسي ج1 ص25 وتحف العقول ص176 والغارات للثقفي ج1 ص227 ـ 250 وبحار الأنوار ج33 ص541 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص163 وأنساب الأشراف ج2 ص392.

وأما المكاتب، فيؤدي بقية كتابته، وما بقي فلولده الأحرار(1).

[صورة أخرى لنقل الغارات]:

عن الحارث بن كعب، عن أبيه قال: بعث علي «عليه السلام» محمد بن أبي بكر أميراً على مصر، فكتب إلى علي «عليه السلام» يسأله عن رجل مسلم فجر بامرأة نصرانية، وعن زنادقة فيهم من يعبد الشمس والقمر، وفيهم من يعبد غير ذلك، وفيهم مرتد عن الإسلام، وكتب يسأله عن مكاتب مات وترك مالاً وولداً.

فكتب إليه علي «عليه السلام»:

أن أقم الحد فيهم على المسلم الذي فجر بالنصرانية، وادفع النصرانية إلى النصارى يقضون فيها ما شاؤوا.

وأمره في الزنادقة أن يقتل من كان يدعي الإسلام، ويترك سائرهم يعبدون ما شاؤوا.

وأمره في المكاتب إن كان ترك وفاء لمكاتبته فهو غريم بيد

---

(1) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج5 ص433 ح13526 وراجع: السنن الكبرى ج8 ص350 ح 16853 والمصنف للصنعاني ج10 ص321 الرقم 19236 و (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي) ج10 ص170 وج7 ص342 وج8 ص394 والمصنف لابن أبي شيبة ج5 ص208 ح3 و (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي) ج8 ص394 ونصب الراية ج5 ص340 .

مواليه، يستوفون ما بقي من مكاتبته، وما بقي فلولده[1].

5 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر:

روى الشيخ في التهذيب: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن عيسى، عن عبد الله بن المغيرة، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه «عليهم السلام»: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي «عليه السلام» يسأله عن الرجل يزنى بالمرأة اليهودية والنصرانية.

فكتب «عليه السلام» إليه:

إن كان محصناً فارجمه، وإن كان بكراً فاجلده مائة جلدة ثم انفه، وأما اليهودية فابعث بها إلى أهل ملتها، فليقضوا فيها ما أحبوا[2].

وبعدما تقدم نقول:

إن لنا مع ما ذكرناه في هذا الفصل وقفات سوف نجملها في الفصل التالي إن شاء الله تعالى..

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص230 وبحار الأنوار ج104 ص203 ح12 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج28 ص152 و (الإسلامية) ج18 ص415 و 416.

(2) تهذيب الأحكام ج10 ص15 ح36 والإستبصار ج4 ص207 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج28 ص80 و (الإسلامية) ج18 ص361.

الفصل

وقفات مع كتب علي × لابن أبي بكر

مضامين العهد:

إن العهد المتقدم في أول الفصل السابق، وهو الذي كتبه «عليه السلام» لمحمد بن أبي بكر قد تضمن توجيهات في مجالات عدة، منها:

1 - البناء الروحي للوالي:

إنه تحدث في البداية عن الوالي ومضمونه الإيماني وعلاقته بالله، فركز في هذا الجانب على الرقابة الذاتية، بنحو ينتج:

ضبط الفكر العقائدي والإيماني، والوضوح في القضايا المعرفية والوعي الثقافي.

وضبط حركة القلوب في المشاعر، والنوايا، وفي سلامتها وصفائها وخلوصها.

وضبط الموقف والسلوك والحركة..

وبكلمة موجزة: أن يلزم نفسه بتقوى الله سبحانه، ولزوم طاعته

في السر والعلانية.. وخوف الله في المغيب والمشهد.

2 ـ تصنيف الفئات لتحديد حقوقهم:

ولا بد أيضاً من التدقيق في أصناف الناس، ومعرفة حالات الفئات، ورصد واقعها بدقة واستقصاء يمكِّنه من تنويع مواقفه، وتصنيف جهات سلوكه معها، وفقاً لما يحصل لديه من ذلك.

وقد ذكر له «عليه السلام» ستة أصناف، وحدَّ للتعامل مع كل صنف حداً فرض على الوالي أن ينتهي إليه، فلا بد من:

ألف: اللين للمسلم.. والمسلم هو من سلم الناس من يده ولسانه، ومن كان كذلك، فإنه يستحق الرفق واللين، لأن الناس منه في راحة ويسر، فيستحق أن يعامله راعيه باليسر واللين أيضاً.

ب: الغلظة على الفاجر.. فإن الفاجر لا يخجل بإظهار فجوره، وتعديه للحدود، فلماذا لا يظهر أهل الشأن غلظتهم عليه، لكي يعلم الناس أنه لا أهمية له عندهم، ولا يملك أي رصيد يمكنه التهويل به، يمكن أن يخشاه الناس.

ج: العدل في أهل الذمة.. وهذا هو غاية ما يحتاجه أهل الذمة من الحاكم العادل. وهو ما يمكنهم توقعه منه، ومطالبته به..

د: العفو عن الناس.. فإن الناس بشر، يضعفون أمام حاجاتهم، ورغباتهم، ويتسرعون ويتعدون الحدود، وأخذهم بكل صغيرة وكبيرة، والتشدد في محاسبتهم من شأنه أن يرهقهم، ويؤذي أرواحهم،

ويوجب ضيق صدورهم وقد يؤدي إلى نفورهم..

فلا بد من التساهل معهم فيما لا يغضب الله، وحيث لا يوجب ذلك تماديهم في الغي، بل يكون من موجبات الشعور بالعرفان والإمتنان، وعرفان الجميل، والندم عل التفريط.

هـ: الإنصاف للمظلوم.. وهذا واضح وبديهي.

و: الشدة على الظالم. وهذا بديهي وواضح أيضاً.

ز: الإحسان ما استطاع.. أي بمقدار الوسع والطاقة، فإن الإحسان لا يحد بحدود، ولا يقيد بقيود.. وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان في كثير من الآيات.

والعمل بالإحسان ليس من باب التفضل، والإحسان للغير، ليتوهم أن الأمر في بذل هذا الجهد يعود إليه، ويمكنه التخلي عنه، إن وجد أنه مجرد عبءٍ يزيد من معاناته. بل الإحسان هنا جهد يعود نفعه إليه كما يستفيد منه غيره.

ويوضح هذا الأمر: أنه قرر أن لهذا الإحسان جزاء وعد الله به المحسنين.. مع التلويح بأن التخلي عن الإحسان ربما يُصنَّف في دائرة الجريمة التي يستحق عليها العقاب، إذا كان ما يدعوه إلى ذلك زهده بالعطاء الإلهي، وعدم اكتراثه بالقرب والزلفى منه تعالى..

3 ـ الواجبات على الناس:

ثم إنه «عليه السلام» ذكر ما هو مطلوب من الناس، واقتصر

على أمرين:

الأول: الطاعة لولي الأمر، لأن ذلك يعطيه الفرصة للتفكير في همومهم، ويفرغه لحل مشاكلهم بروية وحكمة وانتباه، ويعطيه القوة والثقة والرضا بمواجهة التحديات في الداخل والخارج.

الثاني: وحدة الكلمة، والتعاون والتعاضد والتناصر على إقامة الحق والعدل، ومحاربة الباطل وأهله..

وهذان الأمران هما أساس القوة، وسبيل النجاح.. والوصول إليهما ليس بالأمر السهل، بل يحتاج إلى ترويض النفس، والهيمنة على قرارها، وامتلاك زمامها، وعدم الإستجابة لنوازعها إلا ما يدخل في سياق حفظ الحقوق وإقامة العدل.. ولا يسيء إلى التماسك الإجتماعي، ولا يخل بالطاعة.

ولأجل أن الهيمنة على النفس تحتاج إلى جهد وجهاد، وإلى تعب وعناء ربما يجعل من الإقبال عليه والرضا به أمراً صعباً بالنسبة للكثيرين، فإنه «عليه السلام» قد عالج هذا الأمر بأن وضع أمام الناس المطلوب منهم ذلك، حوافز قوية، تسهل عليهم كل عسير، وتهون عليهم المهم والخطير، وتصغر أمامهم الكبير.

وقد ظهر من كلامه «عليه السلام»: أن هذه الحوافز تسير في خطين متوازيين.

أحدهما: تعريف الناس بالنتائج العملية للإلتزام بالطاعةالتي ستظهر لهم بصورة ملموسة ومحسوسة، حيث سيعيشون كل مظاهر

السداد والرشاد، ومعاني العزة والكرامة، والرضى، وراحة البال، والقوة، والنعيم، والرخاء، والصلاح، وانتظام الأمور، وغير ذلك مما يدخل في سياق السعادة في الحياة الإنسانية في هذه الدنيا.

الثاني: الثواب العظيم، والأجر الجميل في الآخرة..

موضحاً «عليه السلام» لهم: أن ما سيحصلون عليه في الدنيا وفي الآخرة لا يمكن تحديد قدره، ولا معرفة كنهه.

وهذا هو ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله: «فإن لهم في ذلك من العاقبة، وعظيم المثوبة، ما لا يقدرون قدره، ولا يعرفون كنهه».

4 ـ السياسة المالية:

ومن الواضح: أن أهم ما يتجلى فيه: التباين والإختلاف بين الحاكم والرعية أمران:

أولهما: السياسة المالية.

وثانيهما: علاقة الحاكم بالناس وعلاقة الناس به، وطريقة تعامله معهم، وتعاملهم معه.. وسيأتي الحديث عن هذا الأمر الثاني..

وأما الأمر الأول، وهو السياسة المالية، فقد بيَّنه «عليه السلام» وفق السياق التالي:

1 ـ إنه «عليه السلام» قد تعرض إلى أمر محوري وحساس جداً بالنسبة لأهل تلك البلاد في تلك الفترة، بحسب طبيعة حياتهم الإقتصادية، لأن بلادهم قد فتحت عنوة، وكانت أرضهم محياة

ومعمورة وقت الفتح، وكانت هي مصدر عيشهم.. والأرض المفتوحة عنوة تكون للمسلمين كافة إلى يوم القيامة، ولا يختص بها الغانمون، ولا يفضلون على غيرهم بشيء منها، بل يشاركونهم فيها كشركة باقي المسلمين من غير خصوصية لهم.

فللإمام أن يترك تلك الأرض في أيدي من يعمرها ويحييها مقابل نسبة معينة من حاصلها، أو من حاصل النخل، أو الشجر الذي يكون فيها، كالربع، أو النصف، أو الثلث، حسبما يراه مناسباً. مما يكون في صلاحهم، ولا يضرهم.

وقد شرح في ذلك مرسل حماد عن أبي الحسن الأول «عليه السلام» قال:

«والأرض (والأرضون) التي أخذت عنوة بخيل وركاب فهي موقوفة بيدي من يعمرها ويحييها، ويقوم عليها، على صلح ما يصالحهم الإمام «عليه السلام» على قدر طاقتهم من الخراج: النصف، أو الثلث، أو الثلثان على قدر ما يكون لهم صلاحاً ولا يضر بهم.

فإذا خرج منها نماها فأخرج منه العشر من الجميع مما سقت السماء أو سقي سيحا. ونصف العشر مما سقي بالدوالي والنواضح، فأخذه الوالي، فوجهه في الوجه الذي وجهه الله له على ثمانية أسهم: للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، ثمانية أسهم يقسمها بينهم في

مواضعهم بقدر ما يستغنون في سنتهم بلا ضيق ولا تقتير.

فإن فضل من ذلك شيء رد إلى الوالي، وإن نقص من ذلك شيء ولم يكتفوا به كان على الوالي أن يمونهم من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا.

ويؤخذ بعد ما يبقى من العشر، فيقسمه بين الموالي وبين شركائه الذين هم عمال الأرض وأكرتها، فيدفع إليهم أنصباءهم على ما صالحهم عليه، ويأخذ الباقي.

فيكون ذلك أرزاق أعوانه على دين الله وفي مصلحة ما ينوبه من تقوية الإسلام وتقوية الدين وفي وجوه الجهاد وغير ذلك مما فيه مصلحة العامة، وليس لنفسه من ذلك قليل ولا كثير»(1).

إلى غير ذلك من النصوص.

هذا.. وقد صرح «عليه السلام» بالسبب في مطلوبية صلاح أهل الخراج؛ فقال: «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة.

---

(1) الكافي ج1 ص541 وتهذيب الأحكام ج4 ص130 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج9 ص266 و (الإسلامية) ج11 ص85.

ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً..»(1).

وعن علي «عليه السلام» أنه قال لعامله على بانقيا: «إياك أن تضرب مسلماً، أو يهودياً، أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»(2). أي الزائد.

ولو أنهم كسروا الخراج، فإنه «عليه السلام» قد كتب إلى عماله في ذلك يقول: «ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم»(3).

إبقاء الخراج على ما هو عليه:

وقد أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» محمد بن أبي بكر: «أن

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص96 ومستدرك الوسائل ج13 ص166 وبحار الأنوار ج74 ص253 وراجع ج33 ص606 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص70.

(2) الكافي ج3 ص540 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص24 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج9 ص132 و 133 و (الإسلامية) ج6 ص90 وبحار الأنوار ج41 ص128 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص296 وتفسير نور الثقلين ج2 ص111 وتهذيب الأحكام ج4 ص98.

(3) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص81 رقم 51 وبحار الأنوار ج33 ص471.

يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل، ولا ينتقص منه، ولا يبتدع فيه»(1)، فلعل ذلك لأحد سببين:

أولـهما: أن يكون «عليه السلام» قد قرر تلك المقادير على أهل تلك البلاد، قبل مسير محمد بن أبي بكر إليها من خلال واليه السابق..

ويشهد لذلك: أن نظيره قد حصل في بعض البلاد الأخرى، فقد تحدثت بعض النصوص عن أنه «عليه السلام» قد أرسل مصعب بن يزيد الأنصاري على أربعة رساتيق المدائن.. وحدد له بالتفصيل قائمة الخراج على كل جريب، بحسب مواصفاته، وحدد مقادير الضرائب على كل شخص بحسب حاله، ومواصفاته(2).

ثانيهما: أن يكون ما وضع على أهل مصر في زمن عمر وبعده قد كان موافقاً لرضى أمير المؤمنين «عليه السلام».. حيث إن أصحاب أمير المؤمنين لا يقدمون على ما يكون للشرع فيها

(1) الغارات للثقفي ج1 ص225 وبحار الأنوار ج33 ص540 ونهج السعادة ج4 ص99 وشرح نهج البلاغة (للمعتزلي) ج6 ص65وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص556.

(2) من لا يحضره الفقيه ج2 ص48 وتهذيب الأحكام ج4 ص120 والاستبصار ج2 ص53 و 54 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص151 و (الإسلامية) ج11 ص115 وبحار الأنوار ج33 ص466 و 467 وفتوح البلدان ج2 ص332.

حكم إلا إذا أحرزوا أن ما يقولونه فيها، موافق للشرع، وإنما يعرفون صحته بموافقة علي «عليه السلام» عليه، ورضاه به، فمثلاً: قد مسح عثمان بن حنيف أرض الخراج، وحدد المقادير التي تؤخذ من العاملين فيها، ثم كتب بذلك على عمر، فأمضاه عمر.

ولما أفضى الأمر إلى علي «عليه السلام» أمضى ذلك(1).

فلعل أحداً من أعوان الخلفاء قد مسح أرض مصر لهم، وقرر مقادير ما يجبى منها، فوجد أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنها معقولة ومقبولة، فأمضاها كما هي.. وليكن نفس ما كتبه «عليه السلام» في هذا العهد لمحمد بن أبي بكر كاشفاً عن هذا الإمضاء أيضاً.

لفت نظر:

لا حاجة إلى التذكير:

1 ـ بأن الحكام والولاة قد يسعون إلى زيادة مقدار الخراج طمعاً في الإستيلاء على المزيد من المال، ولا يهدفون إلى رفد بيت المال بمزيد من الأموال.

2 ـ أما لجوءهم إلى إنقاص المقادير المضروبة عليهم فقد يكون لأجل رشوة يحصلون عليها، أو لأجل محاباة يريد أن تمهد له السبيل

---

(1) بحار الأنوار ج31 ص17 والسراج الوهاج للفاضل القطيفي ص86 وجواهر الكلام ج21 ص159 والخراجيات للمحقق الكركي ص64.

للحصول على نفع شخصي في مجال آخر، أو للفوز بمحبة أولئك الناس، أو بخدمتهم، أوبأي شيء آخر.

3 - إن أكثر ما يثير شهوة العمال هو الخيانة في تقسيم الأموال على أهلها ومستحقيها.. ولذلك جاء القرار الحاسم بلزوم عدم التصرف في المقادير المطلوبة، وعدم التصرف في المقادير التي يجب إيصالها إلى أهلها.

5 - معاملة الحاكم للناس:

ثم ذكر «عليه السلام» ضوابط لا بد أن تهيمن على معاملة الحاكم للناس. ولم يكل هذا الأمر إلى مزاج الحاكم نفسه..

وقد ركز على أمور ثلاثة، هي الأساس في استقامة علاقته بهم، وهي:

الأول: أن يلين لهم جناحه.

الثاني: أن يساوي بينهم في أمرين:

1 - أن يساوي بينهم في مجلسه.

2 - أن يساوي بينهم في وجهه.

الثالث: أن يكون القريب والبعيد عنده في الحق سواء

وعلى هذا نقول:

ألف: لسنا بحاجة إلى بيان أن لين الجناح، من أسباب ظهور المودة، والنصيحة، والأنس، والثقة بالحاكم، والإنبساط بحوائجهم

لديه، والتعبير عن مكنونات أنفسهم تجاههم، ويعطيه القدرة على الوقوف على أحوالهم، واستكناه دخائلهم، وضمائرهم.

ب: إن المساواة بينهم في مجلسه تبعد شبح التحاسد فيما بينهم، وتقلل من الرغبة في التملق والتزلف. وبذلك يكون قد أبعد عنهم عاهات رديئة، من شأنها أن تعكر صفو نفوسهم، وتذهب بسلامة مشاعرهم تجاه بعضهم، وتوجب تسميم علاقاتهم.

كما أن ذلك يبعد عن بعضهم حالات الغرور، والكبر وطغيان الأنا.. وعن بعضهم الآخر الشعور بالضعة، والحقارة، وفقدان قسط وافر من الثقة بالنفس.

هذا بالإضافة إلى أن هذا المنحى يدفع الناس إلى مراقبة أحوال من يخصه الحاكم بالتقديم والتعظيم، والميزات التي يفترضون أنها السبب في هذا الفعل، فربما ساقهم ذلك إلى تكريس مفاهيم مسيئة، وخاطئة والتشكيك بقيم صحيحة وسليمة، فيظن أن ميزان التقدم والتقديم، والتفاضل والتفضيل هو مثلاً: المال، أو القوة الجسدية، أو العشيرة، أو اللون، أو ما إلى ذلك.

ج: أما الأمر بالمساواة بين الناس في إقبال الحاكم عليهم بوجهه.. فسببها هو نفس هذا الذي قدمناه أيضاً.. وإنما ذكره «عليه السلام» بخصوصه، لأن من الجائز أن يغفل الحاكم عنه، وتكون نتيجة ذلك هي: أن يساوي بين الناس في مجلسه، ولكنه يقبل بوجهه على بعضهم، ويخصهم بحديثه، وببسماته، وبغير ذلك من أمور.

د: أما المساواة بين القريب والبعيد في الحق، فيراد به: لفت النظر إلى أمر قد ينقاد إليه الإنسان بصورة عفوية، وعلى غير انتباه، بل انسياقاً مع مؤثرات طبيعية وغامضة، مثل: المشاعر التي تنشأ عن صلة القربى، والرحم، أو المشاعر التي تفرضها العشرة الطويلة لبعض الأشخاص، والألفة لهم، والأنس بهم.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يطلب واليه التخلي عن هذه الإحاسيس والمشاعر، بل طلب منه أن لا يخضع لها حين يريد أن يعالج الأمور التي ترتبط بحقوق الناس، ما دام أن القفز فوق الحقوق وتجاوزها قد يكون من القريب كما يكون من البعيد.

7 ـ السلطة القضائية:

ثم ختم «عليه السلام» ذلك كله: بالإشارة إلى العمل القضائي، فذكر «عليه السلام» ما يلي:

ألف: أن الأساس الأهم في موضوع القضاء، ونقطة الإرتكاز فيه، التي لا بد أن ينطلق منها، وأن ينتهي إليها في أحكامه هو الحق، والحق فقط، لأن أي معيار آخر يريد أن يعتمده سوف ينتهي به إلى تضييع الحق. وإلى اهتزاز الثبات، وفقدان الوضوح الذي لا بد من تعزيزه وتقويته في بناء المجتمع، والدولة، لأنه هو الذي يعطي السكينة والطمأنينة، ويضمن الإنسجام في حركة الواقع نحو الأهداف الإلهية الكبرى في بلورة إنسانية الإنسان، وتخليصها من الشوائب والأدران..

لأنه لو أراد أن يعتمد أي معيار آخر غير الحق، كالعمل بالهوى مثلاً، أو المصالح الشخصية، أو العصبيات القبائلية، أو العرقية، أو اللون.. فإنه سوف لن يفلح في حل المشكلات الحياتية التي تعترض الإنسان، بل هو سيضيف إلى مشكلاته المزيد مما يعجز عن مواجهته، وسيؤدي به إلى الفشل الذريع في إيصال الفرد والجماعة إلى الأهداف الكبرى التي يتوخاها.. ولن يستطيع أن يحقق ذاته، ولا أن يصل إلى كماله.

ب: أن يقوم بالقسط، والعدل. فإن الحق والقسط لا يعني المساواة، بل معناه إعطاء كل ذي حق حقه.

والحقوق على نحوين:

الأول: ما يثبت للإنسان بمجرد تشبثه بالحياة، وبملاحظة خصوصية الخلق والتكوين.

الثاني: ما يثبت له بسبب ميزة حصل عليها بجهده، وباختياره، فلا يجوز حرمانه منها، أو تضييعها، لأن عمل الإنسان الإختياري محترم، ومحفوظ له، وقد قال تعالى: **(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)**(1). وقال سبحانه: **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)**(2).

---

(1) الآية 195 من سورة آل عمران.

(2) الآية 105 من سورة التوبة.

فلا بد من أداء حقوق الناس إليهم، بجميع أصنافها وأحوالها. وبغض النظر عن موجباتها ومناشئها، وقد قال «عليه السلام»: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»(1).

وهذا هو المرتكز لقوله «عليه السلام»: «ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها، ورعاثها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»(2).

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص84 الخطبة رقم 53 الفقرة رقم9 وتحف العقول ص127 ومستدرك الوسائل ج13 ص161 وبحار الأنوار ج33 ص600 وج74 ص241 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص679 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج4 ص235 ونهج السعادة ج5 ص60 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص32.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص64 و 65 والأخبار الطوال ص211 و 212 والغارات للثقفي ج2 ص475 و 476 والكامل للمبرد ج1 ص20 والعقد الفريد ج4 ص70 ومعاني الأخبار ص310 وأنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص442. وراجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج2 ص236 والكافي ج5 ص4 والأغاني ج15 ص45 ومقاتل الطالبيين ص27 والبيان والتبيين ج1 ص170.

سرور علي × باهتمامات ابن أبي بكر:

ذكر الكتاب المتقدم برقم [2]: أن علياً «عليه السلام» قد أثنى على محمد بن أبي بكر، لاهتمامه بمعرفة وظائفه وواجباته، وما يحتاجه في سياسة الرعية.. ولا شك في أن هذا الثناء يكشف عن سروره واغتباطه «عليه السلام» بهذا الأمر، وقد أراد بثنائه هذا عليه أن يشد من عزيمته، ويزيد من رغبته بمتابعة سلوك طريق المعرفة، والإحتياط لأمر دينه وآخرته.

وهذا يعطي: أن على الإمام أن ينوه بالأعمال الصالحة التي يقدم عليها مساعدوه، وأن يشجعهم عليها ليرغبوا في أمثالها، وليكونوا قدوة لغيرهم فيها، فتشيع الفضائل، وتصير موضع رغبات الناس، وإليها يتسابقون، وبها يتفاخرون، وهي وسائل تقربهم من حكامهم. وليس زخارف الحياة الدنيا وبهارجها..

إن يعذب فنحن أظلم:

إن قوله «عليه السلام» في كتابه لعامله على مصر محمد بن أبي بكر: «فإن يعذب، فنحن أظلم، وإن يعف، فهو أرحم» قد ورد أكثر من مرة في الرسائل المذكورة في الفصل السابق.

وما نريد لفت النظر إليه هنا: هو أنه قد لوحظ في العقوبة مقدار ما تحدثه من فساد في المنظومة التي تحكمها السنن، وما ينشأ عنها من اختلالات في إيصال سائر المخلوقات إلى كمالهم، وتحقيق ذاتهم وفق ما

رسمه الله تعالى..

وليس هذا هو كل ما يوجب العقوبة، فهناك ذنوب لا يحاسب الله عليها. أو أنه تعالى قد صرف النظر عن عقوبتها، لأن لعقوبتها مبررات أخرى قد عفا الله عنها رفقاً بعباده، فمثلاً: لو أن إنساناً قتل مؤمناً، فإنه يعاقب، وقد لوحظ في هذه العقوبة حجم الخلل الذي أحدثه القتل الأول.. ولكن هناك جرم آخر قد صرف النظر عنه، وهو جرم التعدي على أحكام الله، وشرائعه، وعدم الإنقياد له، وهتك حرمة المولى جل وعلا. وهكذا يقال في كثير من الموارد، إن لم نقل في جميعها.

وهذا يفسر لنا كيف أن الله إن عذب، فنحن أظلم، لأن عذابه لا يوازي ما يستحقه، بل هو أقل منه.

كما أنه سبحانه إن عفا فإنه يكون قد رحم من عفا عنه، لأنه يصرف النظر عن العقوبات المقررة، وعن عقوبات أخرى هي التي يستحقها المذنب، ولكنها لم تسجل عليه، ولم يؤخذ بها.. كما أنه بعفوه هذا يكون يكون قد فتح الباب أمامه، لينال توفيقات أخرى لم يكن يمكنه نيلها قبل ذلك العفو.

التقوى أكثر نفعاً في الدنيا:

وقد أكدت الكتب المتقدمة في الفصل السابق أكثر من مرة، وفي أكثر من كتاب: على أن فائدة التقوى لا تقتصر على الآخرة. بل هي

تشمل الدنيا أيضاً.

بل إن مقارنة يسيرة بين ما تجلبه التقوى من منافع دنيوية، وبين ما يتمكن الإنسان من الحصول عليه بدونها، تعطي أن نتاج التقوى في الحياة الدنيا هو الأكبر والأكثر، وبها يكون الحظ الأوفر.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن كل ما يحصل عليه الإنسان من منافع في الدنيا عن طريق غير التقوى، سيكون مشوباً بالنقائص والمنغصات. فهو بمثابة السم في الدسم، وخلط الغث بالسمين.

ويمكن استخلاص هذه القاعدة من الآيات القرآنية أيضاً، فلاحظ على سبيل المثال قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**)(1).

وقوله سبحانه: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(2).

وخذ مثلاً على ذلك أن الغيبة مثلاً، وإن كانت مما يلتذ به الإنسان حين يمارسها، ولكنه تعالى حين يحذر منها يقول: (**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**)(3).

---

(1) الآية 275 من سورة البقرة.

(2) الآية 174 من سورة البقرة.

(3) الآية 12 من سورة الحجرات.

والمآكل المحرمة، وإن كانت مما يلتذ به بعض الناس، ولكن ما تجلبه من أعراض وأمراض وآثار سيئة على الصحة، وعلى الروح لا تساوي تلك اللذة معه شيئاً وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا..)**[1].

وهذا الخلوص من الشوائب، ومن المنغصات، هو الذي يميز ما يتنعم به المتقون في الدنيا عما يتنعم به غير المتقين، وهو ما أشار «عليه السلام» إليه بقوله: «واعلموا عباد الله: أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم.

قال تعالى: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**[2].

شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، أكلوا من أفضل ما يأكلون، وشربوا من أفضل ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا بأفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون.

---

(1) الآية 219 من سورة البقرة.

(2) الآية 32 من سورة الأعراف.

أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، مع أنهم غدا من جيران الله عز وجل يتمنون عليه، فيعطيهم ما يتمنون، لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة، فإلى هذا يشتاق من كان له عقل».

وقد تضمن كلامه هذا إشارات إلى أمور كثيرة، نذكر منها ما يلي:

1 - إن سكنى الدنيا تكون على نحوين:

أحدهما: خير محض، وليس فيه أية شائبة. وهو سكنى المتقين الذين يجدون في شرع الله وفي تعاليمه حلولاً لكل مشكلة تواجههم.

والآخر: تشوبه المنغصات والهموم، والغموم والخيبات، والشعور بالقصور عن بلوغ الغايات. ولا أقل من أن يبتلى بجار يؤذيه، أو لا يأمنه على ماله، أو عرضه، أو كرامته، أو ما إلى ذلك. ولا يجد ما يسليه، ويخفف عنه. أو يهديه إلى سبيل الخلاص.

2 - إن أكل الدنيا تارة يكون بالحلال. وبالطرق المشروعة، وتراعى فيها جميع الحيثيات المطلوب مراعاتها، وأخرى تؤكل بالأساليب المحرمة، كالسرقة، والإحتيال، والربا، والمقامرة، والسلب، والنهب، والتسلط، والقهر، والغلبة، والظلم، والتعدي على الحقوق.

3 - إن الأمر لا يقتصر على الدنيا، لكي يقال: إن الذين يتنعمون فيها بالطرق الملتوية، ومن دون مراعات مقتضيات التقوى إن نعيمهم فيها لم يكتمل، لأنه قد شابته المنغصات والأسواء. أما أهل التقوى،

فقد تنعموا فيها بصورة خالصة من أية كدورة، أو نقصٍ، أو أذى.

بل يمتد الأمر بالنسبة إليهما معاً إلى الآخرة أيضاً، فإن أهل التقوى الذين أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا ستكون اللذة خالصة لهم يوم القيامة.. وسيكونون فيها من جيران الله، ينالون أمنياتهم، وتقبل دعواتهم.

أما ما تنعم به أهل الدنيا، ولم يراعوا التقوى فيه، فإن أمره لا ينتهي في الدنيا، بل سوف يلاحقون بالآخرة بالحساب، والعقاب.

4 ـ وبعد هذا البيان يأتي قوله «عليه السلام»: «فإلى هذا يشتاق من كان له عقل»، لأن الأمور ظاهرة، ودلائلها باهرة، ولم تأت على سبيل الإدعاء الذي لا مبرر له، إلا التحكم والإكراه، ولا هي من الأمور الغيبية التي لا سبيل لتلمُّس صحتها.

حفظ النبي ' في أهل بيته:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن أفضل عبادة لله تعالى، وأفضل شكر، وأفضل ذكر له، وأفضل صبر، وأفضل جهاد هو تقوى الله، وحفظ النبي «صلى الله عليه وآله» في أهل بيته.. وإن كان الآخرون أطول صلاة، وأكثر صياماً الخ..

وقد يفهم من هذه الكلمات المباركة ما يلي:

1 ـ إنها تدل على مدى ارتباط مسألة أهل بيت النبوة بمسألة التوحيد، فقد ذكرت هذه الفقرات: أن لها ارتباطاً به تعالى من جهات

ثلاث:

الجهة الأولى: أنها تزيد عبادة الإنسان لربه فضلاً وحسناً، وإنما تكون العبادة كذلك بملاحظة ما ينشأ عنها من نيل رضوان الله، وما يستفيده الإنسان من بركات بهذه العبادة، ومن آثار فلاح وصلاح في الدنيا والآخرة، أراد الله تعالى لعبده الحصول عليها من خلال هذه العبادة.

ويذكرنا هذا القول بقول الإمام الرضا «عليه السلام» في نيشابور أمام تلك الجموع الهائلة: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»(1).

---

(1) راجع: مجلة مدينة العلم، (السنة الأولى) ص415 عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهي أيضاً في الصواعق المحرقة ص122 وحلية الأولياء 3 ص 192 وعيون أخبار الرضا ج2 ص135 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص145 وأمالي الصدوق ص208 وينابيع المودة ص 364 و 385 وبحار الأنوار ج49 ص123 و 126 و 127 ج3 ص7 عن ثواب الأعمال، ومعاني الأخبار، وعيون أخبار الرضا «عليه السلام»، والتوحيد، والفصول المهمة لابن الصباغ ص240 ونور الأبصار ص141 ونقلها في مسند الإمام الرضا ج1 ص43 و 44 عن التوحيد، ومعاني الأخبار، وكشف الغمة ج3 ص98. وهي موجودة في مراجع كثيرة أخرى.

وراجع: التوحيد ص25 وثواب الأعمال للصدوق ص7 ومعاني الأخبار

الجهة الثانية: إن حفظ النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» من موجبات الحصول على أفضل شكر لله تعالى. والشكر هو الثناء الجميل على الله بما أولا هذا الشاكر من المعروف.

وفي التعريفات: الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء أكان باللسان، أم بالبدن، أم القلب(1).

ولا شك في أن معرفة أفضل أنواع الثناء على الله تعالى على جميل نعمه باللسان والبدن والقلب، والتمكن من أدائها هو من التوفيقات الإلهية الكبرى، ومن موجبات نيل المزيد من تلك الألطاف والنعم.

على أن نفس أن يظهر الإنسان نعم الله، منتسبة إليه تعالى، سوف يعمق الشعور بالإمتنان له، ويفتح قلب الإنسان وعقله وكل وجوده على السعي لطلب المزيد، وتهيئة أسباب حصوله عليه.. وهذه الأسباب هي الطاعات، والقربات، وتعميق الإرتباط به تعالى على أساس المزيد من التفكر، والمزيد من المعرفة.

للصدوق ص371 وروضة الواعظين ص42 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص296 وغوالي اللآلي ج4 ص94 ونور البراهين ج1 ص76 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص235 ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج1 ص44 وراجع: ينابيع المودة ج3 ص123.

(1) راجع: أقرب الموارد ج1 ص604 و 605.

الجهة الثالثة: ومما ذكرناه آنفاً يظهر كيف أن حفظ النبي «صلى الله عليه وآله»، وحفظ أهل بيته «عليهم السلام» من موجبات الحصول على أفضل الذكر لله تعالى.. لأنه يقود الإنسان المؤمن إلى التفكر في آلاء الله تعالى، وفي أسمائه الحسنى، وفي صفات الجمال والجلال، واستحضارها ليزيده ذلك تعلقاً به تعالى، والمزيد من الخوف منه والرجاء له. والعمل في طاعته، وبذل الكثير من الجهد لنيل ما تؤهله له معارفه، وأعماله، وما يحبوه الله تعالى به من ألطاف، وييسره له من توفيقات للمزيد من مقامات القرب والزلفى.

2 ـ ومن خلال جميع ما ذكرناه ندرك أن هذا العبد العابد الشاكر، الذاكر يحتاج إلى أفضل الصبر، والتحمل على قاعدة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

3 ـ وليوظف أفضل الصبر هذا كرأس مال يحتاج إليه في أفضل الجهاد، على قاعدة: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**[1].

إمام الهدى، وإمام الردى:

ثم حذَّر «عليه السلام» من دعوة معاوية الكذاب، وأرشدهم إلى لزوم التدقيق والتأمل في أمر الإمام، لأن مسألة الإمامة هي أهم مسألة بعد التوحيد والنبوة، لأن لها مساساً مباشراً بحياة الناس في كل

---

(1) الآية 69 من سورة العنكبوت.

مجالاتها. ولا يقتصر الأمر على المجال الثقافي، أو الإيماني، أو الهداية والرعاية، بل هي تلامس كل شؤون الإنسان، في أدق تفاصيلها، وتؤثر في تكوينه النفسي، وفي بنائه الفكري، وفي منظومة المشاعر والإحساس التي يتعامل بها مع كل ما يحيط به.

وتوصيف الإمام بأنه والد، وقول النبي «صلى الله عليه وآله»: أنا وعلي أبوا هذه الأمة(1). لم يأت من فراغ، وعلى الناس أن يدركوا

(1) راجع: البرهان (تفسير) ج1 ص369 ومعاني الأخبار 52 و 118 وعيون أخبار الرضا ج2 ص85 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص91 وعلل الشرائع ص127 وكمال الدين ص261 والأمالي للصدوق ص65 و 411 و 755 وبحار الأنوار ج16 ص95 و 364 وج23 ص128 و 259 وج26 ص264 و 342 وج36 ص6 و 9 و 11 و14 و 255 وج38 ص92 و 152 وج39 ص93 وج40 ص45 وج66 ص343 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص264 وج10 ص455 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص300 وروضة الواعظين ص322 وخاتمة المستدرك ج5 ص14 والغارات للثقفي ج2 ص717 و 745 وكنز الفوائد ص186 والعمدة لابن البطريق ص345 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص133 وسعد السعود ص275 والعقد النضيد والدر الفريد ص70 والمحتضر للحلي ص73 والصراط المستقيم ج1 ص242 و 243 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص159 ونور الثقلين ج4 ص237 و 238 وكنز الدقائق ج1 ص286 وج2 ص440 ومفردات غريب القرآن ص7 وتفسير الآلوسي ج22 ص31 وبشارة المصطفى ص97 و 254 ونهج الإيمان ص625 و 629

موقع هذه الحقيقة من خلال توصيف القرآن لنبيه بقوله: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)**(1). وآيات كثيرة أخرى تشير إلى عمق ارتباطه بالناس عاطفياً، واهتمامه بتدبير شؤونهم، وبحفظهم، وبرعايتهم من موقع الحكمة والتعقل، وبمزيد من الوعي، والتحمل، وبذل الجهد، والتفاني في خدمتهم، وفي إصلاح أمورهم.. وإمام الهدى لا يختلف عن النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك كله.

كما أن إمام الهدى هو الذي يخرجهم من كل غمٍّ وهمٍّ، ويحل مشكلاتهم، ويدفع الأسواء عنهم.

أما إمام الردى، فيجرهم إلى البوار والهلاك، فعليهم كما قال علي «عليه السلام»: أن يكونوا في غاية الإنتباه واليقظة، فإن الأمر يرتبط بمصيرهم، فإما النجاة، وإما الهلاك، ولا ثالث لهما. فليس سواء إمام

وينابيع المودة ج1 ص370 ومشارق أنوار اليقين ص43 و 289 وغاية المرام ج1 ص177 و 250 وج2 ص179 و 211 وج3 ص70 وج5 ص118 و122 و 299 و301 و 303 وج6 ص66 و 155 و 166 و 167 وج7 ص128 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص100 و 227 و 366 وج5 ص95 وج7 ص216 وج13 ص77 وج15 ص518 و 519 وج20 ص230 وج22 ص280 و 282 و 346 وج23 ص580 و 621.

(1) الآية 128 من سورة التوبة.

الهدى، وإمام الردى.

ولا يمكن قياس عدو النبي الذي يعاديه لكونه نبياً، جاء لإنقاذ البشر، وتخليصهم من أيدي الطغاة والجبارين، والمستغلين، وتحصينهم من كل شر، وسوء، وإيصالهم إلى أعلى درجات السعادة، وبين من يريد أن يتخذ مال الله دولاً، وعباد الله خولاً.

لا تقض بقضاءين:

وما ذكرناه آنفاً يلقي لنا بعض الضوء على قوله «عليه السلام»: ولا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين، فيتناقض أمرك، وتزيغ عن الحق.

فإن شعور الناس بأبوة الحاكم لهم، وأنه يدبر أمورهم بحكمة وبصيرة، يشيع حالة السكينة والسلام في النفوس، ويجعل الأمور تتجه نحو التماسك والثبات، كما أنه يهيئ الناس نفسياً للتعاون مع ذلك الحاكم بمودة وثقة ورضى.

فإذا اختلت هذه الثقة، فإن الأمور ستسير بعكس هذا الإتجاه.

والقضاء من شؤون الحاكم، التي تساعده على بسط العدل، وحل المشكلات، وله مساس مباشر بحقوق الناس التي تعنيهم كأشخاص، وللناس حساسية بالغة تجاه حقوقهم هذه، لأنهم يرونها جزءاً من حياتهم، أو من وجودهم وكيانهم، فأي شعور بأن ثمة محاولة لاستلابها أو أن هناك عدم مبالاة بحفظها لهم، سوف يزلزل وجودهم،

ويزعزع ثقتهم، ويهز طمأنينتهم من الأعماق..

ولأجل ذلك، جاء الأمر منه «عليه السلام» لواليه: بأن عليه أن يحفظ نفسه من الوقوع في هذه المتاهة، ولو بأن يظهر عليه أمارات الضعف في القضاء، أو عدم المبالاات به، ولو بأن يقضي في مسألة واحدة بقضاءين مختلفين، فإن ذلك من شأنه أن يقوض الثقة به. وهو أمر بالغ الخطورة، فلا بد من تجنبه، مهما احتاج ذلك إلى بذل جهد، ووقت لتحصيل المعرفة التامة بوجوه القضاء في المسألة، وبحقيقة الحكم الإلهي فيها.

واللافت هنا: أن من الأمور التي امتاز بها عمر بن الخطاب: كثرة وقوعه في الأخطاء في أحكامه القضائية، وفي فتاويه الشرعية.. حتى لقد قضى في مسألة واحدة، وهي مسألة ميراث الجدة بمائة قضية[1]، حتى سئم من نفسه، وأراد أن يكتب كتاباً ويثبت فيه إحدى الصور التي أفتى وقضى بها في هذه المسألة، فتردد في أمره، ثم مزق الكتاب معلناً أن الله لو أراد للجدة أن ترث شيئاً لما مكنه من تمزيق ذلك الكتاب[2].. وهو استدلال غريب وعجيب، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

---

(1) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص58 وتغليق التعليق ج5 ص219 والنص والإجتهاد ص263 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص245 وفتح الباري ج12 ص17 وفيض القدير ج1 ص205.

(2) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص80 والمصنف للصنعاني ج10

موقع عامة الرعية:

والمعروف عن الحكام: أنهم يقربون أناساً، لأجل خصوصيات معينة فيهم، ككونهم شركاء لهم في الصفقات التي تدر عليهم المنافع، أو تكون لهم مواقع نفوذ، يريدون تسخيرها في مقاصدهم، أو يشاركونهم في بعض مآثمهم وجرائمهم، أو لهم قرابة أو صداقات معهم، أو ما إلى ذلك..

فيفوز هؤلاء ببعض المغانم عن هذا الطريق، وتكون لهم الإثرة، والتقدم، وإظهار المودة، وتنشأ ـ بسبب ذلك ـ علاقات لهؤلاء بالناس الذين نالهم الإقصاء والحرمان، حين يحاولون توسيطهم لدى الحاكم لقضاء حاجاتهم، وحل مشكلاتهم..

ولكن علياً «عليه السلام» لا يرضى بهذا، ويسوق الأمور باتجاه آخر، فيأمر عامله أن يجعل التقدم والإيثار، وإظهار العطف، والود، والحب لعامة الرعية..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد حدد بدقة تلك الشريحة التي يفترض بالحاكم أن ينسج علاقته معها.. لتكون هي المحور، ونقطة

ص301 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص363 وجامع البيان للطبري ج6 ص58 والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج2 ص141 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص608 والدر المنثور ج2 ص250 والإحكام لابن حزم ج6 ص845.

الإرتكاز للتخطيط المستقبلي في المجالات الحياتية المختلفة..

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد تجاوز موضوع العلاقة العملية في مجال الممارسة إلى التأسيس لعلاقات أعمق وأروع، تنطلق من أعماق الروح، وتلامس المشاعر والأحاسيس، حين طلب عامله أن يحب لعامة الرعية ما يحب لنفسه، وأهل بيته..

وبذلك تخرج علاقته بالناس عن حالة الشكل «والروتين»، لتصير ذات روح وأحاسيس ومشاعر حية تعيش الرحمة، والمحبة والحنان، وكل معاني الألفة والإنسجام، حتى يصبح المسلمون بمثابة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى..

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» لم يقم بذلك بصورة تدرجية، تنتقل من طبقة إلى طبقة، وفق خطة معينة، بل كانت الخطة هي اعتماد القاسم المشترك الذي هو: إنسانية الإنسان، وحقوقه الفطرية والإيمانية والوجودية، من دون نظر إلى العناوين، والخصوصيات الدنيوية الزائلة، كالمال، والجاه، ومن دون التفات إلى الخصوصيات غير الإختيارية، كالعرق واللون، وما إلى ذلك من عناوين مزيفة، لا تحمل معنىً إنسانياً، ولا تعطيه قيمة إيمانية أو أخلاقية.

والزم الحجة عند الله:

وحين يوكل عمل إلى إنسان ما، أو تناط به مسؤولية بعينها، قد

تمتد إلى سنوات كثيرة، يمر فيها في حالات نشاط وكسل، وصحة ومرض، وتمر به أيضاً حالات تذكُّر ونسيان، وغفلة والتفات، وما إلى ذلك، فإن مطالبته بالتزام وتيرة واحدة في الضبط والسلامة، والجودة في عمله هذا تصبح غير مضمونة.

ولكن علياً «عليه السلام» يريد أن يصبح الضبط، والدقة، وكل مواصفات السلامة متوفرة في كل الجهد الذي يبذله عامله، وفي كل وقت، وكل ظرف وحال..

ولم ير مبرراً لاختلال مستوى السلامة، والخلوص والجودة في كل ذلك، مهما اختلفت الأحوال، وتقلبت الظروف.. لأن الإختلاف لا يجعلها عصية على المعالجة..

وقد أعطى «عليه السلام» عامله التوجيه الذي يعالج به هذه الأحوال كلها. وهو أن يضع نصب عينيه أمراً واحداً في جميع أموره، في حركته وسكونه، وفي فراغه وشغله، وفي نومه ويقظته، وهو: أن يأخذ على نفسه أن يجد المبرر والحجة أمام الله في كل فعل وترك، وفراغ وعمل، وكل شيء.. حتى إذا أوقف في المحكمة الإلهية، وسئل عن عذره فيما فعله أو تركه لأجاب بكل جرأة وصراحة ووضوح، ولم يقف متحيراً، ولا نادماً..

وهذه طريقة معالجة ميسورة، ويمكن استحضارها في كل حال، وعند كل أمر..

وهي تغنيه عن وضع المراقبين والمحاسبين، والمذكرين،

والمعلمين. وما إلى ذلك..

أصلح أحوال رعيتك:

وقد أمر «عليه السلام» عامله بأن يصلح أحوال رعيته.. ونحن نعلم: أن هذا الأمر يتوقف على إطلاعه على تلك الأحوال، التي تكون في العادة منتشرة في طول البلاد وعرضها، ومتشعبة في مختلف الشؤون.. فيحتاج في التعرف عليها، وفي إجراء أعمال الإصلاح فيها إلى جهد كبير، وإلى كوادر وأجهزة تكشف تلك الأحوال، وتجري تقييمات لها، وإلى أجهزة ترسم الخطط، وتعد المعالجات، وإلى هيئات استشارية ذات بصيرة وخبرة وعلم.. ثم إلى أجهزة تتولى التنفيذ، وإلى مراقبة دقيقة لسير الأعمال فيها حتى لا تتعرض للتهاون أو للانتقاص.

وخض الغمرات إلى الحق:

أما قوله «عليه السلام»: «وخض الغمرات إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم» فيدل: على أن الحاكم مناضل في سبيل الحق أيضاً، ويحتاج في ذلك إلى الإقدام والشجاعة والبسالة في مواجهة الباطل.. حين يقتضي الأمر ذلك..

فإقامة الحق مسؤوليته الحاكم قبل أن تكون مسؤولية أي كان من الناس.. فمن وجد من نفسه ضعفاً عن ذلك، فليس له أن يعرِّض صدره للولايات، لأن الوالي لا بد أن يواجه أطماع الأقوياء،

وإغراءتهم، وعداواتهم..

ومعنى هذا وما سبقه: أنه ليس للحاكم أن يقدم إلى البلد الذي يتولاه، ويجلس في قصره، وعلى أريكته، منتظراً لمن يدخل عليه من أصحاب الحاجات، أو من أصحاب المشكلات، فيأمرهم وينهاهم، وتنتهي مهمته عند هذا الحد..

بل الحاكم من أكثر الناس شغلاً، وأعظمهم عناء، وهو قاض، وعامل، وشجاع باسل، ومجاهد مناضل كما علم من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»..

الحاكم النموذج:

وليس للحاكم الإسلامي أن يبتكر لنفسه وضعاً خاصاً به في مأكله ومشربه، وسلوكه، وتصرفاته.. وينطوي به على نفسه، ولا يفسح المجال لغيره ليشاركه فيه.. بل عليه أن ينصب نفسه نموذجاً وأسوة لجميع المسلمين، فمنه يتعلمون كيف يواجهون مكاره الحياة ومصاعبها بالصبر الجميل، واحتساب الأجر على الله، والتوكل عليه سبحانه، والتسليم له..

ومنه يتعلمون الزهد في الدنيا، والعزوف عن زبارجها وبهارجها. والتحلي بالفضائل.

ومنه يتعلمون كيف أن عليهم التزام مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والترفع عن كل ما يهين ويشين، وأن عليهم نصرة الحق،

وأهله. والإجتهاد في تصفية نفوسهم وتزكيتها، والجهاد في سبيل الله، وبذل الغالي والنفيس في إعلاء كلمة الله، وإيثار رضوانه..

ثم إنه لا يمكن أن يكون أسوة لجميع المسلمين، قريبهم وبعيدهم إلا إذا كان بمقدور كل أحد أن يصل إليه، وأن يطَّلع على حاله.. ولم يحصر تعامله بأعوانه وحاشيته والقريبين منه.

وهذا يحتم عليه اختيار نمط حياة يجعل اطِّلاع القريب والبعيد على أحواله ميسوراً..

ومن المعلوم: أن طريقة الحياة التي عرفها الناس مع حكامهم لا يتيسر معها هذا الأمر لجميع الناس.. وهذا يعني: أنها طريقة مرفوضة عند أمير المؤمنين «عليه السلام».. الذي هو مع الحق ومع القرآن.. والقرآن والحق معه «صلوات الله وسلامه عليه»..

الفصل

أسئلة.. مؤخذآت.. ورسائل متبادلة

زيارة الجبار سبحانه:

ثم إننا وجدنا في هذا النص الذي أورده الثقفي في كتاب الغارات، أموراً يختلف فيها عن النص المشابه له الذي أورده المفيد والطوسي في أماليهما، وعنهما المجلسي في بحار الأنوار.. مع أن المفيد والطوسي إنما نقلا ما نقلاه عن إبراهيم الثقفي نفسه أيضاً..

ولكن مراجعة السند تعطي: أن الثقفي قد روى هذا العهد لتلامذته بسند يختلف عن السند الذي وضعه في كتابه..

وهذا يقوي احتمال أن يكون هناك من دس بعض الأمور في الرواية التي في كتاب الغارات.. والله أعلم.

ومن الأمور التي تضمنتها رواية كتاب الغارات: «أن أهل الجنة يزورون الجبار كل جمعة، فيكون أقربهم منه على منابر من نور، والذين يلونهم على منابر من ياقوت، والذين يلونهم على منابر من زبرجد، والذين يلونهم على منابر من مسك.

فبينا هم كذلك ينظرون إلى نور الله جل جلاله، وينظر الله في وجوههم، إذ أقبلت سحابة تغشاهم، فتمطر عليهم من النعمة واللذة، والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه».

ثم قال[1]: إن مع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الأكبر.

فلو أننا لم يخوفنا إلا ببعض ما خوفنا لكنا محقوقين أن يشتد خوفنا مما لا طاقة لنا به ولا صبر لنا عليه، وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ولا بد لنا منه.

فإن استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم ويحسن به ظنكم فافعلوا، فإن العبد إنما تكون طاعته على قدر خوفه، إن أحسن الناس طاعة لله أشدهم له خوفاً[2].

فإن هذه الفقرة كلها ليست في رواية المفيد، ولا الطوسي[3]. وهذا يدعونا للريب الشديد فيها.. لا سيما إذا علمنا أنها تتناسب وتتوافق مع مذاق غير الشيعة القائلين بأن الناس يرون ربهم يوم القيامة، ويزورونه، وغير ذلك. فراجع كلماتهم[4].

---

(1) يعني: النبي «صلى الله عليه وآله» للرجل الذي سأله.

(2) الغارات للثقفي ص243.

(3) راجع: الأمالي للمفيد ص266 والأمالي للطوسي ج1 ص28 و 29.

(4) راجع التوحيد وصفات الرب لابن خزيمة.

الوضوء المخالف للقرآن:

ونفس ما ذكرناه بالنسبة للفقرة السابقة يأتي في الفقرة التي وردت في خصوص رواية كتاب: «الغارات»، وهي التالية:

«ثم الوضوء، فإنه من تمام الصلاة: اغسل كفيك ثلاث مرات، وتمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاث مرات، واغسل وجهك ثلاث مرات، ثم يدك اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم يدك الشمال ثلاث مرات إلى المرفق، ثم امسح رأسك، ثم اغسل رجلك اليمنى ثلاث مرات، ثم اغسل اليسرى ثلاث مرات، فإني رأيت النبي «صلى الله عليه وآله» هكذا كان يتوضأ.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: الوضوء نصف الإيمان»[1].

مع أن رواية المفيد عن الثقفي نفسه هي كما يلي:

«ثم انظر إلى الوضوء، فإنه من تمام الصلاة، وتمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاثاً، واغسل وجهك، ثم يدك اليمنى، ثم يدك اليسرى، ثم امسح رأسك ورجليك، فإني رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصنع ذلك، واعلم أن الوضوء نصف الإيمان»[2].

---

(1) الغارات للثقفي ص244 و 245 ومستدرك الوسائل ج1 ص305.

(2) الأمالي للمفيد ص267 والأمالي للطوسي ج1 ص29 ونهج السعادة ج4 ص119 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج1 ص397 و (الإسلامية) ج1 ص279 ومستدرك الوسائل ج1 ص306 وبحار الأنوار ج77 ص266.

والوضوء الذي ذكره في كتاب الغارات قد ذكر غسل الرجلين في جملة أفعال الوضوء، وذكر أيضاً: أن اليدين تغسلان ثلاث مرات، وكذلك الوجه، مع أن ذلك كله يخالف ما هو الثابت عن علي وأهل البيت «عليهم السلام».

كما أن غسل الرجلين يخالف القرآن.

وقد يُدَّعى: أن هذا الخبر يصلح شاهداً على تثليث المضمضمة والإستنشاق، فينتفي قول بعضهم: إنه لا شاهد له.

ولكن بعد ظهور أن هذا الشاهد مخالف للقرآن، ولمذهب أهل البيت «عليهم السلام» في أمور أساسية في الوضوء، فلا يبقى مجال للإعتماد عليه.

الشك في كل ما لم يروه المفيد:

وبعد.. فإننا نرتاب بصورة قوية في جميع الفقرات التي لم ترد في رواية الشيخ المفيد، مثل الحديث عن الخيل، وعن الإبل، والحديث عن صور الرجال والنساء، التي تعجب أهل الجنة، فيطلبون من الله أن يجعل صورهم، أو يجعل صور زوجاتهم مثلها، فيكون لهم ذلك، وتتحول صورهم أو صور زوجاتهم، مثل تلك الصور..

وكذلك الحديث عن الصوت الحسن في الجنة.

تسعة وتسعون تنيناً:

وقد ذكر في ذلك العهد أيضاً: أن الله تعالى يسلط على الكافر في

قبره تسعة وتسعين تنيناً، تنهش لحمه حتى يبعث.

وقد يسأل سائل، فيقول: لماذا التحديد بالعدد تسعة وتسعين؟!

ولماذا كان التنين هو المتكفل لتعذيب الكافر؟!

ولماذا لا يتولى هذا الأمر السباع والذئاب، أو ما إلى ذلك؟!

ويمكن أن يجاب عن هذا السؤال الثاني:

بأن المطلوب: هو أن يجمع على الكافر أنواعاً من الآلام، فهو من جهة: يتعرض للرعب من هذا العدد الهائل، من هذه المخلوقات المخيفة..

ويتعرض من جهة أخرى: لآلام نهش جسده، وتمزيقه من قبل هذه الأعداد الكثيرة..

ويتعرض ثالثاً: لآلام السم المبرحة التي تقول الرواية: «لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض ما أنبتت ريعها أبداً».

ويمكن أن يجاب على السؤال الأول:

أولاً: أن من الجائز أن يكون العدد تسعة وتسعين متوافقاً مع الصفات الذميمة وتفرعاتها، والملكات الردية التي تقود الإنسان إلى ارتكاب المآثم المختلفة.. مثل صفة الكبر، والحسد، والرياء، والحقد، ونحو ذلك(1).

---

(1) بحار الأنوار ج6 ص219 عن الشيخ البهائي.

ثانياً: إن الكافر تارة يكون مستضعفاً وجاهلاً، فهذا ليس محط النظر هنا. وتارة يكون مستكبراً جاحداً وعاتياً.

وقد ورد في الحديث: أن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، فإذا أمعن هذا الكافر في كفره وطغيانه، وتمرده على الله، فإنه يكون قد تجاوز مجرد عدم إحصاء صفات الله، إلى الإنكار والجحود الذي هو أشر وأضر، وأدهى وأمرّ.

وهذا الجحود هو الذي سيتحول ثعباناً ينهشه في قبره، وسوف تكون الثعابين بعدد تلك الصفات التي أنكرها وحاربها.

وأتبعها ستاً من شوال:

وقد ذكر الكتاب المتقدم في الفصل السابق: أنه «عليه السلام» قد أمر أيضاً بصيام شهر رمضان، وإتباعه بست من شوال.. مع أن هذا أيضاً مخالف لمذهب علي وأهل بيته «عليهم السلام»، كما أثبتته النصوص، فراجع.

ويبدو لنا: أن هذا أيضاً من الإضافات التي أريد بها الدس في كلام علي وأهل البيت «عليهم السلام» ما ليس منه. بل هو من المرويات من طرق غير أهل البيت وشيعتهم.. وقد ذكره ابن أبي جمهور في درر اللآلي(1). ويبدو: أنه أخذه من طرق غير الشيعة

(1) مستدرك الوسائل ج7 ص509 عن درر اللآلي ج1 ص17 وراجع: العهود المحمدية للشعراني ص186 و كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج8

أيضاً، ورواه في الجعفريات بسنده عن الإمام الباقر «عليه السلام»، ولكنه قال: «كان أخاه يصوم ستة أيام بعد شهر رمضان ويقول: بلغني أن من صامها فقد بلغ تمام السنة»[1].

ونجد لهذا الدس على أهل البيت «عليهم السلام» نظائر كثيرة في الفقه وغيره.

ويدلنا على أن هذا ليس مذهب علي وأهل بيته «عليهم السلام» ما يلي:

أولاً: ما دل على كراهة صيام الأيام الثلاثة التي تلي يوم العيد، فقد روي:

1 ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: لا صيام بعد الأضحى ثلاثة أيام، ولا بعد الفطر ثلاثة أيام[2].

ص564 و 652 وسبل الهدى والرشاد ج8 ص434 ومسند أحمد ج5 ص201 وسنن الترمذي ج2 ص124 وسنن النسائي ج4 ص202 وفيض القدير ج2 ص409 والشمائل المحمدية ص166 والسنن الكبرى للنسائي ج2 ص121 ومسند أسامة بن زيد ص126 وشرح معاني الآثار ج2 ص82 وأمالي المحاملي ص416 ورياض الصالحين للنووي ص515.

(1) الجعفريات ص59 ومستدرك الوسائل ج7 ص508 و 509.

(2) تهذيب الأحكام ج4 ص330 والكافي ج4 ص148 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص519 و (الإسلامية) ج7 ص387 ومنتقى الجمان ج2 ص537.

2 ـ عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن اليومين بعد الفطر، أيصامان أم لا؟!

فقال: أكره لك أن تصومهما[1].

3 ـ وعنه «عليه السلام»: إذا أفطرت من رمضان فلا تصومن بعد الفطر تطوعاً إلا بعد ثلاث يمضين[2].

ثانياً: روى الزهري عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه قال: «وأما الصوم الذي يكون صاحبه فيه بالخيار، فصوم يوم الجمعة، والخميس والإثنين، وصوم البيض، وصوم ستة أيام من شهر شوال بعد شهر رمضان، وصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه فيه بالخيار.. إن شاء صام، وإن شاء أفطر»[3].

---

(1) الكافي ج4 ص148 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص519 و (الإسلامية) ج7 ص387 ومنتقى الجمان ج2 ص540.

(2) تهذيب الأحكام ج4 ص298 والإستبصار ج2 ص132 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص519 و (الإسلامية) ج7 ص387 ومنتقى الجمان ج2 ص537.

(3) من لا يحضره الفقيه ج2 ص48 و (ط جماعة المدرسين) ج2 ص80 والكافي ج4 ص86 والخصال ص536 و 537 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص411 و (الإسلامية) ج7 ص300 و 301 والهداية للصدوق ص50 وراجع: فقه الرضا ص23 ومستدرك الوسائل ج7 ص507 و 508 وبحار الأنوار ج93 ص261 وتفسير القمي ج1

ليلة القدر في منام النبي ′:

أما ما ورد في الكتب المتقدمة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في منامه ليلة القدر في العشر الأواخر، كأنه يسجد في ماء وطين، فلما استيقظ رجع ليلته (أي من بدر) وأزواجه، وأناس معه من أصحابه.

ثم إنهم مطروا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى النبي «صلى الله عليه وآله» حين أصبح، فرأى في وجه النبي «صلى الله عليه وآله» الطين، فلم يزل يعتكف في العشر الأواخر الخ..

أما هذه الرواية فلم ترد عن أهل البيت «عليهم السلام» من طرق شيعتهم، لكن القاضي النعمان زعم أنه روي عن علي «عليه السلام» أنه قال: «سئل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عن ليلة القدر، فقال: التمسوها في العشر الأواخر من شهر رمضان، فقد رأيتها ثم أنسيتها، إلا أني رأيتني أصلي تلك الليلة في ماء وطين.

فلما كانت ليلة ثلاث وعشرين، مطرنا مطراً شديداً، ووكف المسجد، فصلى بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن أرنبة أنفه لفي الطين»[1].

ص187.

(1) دعائم الإسلام ج1 ص282 ومستدرك الوسائل ج7 ص469 وبحار الأنوار ج94 ص10.

ونلاحظ على هذه الرواية ونظائرها:

أولاً: إن القاضي النعمان لم يكن من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، بل هو إسماعيلي، وهو يتوسع فيما ينقله عن علي «عليه السلام»، فقد ينقل عنه بأسانيد لا يرتضيها الشيعة الإمامية.

والظاهر: أن هذا منها..

ثانياً: إن هذه الرواية قد تضمنت نسبة النسيان إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» في أمر يرتبط برسالته، ودينه وشرعه الذي جاء به، وهو «صلى الله عليه وآله» معصوم عن السهو والنسيان، والخطأ في كل شيء، فكيف إذا كان يرتبط بأمر الرسالة والدين؟!

ثالثاً: إن هذه الرواية مأخوذة من أهل السنة.. وقد اختلفت في تعيين الليلة، فقد رواها البخاري عن أبي سعيد، لكنه ذكر أن ذلك كان ليلة إحدى وعشرين(1).

---

(1) صحيح البخاري (ط الميمنية - 1312 هـ) ج1 ص119 و (ط دار الفكر) ج2 ص256 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج3 ص172 وسنن أبي داود ج1 ص311 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص285 وج4 ص309 عن البخاري، ومسلم، والسنن الكبرى للنسائي ج2 ص269 وصحيح ابن حبان ج8 ص430 و 431 ومعرفة السنن والآثار ج3 ص452 و 453 وراجع: المصنف للصنعاني ج4 ص248 وعمدة القاري ج11 ص143 وتفسير الثعلبي ج10 ص250 وتاريخ مدينة دمشق ج5 ص32 وإمتاع الأسماع ج10 ص148 والدر المنثور ج6 ص373.

أما رواية صحيح مسلم، عن عبد الله بن أنيس، فنقول: إن ذلك كان ليلة ثلاث وعشرين(1).

قيمة العلم عند معاوية:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة في الفصل السابق حواراً جرى بين الوليد بن عقبة ومعاوية، يظهر اهتمام معاوية بكتاب لعلي «عليه السلام» وجدوه عند محمد بن أبي بكر، كان علي «عليه السلام» قد أرسله إليه، وقد أشار عليه الوليد بإحراقه، فرفض معاوية ذلك..

ونحن نشك في صحة ما يدعيه معاوية، من أنه يحتفظ بذلك الكتاب، لأنه يحب العلم..

والصحيح كما صرح به معاوية: إنه ير يد أن يحتفظ به لينسبه إلى أبي بكر، ويتفاخر به مدعياً: أن لديهم من العلم مثل ما لدى علي «عليه السلام»، لكي يشكك الناس في الحقيقة التي كانت موضع اتفاق، وقد اعترف بها سعد بن أبي وقاص، وهي أن ما عندهم عند علي «عليه السلام»، ولكن ليس كل ما عند علي «عليه السلام» عندهم.

---

(1) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج3 ص173 والسنن الكبرى للبيهقي ج4 ص309 ومسند أحمد ج3 ص495 والتمهيد لابن عبد البر ج21 ص210 وفضائل الأوقات للبيهقي ص225 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج8 ص634 وزاد المسير ج8 ص285.

فإذا كان معاوية يريد تكذيب هذه الحقيقة، فإن الله تعالى قد خذله في ذلك، كما تظهره هذه الواقعة نفسها. وقد صدق علي «عليه السلام» حين قال في نفس كتابه هذا الذي أرسله لمحمد بن أبي بكر، وكان يحتفظ به معاوية، حيث قال فيه: «وإياكم ودعوة الكذاب ابن هند».

ويشهد لما قلناه، من أن معاوية وكل فريقه وحزبه لم يكن يهتم بالعلم: أن هذا الفريق نفسه ابتداء من أبي بكر هو الذي منع كتابة حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن روايته إلا بشاهدين، ومنعوا من السؤال عن معاني القرآن.. وكانوا يعاقبون من يفعل ذلك، وقد استمر هذا المنع أكثر من قرن من الزمن.

ثم ألم يجدوا في كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يستحق أن يكتب، وأن يحتفظ به، وأن يتداوله الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم؟!

وهل كان كتاب أبي بكر ـ على حد زعم معاوية ـ أفضل من كل ما جاء به الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا لا يخرج للناس ما كتب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما يفيدهم في القضاء والفتوى؟!

سوف أكيس بعدها!!:

أما ما ذكرته الرواية، من أن علياً «عليه السلام» قد تأسف على

وصول الكتاب إلى معاوية، وأنه «عليه السلام» قال:

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمر

فنحن نشك في صحته، وذلك لما يلي:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» لم يعثر في شيء مما يرتبط بمحمد بن أبي بكر، ولا كان مسؤولاً عن قتله، ولا كان له يد في وصول الكتاب إلى معاوية أو إلى غيره، وإنما المجرمون الحاقدون المتمردون على إمامهم هم الذين ارتكبوا جريمة قتل ذلك العابد المجاهد الصابر، والتقي الطاهر، عامله محمد بن أبي بكر، ونهبوا بيته، فوقع الكتاب بأيديهم..

ثانياً: لا معنى لقوله: إنه قد عثر، وإنه سوف يكون أكثر نباهة وكياسة، ودقة وضبطاً للأمور، مما يعني: أن ثمة تقصيراً منه «عليه السلام» أدى إلى هذه العثرة، فإنه إن كان قد عثر.

فلماذا يقول: إنه لا يعتذر؟!

وإن كان لم يعثر، فلماذا يسجِّل على نفسه اعترافاً بأمر لا واقع له؟!

ثالثاً: لماذا يعتبر علي «عليه السلام» وصول كتابه المشتمل على السنة إلى معاوية وبني أمية عثرة، كان عليه تلافيها باستعمال الكياسة والدقة. فإن الكتاب حتى لو وقع بيد معاوية أو بيد غيره، فإنه سوف لا يجد فيه غير السنة والأحكام، فإن اعتمد ما فيه، وعمل به، فلماذا ينزعج علي «عليه السلام»، وإن لم يعمل به، وبقي الأمر على

حاله، فلا داعي لاعتبار ضياع الكتاب، أو تجاهل ما فيه، وعدم العمل به عثرة لعلي «عليه السلام»، بل يكون من باب إقامة الحجة على معاوية وحزبه.. وهو من الأمور التي يسعى إليها علي «عليه السلام»..

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» كان لا يزال على قيد الحياة، ويمكنه أن ينشئ كتاباً كالكتاب الذي حبا به محمد بن أبي بكر، أو أفضل منه، ثم ينشره بين العباد في مختلف البلاد.. فلماذا ينزعج «عليه السلام» من وقوعه بيد معاوية؟!

تذكير:

ورد في أواخر الفصل السابق: أن المسلمين إذا تزندقا، فحكمهما هو أن يستتابا، فإن تابا وإلا قتلا..

ومن المعلوم: أن هذا إنما هو إذا كان الإرتداد عن ملة.. أما إذا كان عن فطرة، فإنه يقتل ولا يستتاب..

تبادل رسائل بين معاوية وابن أبي بكر:

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر..

سلام على أهل طاعة الله، ممن هو سلم لأهل ولاية الله.

أما بعد.. فإن الله بجلاله وعظمته، وسلطانه وقدرته، خلق خلقاً بلا عبث ولا ضعف في قوته، لا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم

عبيداً، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً.

ثم اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمداً «صلى الله عليه وآله»، فاختصه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع.

فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب، وصدق [ووافق]، فأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو.. السابق المبرز في كل خير.

أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته.

والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك، من بقيه الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

والشاهد لعلي مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يجالدون حوله بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه.

فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره؟!

وأنت عدوه وابن عدوه.. فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا.

واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور.

وبالله، وبأهل بيت رسوله عنك الغناء! والسلام على من اتبع الهدى.

فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله..

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما اصطفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف،

ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سابقته، وقرابته من نبي الله ونصرته له، ومواساته إياه، في كل خوف وهول، واحتجاجك عليَّ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك.

فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه، أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهما، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم.. وأرادا به العظيم، فبايعهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا، وانقضى أمرهما.

ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدى بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتما وظهرتما، وكشفتما له عداوتكما وغلكما، حتى بلغتما منه مناكما.

فخذ حذرك يا بن أبي بكر، فسترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك، تقصر عن أن تساوى أو توازي من يزن الجبال حلمه، ولا تلين على قسر قناته، ولا يدرك ذو مدى أناته. أبوك مهد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يكن جوراً فأبوك أسه ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا

أباك فعل ما فعل، فاحتذينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع.

والسلام على من أناب، ورجع من غوايته وأناب(1).

ونقول:

يظهر من سياق كلام المنقري: أن محمد بن أبي بكر قد أرسل هذه الرسالة حين كان «عليه السلام» يتأهب للمسير إلى صفين لمحاربة معاوية..

وقد تضمنت الرسالة، وجوابها أموراً مهمة، لا مجال للتوسع في بيانها، غير أننا نشير منها إلى ما يلي:

1 - إن محمد بن أبي بكر قد ذكر لمعاوية نصرة المهاجرين والأنصار لعلي «عليه السلام»، وبذلهم دماءهم في الدفاع عنه.. ولم يستطع معاوية أن ينكر ذلك أو أن يشكك فيه، أو أن يشير إلى ما يصلح للذكر في ما يقابل هذه الحقيقة.

2 - إنه حين أشار إلى فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يستطع معاوية أيضاً أن ينكرها، أو أن يشكك فيها، بل كان مضطراً إلى الاعتراف بها، والتأكيد عليها، بل اعترف بأنهم وأبو بكر معهم كانوا في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرون تقدم أمير

---

(1) صفين للمنقري ص118 - 121 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص188 - 190 ومروج الذهب ج2 ص59.

المؤمنين «عليه السلام» عليهم.

3 ـ والأهم من هذا وذاك: اعتراف معاوية بأن أبا بكر وعمر كانا أول من ابتز علياً حقه، وخالفه على أمره، وكذلك فعل عثمان. فقد قال: «فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره».

4 ـ إن معاوية يعترف بأن ابتزاز حق علي «عليه السلام» كان مدبراً بليل فيما بين أبي بكر وعمر، فقد قال: «على ذلك اتفقا واتسقا»، وكذلك فعل عثمان.

5 ـ إنه يصرح: بأن أبا بكر وعمر قد أرادا قتل علي «عليه السلام»، حيث قال: «فهما به الهموم، وأرادا به العظيم»، وهذا ما فعله عثمان أيضاً.

6 ـ إنه يصرح: بأن أبا بكر وعمر ـ وكذلك عثمان ـ كانا لا يشركان علياً «عليه السلام» في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى ماتا..

7 ـ أما قول معاوية: إن علياً بايع أبا بكر وعمر.. فلعله بملاحظة: أنهم جاؤوا بعلي ملبباً، ثم جاء أبو بكر، فمسح على يده، وصاحوا: بايع، بايع.

وإن كان هنا ليس هذا من البيعة الشرعية والمرضية في شيء..

8 ـ إن معاوية يصرح: بأن ما وصل إليه معاوية من الملك والسلطان، إنما مهد له أبو بكر، فقد قال لمحمد:

«أبوك مهد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك أوله الخ..».

9 ـ وآخر ما نلفت النظر إليه هنا هو قول محمد بن أبي بكر في رسالته «وبالله، وبأهل بيت رسوله عنك الغناء..» أي أن المؤمنين مستغنون عن معاوية بالله، وبأهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله». فذكر الإستغناء بآل الرسول إلى جانب الإستغناء بالله، يتوافق مع مفاد الآيات الكريمة التي في سورة التوبة التي تقول: **(وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ)**(1).

خاتمة هذا الفصل:

وبعد.. فقد بقيت أمور كثيرة هنا كنا نود أن نقف عندها، ونحاول استنطاق النصوص فيها. ولكننا وجدنا أن ذلك سوف يحرجنا ويطيل الأمر على القراء الأعزاء، ويعيقنا عن مواصلة عرض ما تيسر لنا من سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام».

من أجل ذلك: آثرنا قطع الكلام عند هذا الحد، لنوفر الوقت والجهد إلى ما لم نوفق لعرضه من هذه السيرة العطرة والمباركة.. فإلى ما يلي من فصول ومطالب..

---

(1) الآية 81 من سورة التوبة.

الفصل السابع:

توجيهات إلى العمال وأمراء الخراج

أحسن إليهم ما استطعت:

قال المنقري:

«وكان علي قد استخلف ابن عباس على البصرة، فكتب عبد الله بن عباس إلى علي يذكر له اختلاف أهل البصرة، فكتب إليه علي:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس.

أما بعد.. فقد قدم عليَّ رسولك، وذكرت ما رأيت وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافي. وسأخبرك عن القوم: هم بين مقيم لرغبة يرجوها، أو عقوبة يخشاها. فأرغب راغبهم بالعدل عليه، والإنصاف له والإحسان إليه، وحل عقدة الخوف عن قلوبهم، فإنه ليس لأمراء أهل البصرة في قلوبهم عظم إلا قليل منهم. وانته إلى أمري ولا تعده.

وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة، وكل من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله . والسلام.

وكتب عبد الله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين»**(1)**.

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص105 وبحار الأنوار ج32 ص400 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص183 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص403 وأنساب الأشراف ج2 ص387 ونثر الدر ص322 ونزهة الناظر وتنبيه

ونقول:

قد تضمنت هذه الرسالة العديد من الأمور الهامة، التي لا مجال لإيفائها حقها من الدراسة والتأمل، لأننا لا نملك القدرة ولا الأهلية لسبر أغوارها، واستخراج درر بحارها. فلا محيص لنا عن صرف النظر عن ذلك، والإكتفاء باليسير منه، فنقول:

إختلاف أهل البصرة:

إن ابن عباس واجه اختلاف أهل البصرة، وعدم انقيادهم له بصورة سليمة ومرضية، حين أرجع أمرهم إلى إمامه، وأعفى نفسه من الدخول في أمر لا يدري وجه الصواب فيه.

نعم، لقد رأى ابن عباس ما يجري حوله، فأفزعه ذلك، فقد يخالف تارة، ويوافق أخرى، وذاك بالعكس، وذاك يظهر الشكوى والتذمر في موضع، ثم يظهر الرضا، والموافقة في موضع آخر. وذلك يعارض تارة، وأخرى يوافق. وتارة يطيع، وتارة يعصي، ويرضى طوراً ويغضب طوراً آخر، وما إلى ذلك..

وحين لم يهتد إلى الرأي الصواب في سياستهم، وفي حل عقدتهم لم ير لنفسه مخرجاً إلا بالإلتجاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذلك..

الخاطر ص63.

وهذا هو المفروض، والمتوقع من الوالي الأمين على ما تحت يده، والحكيم في تدبير أموره، والطالب رضا الله سبحانه فيما يقول ويفعل.

علي × يغور في الأعماق:

وقد أجابه «عليه السلام» بأسطر يسيرة، وبعبارات موجزة، وقصيرة، ولكنها جليلة المعاني، عميقة المباني.. لأنه «عليه السلام» وضع أصبعه على الجرح. وغار إلى الأعماق وعمل على اقتلاع المشكلة من جذورها..

إنه «عليه السلام» لم يكتف بإصدار توجيهاته العملية إلى ابن عباس لمعالجة المشكلة، فلم يقل: افعل كذا.. ولا تفعل كذا.. بل شرح هذا الأمر بكلمات هي غاية في الإيجاز، وفي روعتها تلامس الإعجاز.. وأتحفه بمعانٍ قليلة، ولكنها جميلة وجليلة.. أظهرت أن على الوالي والحاكم أن لا يعالج الأمور بسطحية وتسرع، بل بتروٍ وتأمل وحكمة.. وأن عليه أن لا يُفْرط بالإعتماد، وبالإستناد إلى سلطانه، وهيبته، ووسائل فرض قراره، بل عليه أن يغور إلى عمق المشكلة، ويستخرج عللها ومكوناتها، ويعمل على تعطيل تلك العلل والمكونات عن قابلية التأثير..

وهذا ما فعله «عليه السلام» تجاه مشكلة أهل البصرة، فإنه نفذ إلى العوامل المؤثرة في سلوكهم هذا، لكي يصلحها ويعيدها إلى طبيعتها، وإلى توازنها، ولتنحسر ـ من ثم ـ ضغوطها على الروح،

وتكف عن استفزاز المشاعر، ليعود للحياة رونقها البهيج، وإشراقها الباهر..

للاختلافات عواملها النفسية:

وخلاصة ما أشار إليه «عليه السلام»: أن أسباب الإختلاف عند أهل البصرة تعود إلى عاملين:

العامل الأول: هو أن قبائل البصرة لم تكن إلى ذلك الحين قد عاشت الإسلام المحمدي الأصيل، الذي يغني نفوسهم بالكرامة والعزة، ويستثير عقولهم لتستضيء بنور العلم، ولم تلامس أرواحهم لذائذ القرب، والحب لله، ولا سكنت رعشات الخشية شغاف قلوبهم، ولم تحتضن ضمائرهم روائع المعاني الإنسانية والوجدانية.. ولا أشرقت قلوبهم بنور الإيمان، ولا سرت في حنايا وجودهم هيمنات الإبتهالات والنجاوى في الخلوات مع الله سبحانه.

بل عاشوا الإسلام، كطقوس تكاد تكون بعد إفراغها من معانيها. وإبعادها عن مراميها..

فهم كما قال الإمام الحسين «عليه السلام»:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء، قل الديانون»(1).

(1) راجع: تحف العقول ص245 وبحار الأنوار ج44 ص383 وج75

إنهم يريدون أن يعيشوا في هذه الدنيا، وأن ينالوا من خيراتها، ويتمتعوا بما تيسر لهم من لذاتها، دون أن تلحقهم تبعاتها.

العامل الثاني: أن يحصل لهم الأمن من مواجهة أي مكروه في سبيل ذلك، وعدم التعرض للعقوبة على ما سلف من أخطائهم وتقصيراتهم..

وهذا بالذات هو ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «هم بين مقيم لرغبة يرجوها، أو عقوبة يخشاها..»(1).

وللوالي أعظم الأثر في هذين الأمرين معاً.

المعالجة:

إنه «عليه السلام» لم يقل لهم: على ماذا أنتم مختلفون؟! ولم يطلب منهم إقامة البراهين على ما يدَّعونه ولا إعطاء المبررات لما يطلبونه، ليضع لهم الحلول، أو للتحكيم فيما بينهم بما تؤدي إليه

ص117 والعوالم، (الإمام الحسين) ص61 و 234 والأنوار البهية ص102 ولواعج الأشجان ص102 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص424 ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص87 والدرجات الرفيعة ص548 وكشف الغمة ج2 ص241.

(1) راجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص35 وبحار الأنوار ج32 ص400 ونهج السعادة ج4 ص129 وشرح نهج البلاغة ج3 ص183 وصفين للمنقري ص105.

تلك الشواهد والأمارات.

بل هو قد وضع حلاً لا يحتاج فيه إلى الحديث مع أحد، ولا إلى شرح المشكلة، ولا تحديد الأشخاص، ولا مصالحتهم مع بعضهم، ولا تحديد المقصر والمسؤول عن الخلل من غيره..

بل جاء الحل بعيداً عن الأشخاص وكأن المطالب به فريق ثالث، وهو ذلك الذي يرى نفسه بريئاً من أي مساهمة في ذلك الإختلاف، لا من قريب ولا من بعيد، وهو محق في ذلك..

لقد ذكر «عليه السلام»: خطة عمل، تحسم هذه الإختلافات بصورة جذرية..

وهي كما يلي:

1 - بالنسبة للرغبات والطموحات أمر «عليه السلام» ابن عباس بقوله: «أرغب راغبهم». وإنما يكون هذا بالوسيلة الحلال، والطريقة الصحيحة عن الشرع والعقل، بما لا يشتمل على ظلم ولا تعدٍّ على مال أو حق أحد..

لقد أمره بأن:

ألف: يرغب راغبهم بالعدل إليه.

ب: و «الإنصاف له».

ج: و «الإحسان إليه».

2 - بالنسبة لموضوع الشعور بالأمن من المؤاخذة على ما أخذ،

وما أخطأ، فقد أمره «عليه السلام» بحلّ عقدة الخوف من قلوبهم.

إيضاحات لهذه الإجراءات:

وقد يكون من المفيد التوضيح لهذه الإجراءات كما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» قال: «بالعدل عليه»، ربما ليدل على أن المطلوب منه أن ينشر العدل على الناس كلهم، بحيث يبلغ، وينبسط على كل راغب في جملة سائرهم، حتى لا يتوهم متوهم تخصيص فرد أو أفراد بأعيانهم بالعدل، دون غيرهم..

وهذا يشير إلى الحاجة إلى إضافة كلمة «عليه» في هذا المورد.

ثانياً: لعل قوله «عليه السلام»: «والإنصاف له» ولم يقل: وإنصافه، ليفيد أيضاً: لزوم تعميم الإنصاف على الجميع، بحيث يشعر كل فرد منهم: أن هذا الإنصاف إنما هو لصالحه. حتى حين يكون هو الذي ينتصف منه أي أنه «عليه السلام» يريد أن يكون الإنصاف هو الحاكم، فإذا أخذ من شخص الحق الذي لشخص آخر، فإن الإنصاف نافع أيضاً للمأخوذ منه، كما هو نافع للمأخوذ له..

ثالثاً: قوله «عليه السلام»: «والإحسان إليه» يريد أن يتجاوز الحاكم معنى العدل الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه، أما الإنصاف فهو إعادة الحق إلى أصحابه، ممن ظلمهم، واعتدى عليهم فيه.. إنه يريد أن يتجاوز هذا وذاك إلى ما هو أسمى وأرقى منهما، فإن العدل هو أدنى المراتب، لأنه لا يزيد عن أنه يزحزح من ينالهم عن حافة

الهاوية أو الخطر، والمطلوب أكثر من ذلك وأكبر، وهو الإحسان الذي هو الزيادة على هذا وذاك، فيبذل للناس ما لم يتعلق لهم حق فيه، وهو ما يرونه تكرماً ونبلاً وتفضلاً..

رابعاً: بالنسبة لحل عقدة الخوف من قلوبهم نقول:

إنه «عليه السلام» تحدث عن عقدة خوف يراد إزالتها، والعقدة هي حالة نفسية عارضة، وغير طبيعية.. وربما لا يلتفت المبتلى بها إلى وجودها فيه، وأنها هي سبب مشكلته..

فالمطلوب هو حل هذه العقدة. وليس المطلوب أن لا يكون هناك خوف من أحد، فإن الخوف حالة طبيعية، يحتاجها الإنسان في كثير من مفاصل حياته، فقد يحتاجها لصيانة نفسه من الإقدام على المزالق والمهالك، أو لكبح جماح الغرائز والشهوات، وضبط حركتها، أو التحرز من الأخطاء والهفوات، وقد يحتاجها لمراقبة السلوك وطريقة التعامل، حتى لا يبادل الإحسان بالإساءة، ولا يطيع حيث يجب أن يعصي ـ كما في طاعة الشيطان ـ ولا يعصي حيث يجب أن يطيع، كما في طاعة الرحمان..

أما أن يصبح الخوف عقدةً ومرضاً، منشؤه الأوهام الباطلة، فذلك مرفوض، ولا بد من معالجته والتخلص منه..

وربما يكون الأجدى والأجدر ـ كما في هذا المورد الذي تصدى أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعالجته ـ هو السكوت عن الإشارة حتى إلى اسمه وعدم الدلالة عليه، وأن تأتي المعالجة بطريقة عفوية، وكأنها

هي المسار الطبيعي للأمور، لأن الأنظار لو توجهت إلى هذا الخلل، وهذه العقدة، فلربما ترك ذلك آثاراً سلبية أكبر وأخطر من هذا المرض نفسه.. حين تستيقظ في النفوس الضعيفة والمريضة، جهالاتها وعصبياتها، وتثور التوهمات الباطلة، لتنسج الأضاليل، وتستدرج الأقاويل التي تزيد نار الفرقة اتقاداً، وضعفاء البصيرة عناداً..

ولأجل ذلك جاء قرار أمير المؤمنين «عليه السلام» بالمعالجة الصامتة، والعفوية التي لا تثير الإهتمام، ولا تلفت نظر أحد..

نظرة أهل البصرة إلى أمرائهم:

وقد أشار «عليه السلام» إلى حقيقة أخرى تؤكد صحة هذه السياسة التي أمر «عليه السلام» ابن عباس بانتهاجها في أهل البصرة، وهي أن أكثرهم كانوا لا يعظمون أمراءهم بالقدر الذي يتوقعه ابن عباس..

والذين كان لأمراء البصرة مكانة في قلوبهم هم قلة قليلة..

ولكن كلامه «عليه السلام» يُشعر أن مقصوده: هو فقدان التعظيم والإجلال القلبي.. أما التعظيم اللساني والتعامل الظاهري، فقد لا يظهر فيه هذا الأمر.. ولا يتوافق مع ما يضمرونه.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يعرف ابن عباس ـ وهو أميرهم آنئذٍ ـ هذا الأمر، لأنه رأى أن ذلك يسهّل عليه التعامل معهم، وستحصنه معرفته بهذه الحقيقة من الوقوع ـ ولو جزئياً ـ في أفخاخ

كثيرة قد ينصبها له أهل الخداع، وتصونه من بعض مكر أهل الأطماع..

وسبب هذه الحالة فيهم ليس الخوف أو الطمع، بل هو ما عاينوه من سيرة ولايتهم فيهم منذ فتحت بلادهم، ومُصِّرَتْ بلدهم، فإنهم لم يكونوا في الأكثر من أهل الدين، والإستقامة، ولا من ذوي النبل والكرامة، ولا من أهل الثقة والأمانة.

وهذا يحتم على ابن عباس أن يريهم سيرة أخرى، وسلوكاً آخر، وأن يبذل جهداً في تبديل الصورة السيئة التي في أذهانهم عن الحكم والحاكمين.

ولذلك قال «عليه السلام»: «فإنه ليس لأمراء أهل البصرة في قلوبهم عِظَم إلا قليل منهم..».

لا اجتهاد في مقابل النص:

وقد ألزم «عليه السلام» ابن عباس بامتثال أمره، وأن لا يعدوه ذلك لسببين:

أولهما: أنه ليس له العمل باجتهاده في مقابل هذا النص الصريح الذي بعث به إليه..

الثاني: إن هذا الذي أمره به هو من الأمور التي يُلْزِمُ بها الشرع والعقل، والوجدان الصريح، والتدبير الصحيح، وهو من حقوق الناس الثابتة التي لا بد من أدائها إليهم..

أحسن إلى هذا الحي من ربيعة:

ثم إنه «عليه السلام» أمر ابن عباس بأن يحسن إلى ربيعة، ثم عقب ذلك بأمره بأن يحسن إلى جميع الناس..

وهذا لا يعني أن ابن عباس كان متحاملاً على ربيعة، إذ لعل سبب هذا التنصيص على خصوص ربيعة هو أن ربيعة كانت السبَّاقة إلى نصرته في حرب الجمل، ولم تخضع للضغوط التي تعرضت لها، وهذا يجعل لها حقاً في رقاب المسلمين.. ينبغي للحاكم أن لا يغفل عن رعايته، ولا يتهاون في شأنه، لأن حفظه لهم يشجع غيرهم على الإقتداء بهم، ويحبب الناس بسلوك طريقهم في ذلك.. فيكون هذا الإحسان من أسباب الهداية إلى طريق الحق والخير..

اقسم المال بينهم حتى تغنيهم:

قال المنقري:

وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس.

أما بعد، فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين وفيئهم، فاقسمه[1] من قبلك حتى تغنيهم، وابعث إلينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا.

---

(1) لعل الصحيح إضافة كلمة «في» في هذا المورد.

والسلام[1].

لكن في نهج البلاغة رسالة أخرى أرسلها «عليه السلام» لقثم بن العباس، وقد وردت فيها هذه الفقرة أيضاً، وهي رسالة مطولة[2] سوف نوردها إن شاء الله في الموضع المناسب من هذا الكتاب.

ونقول:

نتوقف هنا عند النقاط التالية:

المطلوب هو الغنى:

ليس المطلوب من تقسيم أموال بيت المال على المحتاجين هو إعطاؤهم لمجرد سد خلتهم، وحفظ حياتهم من التلف. ثم يحتفظ الحاكم في خزائنه بما زاد على ذلك. بل المطلوب هو: أن يعطى أهل الحاجة حتى يحصل لهم الغنى الشرعي، وهو أن يملك كل واحد منهم قوت سنته، ونفقاتها.. ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «فاقسمه!! من قبلك حتى تغنيهم».

وذلك لأن المال مالهم، فلماذا يحبسه عنهم؟! فإن فضل عنهم شيء بعد بلوغهم حدّ الغنى، فلا يوضع في الخزائن أيضاً، بل ينقل

---

(1) صفين للمنقري ص106.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص127 الكتاب رقم 67 وبحار الأنوار ج33 ص497 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص30 ومستدرك الوسائل ج13 ص172 و 173.

إلى إمام المسلمين، لكي يقسمه في المحتاجين الذين في محيطه..

وفي لزوم الإعطاء إلى حدّ الغنى حفظ للكرامة الإنسانية، وصيانة لماء الوجه عن أن يبذل باستمرار كلما عرضت له حاجة، تحتاج إلى مال.

احمل ما فضل إلينا:

وقد أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» ابن عباس بتقسيم أموال أهل البصرة فيهم. فإن فضل شيء بعد بلوغهم حدّ الغنى أرسله إلى علي «عليه السلام»، ليقسمه في الفقراء الذين في ناحيته.

وهذه هي نفس سياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر، ولا يقسمها بينهم بالسوية، إنما يقسمها على قدر ما يحضره منهم، وليس في ذلك شيء موقت[1].

ولكن أبا بكر كان يُلزِم أهل البوادي بحمل جميع صدقاتهم إليه،

---

(1) الكافي ج3 ص554 وج5 ص27 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص16 و (ط جماعة المدرسين) ج2 ص31 وتهذيب الأحكام للطوسي ج4 ص103 وج6 ص151 و (آل البيت) ج9 ص265 و (الإسلامية) ج6 ص184 وغوالي اللآلي ج3 ص123 وحلية الأبرار ج1 ص378 وبحار الأنوار ج47 ص215 وج97 ص20 ومنتقى الجمان ج2 ص408.

حتى قال: «لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه»(1).

وكان هذا هو ذنب الذين أطلقوا عليهم اسم «مانعي الزكاة»، فإنهم أرادوا أن تقسم صدقاتهم في فقرائهم.. فاتهموهم بالارتداد، وقتلوا مالك بن نويرة، ومن معه من رجال بني حنيفة، وسبوا نساءهم لأجل هذا(2).

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص153 و 209 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص159 وأسد الغابة ج4 ص68 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص476 والكامل في التاريخ ج2 ص344 وإمتاع الأسماع ج14 ص232 و 538 وخزانة الأدب ج7 ص546.

(2) راجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص110 ووفيات الأعيان ج6 ص15 وقاموس الرجال ج4 ص146 و 147 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص278 و 279 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص504 والغدير ج7 ص159 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص204 - 206 والنص والإجتهاد ص119 و 123 وأسد الغابة ج4 ص295 و 296 ومعجم البلدان ج1 ص455 والبداية والنهاية ج6 ص354 و 355 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص73 وبحار الأنوار ج30 ص476 و 477 و 491 و 493 والثقات لابن حبان ج2 ص169 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص274 والإصابة ج2 ص218 وج5 ص560 و 561 والإستغاثة ج2 ص6 والكنى والألقاب ج1 ص42 و 43 وبيت الأحزان ص104.

تعرف الأمور بنظائرها:

وكتب «عليه السلام» رسالة إلى أحد ولاته، وهو الأسود بن قطبة ما يلي: من عبد الله علي أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الأسود بن قطنة. (أو قطبة).

أما بعد، فإنه من لم ينتفع بما وعظ، لم يحذر ما هو غابر، ومن أعجبته الدنيا رضي بها، وليست بثقة.

فاعتبر بما مضى تحذر ما بقي.

واطبخ للمسلمين قبلك من الطلاء ما يذهب ثلثاه.

وأكثر لنا من لطف الجند، واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند، فإن للولدان علينا حقاً، وفي الذرية من يخاف دعاؤه، وهو لهم صالح. والسلام[1].

وهناك كتاب آخر منه «عليه السلام» إلى الأسود بن قطبة، صاحب جند حلوان. ذكره الشريف الرضي «رحمه الله»، فراجعه[2].

ونقول:

إن هذا الكتاب يشير إلى العديد من الأمور، نذكر منها على سبيل المثال:

---

(1) صفين للمنقري ص 106.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص115 الكتاب رقم 59 وبحار الأنوار ج33 ص511 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص145.

الإستدلال بالحاضر على المستقبل:

إنه «عليه السلام» قد بيَّن لنا عملياً أن على الإنسان أن يدرس تاريخ الأشخاص، ليعرف أحوالهم، ويستدل بها على ما سيكون منهم في مستقبل أيامهم، لأن الأمور تعرف بأشباهها ونظائرها.. شرط أن تشتمل تلك الأشباه والنظائر على نفس الخصائص، والمحفزات، والمناشئ لما حدث وكان.. ولأجل ذلك، قال «عليه السلام»: «من لم ينتفع بما وعظ، لم يحذر ما هو غابر».

طبخ الطلاء للمسلمين:

وقد أمر «عليه السلام» عامله بأن يطبخ الطلاء، حتى يذهب ثلثاه، ثم يسقيه المسلمين.

وربما يكون مراده بالمسلمين هو: الجند، وسائر من يفترض بالوالى أن يتولى إطعامهم.

والطلاء، من أسماء الخمر.. وأراد به هنا: العصير العنبي المغلي، الذي يصير بغليانه حراماً ومسكراً، لكن لو استمر في غليانه إلى أن يذهب ثلثاه، فإنه يصير حلالاً..

ولعل الهدف من هذا التوجيه لعامله، هو:

أولاً: تعريف الناس بحكم العصير، متى يكون حراماً، ومتى يكون حلالاً، لأنه كان موضع ابتلاء للناس في حياتهم اليومية..

ثانياً: بيان: أن التوسعة في الإطعام على المسلمين، ولا سيما الجند

مطلوبة، ولا ينبغي الإقتصار في إطعامهم على أمور بعينها، حتى يصير تجاوزها إلى ما عداها مورد اعتراض، أو مثاراً لشبهة التبذير والإسراف، وما إلى ذلك..

وأكثر من لطف الجند:

ومن أوامره التي أصدرها «عليه السلام» إلى عامله، قوله: «وأكثر لنا من لطف الجند»، والمراد: الإكثار لهم من العطايا لهم، وإتحافهم بالهدايا، فإن ذلك من موجبات حسن ظنهم بولاتهم، ويدعوهم إلى بذل النصيحة له، ويعطف قلوبهم عليه، كما أن إلطاف الجند بالهدايا والعطايا، سوف يظهر أثره في أبنائهم، وعوائلهم، وذريتهم.

وقد أشار «عليه السلام» في عهده للأشتر إلى لزوم التوسعة عليهم، بما يسع عوائلهم، فقال: «وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم في خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم بعطف قلوبهم عليك».

ونستنتج من رسالته «عليه السلام» إلى الأسود:

1 ـ أن المطلوب هو عدم الإكتفاء بالأرزاق المالية المعتادة للجند..

2 ـ إنه لا بد في العطاءات المالية من ملاحظة حال الولدان،

وحاجات الذرية، الذين قد تدفعهم حاجتهم المادية إلى اللجوء إلى سلاح الدعاء على ولاة الأمر..

3 - إنه لا بد من الإكثار في تلك الهدايا والعطايا..

4 - إن على الحاكم أن يتحرز من دعاء الضعفاء والمحتاجين، وأن يراقب أحوالهم، ويبادر إلى إصلاحها حتى لا تصل الأمور بهم إلى الشكوى إلى الله سبحانه..

أمراء الخراج: أوامر وزواجر:

قال المنقري:

وكتب إلى أمراء الخراج:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمراء الخراج.

أما بعد.. فإنه من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ولم يحرزها. ومن اتبع هواه وانقاد له على ما يعرف نفع عاقبته عما قليل ليصبحن من النادمين.

ألا وأن أسعد الناس في الدنيا من عدل عما يعرف ضره، وإن أشقاهم من اتبع هواه. فاعتبروا واعلموا أن لكم ما قدمتم من خير، وما سوى ذلك وددتم لو أن بينكم وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف ورحيم بالعباد.

وإن عليكم ما فرطتم فيه، وإن الذي طلبتم ليسير، وإن ثوابه

لكبير. ولو لم يكن فيما نهى عنه من الظلم والعدوان عقاب يخاف، كان في ثوابه ما لا عذر لأحد بترك طلبته، فارحموا ترحموا، ولا تعذبوا خلق الله، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم؛ فإنكم خزان الرعية.

لا تتخذن حجاباً، ولا تحجبن أحداً عن حاجته حتى ينهيها إليكم. ولا تأخذوا أحداً بأحد إلا كفيلاً عمن كفل عنه، واصبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط، وإياكم وتأخير العمل ودفع الخير، فإن في ذلك الندم. والسلام(1).

والنص الذي أورده الشريف الرضي «رحمه الله» لهذا الكتاب هو التالي:

أما بعد..

فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها. واعلموا أن ما كلفتم به يسير، وأن ثوابه كثير. ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه.

فأنصفوا الناس من أنفسكم. واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة. ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا

---

(1) صفين للمنقري ص108 وبحار الأنوار ج72 ص355.

صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبداً.

ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس: مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام، فيكون شوكة عليه.

ولا تدخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة. وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم، فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره بما بلغت قوتنا، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(1).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، هي التالية:

من المخاطب؟!:

وقد أورد المنقري: الأسطر الثلاثة الأخيرة من الرسالة المتقدمة التي ذكرها الشريف الرضي قائلاً: إن ذلك مما كتبه «عليه السلام»

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص80 و 81 الكتاب رقم 51 وبحار الأنوار ج33 ص471 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج10 ص332 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص19. والفقرات الأخيرة من قوله: ولا تدخروا أنفسكم الخ.. في صفين للمنقري ص125.

إلى عماله(1)، لا إلى أمراء الخراج.

وهذا هو الأنسب بمضامينها، والأوفق بالمهمات التي أوكلت إلى الفئة التي خوطبت بها. فإن من يرعى أمور الجند، ويطلب منه أن يسير فيهم بسيرة حسنة، ويعين الرعية، هم الولاة، وليس أمراء الخراج.

من أجل ذلك نقول:

لعله «عليه السلام» قد خاطب في رسالته هذه فريقين من الناس، هما: العمال، وأمراء الخراج، فإن بعض مضامين الرسالة تصلح للفريقين معاً، لأن العامل أيضاً يتعاطى الشؤون المالية، ويساعد عمال الخراج في مهماتهم، ويكون ظهيراً لهم، وربما أوكل إليهم بعض التصرفات المالية، التي تصبح موضع الحاجة بسبب حضورهم المباشر في المواضع العملية، ومواجهتهم الأمور بصورة مباشرة، وقدرتهم على التصرف الفوري أكثر من الغائبين.

الحذر ضرورة:

هناك أمور يحتاج الناس كلهم إلى مراعاتها، والأخذ والإلتزام بها.. ومنها: التفكير بالعواقب، والحذر من أن تأتي على خلاف المراد، لأن هذا الحذر يدفع الإنسان إلى إحكام الأمر، وسد الثغرات، وتفقد كل صغيرة وكبيرة، للتأكد من سلامتها، ومن صحة عملها،

---

(1) صفين للمنقري ص125.

وموافقتها للمطلوب.

كما أن هذا الحذر يدعو الإنسان إلى متابعة الإحتمالات المختلفة، ودراستها لمعرفة مدى ارتباطها، أو فقل: مدى تأثيرها سلباً أو إيجاباً على مسار العمل الذي يراد إنجازه، ثم المبادرة إلى التعامل معها بمسؤولية وبجدية.

وبدون هذا الحذر يكون الإنسان قد وضع نفسه في دائرة التفريط، الذي لا يعذر فيه، ويرتب عليه مسؤوليات، ويعرض نفسه لمؤاخذات ليس له منها خلاص، ولا له عنها مناص.

وبذلك يتضح حال من ترك الأخذ بما يعرف نفع عاقبته، متابعة منه لهواه، فإن ندمه على فعله هذا سيكون حتمياً.

ارحموا ترحموا:

وأمراء الخراج إنما يتعاملون مع عامة الناس فيما يرتبط بالمال الذي هو أمر شخصي لهم، ويعني كل فردٍ فردٍ منهم. ولهم حساسية كبيرة تجاهه وعلاقة خاصة به، لأنه هو نتاج جهد وتعب، وعرق، وعناء، ويشعر كل شخص بأنه صرف فيه طاقته وعمره، وأودع فيه بعض كيانه وجوده.

فانتزاع هذا المال منهم، يوازي انتزاع جزءٍ حقيقي من الكيان.. لا كانتزاع الخاتم من الأصبع، أو الثوب عن الجسد، بل فوق ذلك، وأكثر حساسية وأهمية..

ويتأكد لنا ذلك حين يكون الناس العاديون يحبون المال حباً جماً، وكيف لا يكون كذلك، وهم يرون في المال ضمانة وجودهم، وبه حفظ حياتهم، وهو رزقهم، ومصدر شعورهم بالأمن والسكينة، وبه قوتهم، وهو يقضي حوائجهم، ويحقق آمالهم، وينيلهم ما يشتهون، وهو طبيبهم، ودواؤهم حين يمرضون، وبه يصولون ويجولون، وبه يتفاخرون ويتكاثرون.. وعلى هذا فقس ما سواها..

فانتزاع هذا المال منهم لأي سبب كان سيكون صعباً للغاية.. فكيف إذا كانوا لا يملكون منه إلا القليل، ويراد انتزاع بعض هذا القليل أو كله منهم؟!

ويزيد الطين بِلَّةً والخرق اتساعاً: أن يبادر عمال الخراج إلى أسلوب الخشونة والظلم والتعدي والبغي على الناس في سياق تحصيل الأموال منهم..

وقد عالج «عليه السلام» هذا الأمر ببيانات تختلف عما ألفناه وعرفناه.. وقد دلنا كلامه في الرسالة بملاحظة نصوصها المتقدمة على أمور عديدة هي كما يلي:

1 ـ إن هذه الخشونة لا تنسجم مع معنى الرحمة الذي يفترض أن يكون من مميزات الإنسان بما هو إنسان كامل، ومتوازن.

والرحمة أيضاً من سمات الإيمان، أو فقل: من مكونات الشخصية الإيمانية التي تساعد على تجسد سائر المعاني الإنسانية، وتسهم في تبلورها في كيانه بصورة سليمة وقويمة.

ولذلك سمى «عليه السلام» هذه الخشونة في تحصيل الأموال بغياً، وعدواناً. وهي أسماء وعناوين تتنافر مع الفطرة الإنسانية، ويرفضها معنى الإيمان الصحيح والصافي، ويأباها الوجدان والضمير، ويقبحها العقل القويم، ويمجها الذوق السليم.

2 ـ إن لهذه العناوين التي ذكرها «عليه السلام» عقوبات شرعية، لأنها تغضب رب العالمين، وتبعد فاعلها عن ساحات القرب والرضا، وتودي به إلى مهاوي البوار والهلاك والردى.

3 ـ ذكر «عليه السلام»: أن مبدأ المقابلة بالمثل كما هو حاكم في موارد العدوان على حرمات الناس، وإيذائهم. فمن لا يَرْحَم لا يُرْحَم.. كذلك هو حاكم في العقد الإيجابي أيضاً، فمن يَرْحَم يُرْحَم..

مع أن العقوبة في العقد السلبي، أي في مورد الظلم والعدوان هي مقتضى حفظ الحقوق.. وليس هناك حق في العقد الإيجابي يفرض أي شيء.. مما يعني: أن المقابلة بالمثل فيه هي محض تفضل وتكرم، بهدف التشجيع على الخير وتنميته من جهة، ثم هو توفيق يأتي من موقع الإرفاق والرحمة واللطف بهم، والرعاية لهم من جهة أخرى.

4 ـ إنه «عليه السلام» قد وضع الإنسان أمام معادلة يتذوق فيها حلاوة الكرامة، حين يجد نفسه في مواجهة خيار يرى أن إسقاطه يساوق إسقاط معنى الكرامة في نفسه، لأن إسقاطه معناه تخليه عن أمر تفرضه عليه البداهة الإنسانية والعقلية، لأن الإنسان المتوازن والعاقل إذا رأى الضرر والهلاك في جانب، ورأى أن في الإبتعاد

عنه نجاة من عقوبات اقتضاها النهي الإلهي عنه. يضاف إليهما: مثوبات وجوائز وعطايا، فإنه لا يمكن اختيار إلقاء نفسه في الضرر والهلاك، فيخسر نفسه أولاً، ويبوء بغضب الله، ويستحق العقوبات ثانياً، ويخسر أيضاً تلك المثوبات والجوائز المقررة لمن يختار تحاشي ذلك العمل ثالثاً..

ولو أنه فعل ذلك، فإنه لا يكون متوازناً، ولا عاقلاً، ولا يريد لنفسه الكرامة، بل هو يتعمد لها البوار والهلاك والمهانة.

5 ـ إنه «عليه السلام» أراد تيسير الأمر وتهوينه على النفس، بالدعوة إلى الموازنة بين حجم الجهد المطلوب، وبين النتائج، حيث سيكتشف أن اليسير من الجهد، سيجلب له منافع أكبر وأكثر.. واكتشاف هذه الخصوصية سيثير الرغبة في الحصول على ذلك الكثير ببذل اليسير، فإن الإنسان يحب جلب المنافع والإستكثار من الأرباح.. ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «ما كلفتم به يسير، وأن ثوابه كثير».

6 ـ قد يتوهم عامل الخراج أن المنع من البغي والعدوان لا يعني المنع من التعذيب، فيبادر إلى التعذيب، لكي يحصل على المال الذي هو مكلف بجمعه، فجاء التحذير من ذلك أيضاً، فقال «عليه السلام» لهم: «ولا تعذبوا خلق الله»، فإن جمع المال منهم لا يبرر تعذيبهم لأجله.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: لا تعذبوا خلق الله، ولم يقل: ولا

تعذبوا الناس. وذلك لعدة أمور:

أولاً: ربما ليذكرهم بالله تعالى. ويكون حاضراً أمامهم.

ثانياً: ليشير بتقرير العلاقة بين الله تعالى، وبين مخلوقاته إلى أن الله تعالى هو الذي يتولى الإقتصاص لهم.

ثالثاً: اختار «عليه السلام» التعبير بالخلق، دون سائر الكلمات ككونهم عباده تعالى ربما لكي يشير بذلك إلى عظيم قدرته تعالى.. وأنه لا يعجزه شيء.

رابعاً: إن هذا يذكرهم بأن من يعذبونهم هم مثلهم في كونهم مخلوقين، فلا ميزة لأحد على أحد تبرر له تعذيبه.

7 ـ وبعد أن ذكر «عليه السلام» أن على عامل الخراج أن لا يبغي، ولا يعتدي على أحد، ولا يعذب أحداً، انتقل «عليه السلام» إلى بيان أمر آخر يهم الناس، فقال: «ولا تكلفوهم فوق طاقتهم».

فإن هذا التكليف سيصبح بنفسه دعوة لهم إلى التمرد والعصيان، وقد قيل: إذا أردت أن تطاع، فاطلب ما يستطاع..

وقد ورد في الأخبار الشريفة: الثناء على الوالد الذي يعين ولده على بره[1].

---

(1) الإمامة والتبصرة (صور النسخ المخطوطة) ص37 والكافي ج6 ص50 والأمالي للصدوق ص363 وثواب الأعمال للصدوق ص186 وتهذيب الأحكام ج8 ص113 وروضة الواعظين ص367 ووسائل الشيعة (آل

وقال «صلى الله عليه وآله»: «ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة»[1].

وقال تعالى: (**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**)[2].

وقال سبحانه: (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**)[3].

أنصفوا من أنفسكم، وأصبروا لحوائجهم:

وقد أصدر «عليه السلام» هنا أوامر إدارية هامة، نذكر أربعة منها:

البيت) ج16 ص378 و ج21 ص481 و (الإسلامية) ج11 ص592 وج15 ص199 ومستدرك الوسائل ج15 ص169 ومستطرفات السرائر ص595 ومشكاة الأنوار ص281 وبحار الأنوار ج71 ص65 و 86 وج101 ص98 والمصنف لابن أبي شيبة ج6 ص101 والجامع الصغير للسيوطي ج2 ص13 وكنز العمال ج16 ص457.

(1) الكافي ج5 ص494 وبحار الأنوار ج22 ص264 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص144 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج4 ص302 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص144 والتفسير الكبير للرازي ج7 ص118 و 135 و 157 وج10 ص68 وج15 ص25 وج32 ص47 وتفسير أبي السعود ج1 ص277 ومعارج الأصول للمحقق الحلي ص214.

(2) الآية 185 من سورة البقرة.

(3) الآية 78 من سورة الحج.

الأول: إنصاف الناس من أنفسهم.

الثاني: الصبر لحوائجهم..

الثالث: أن لا يحشموا أحداً عن حاجته.

الرابع: أن لا يحبسوا أحداً عن طلبته.

فإن مراعاة هذه الأمور، تزيل الكثير من المشكلات، وتجلب رضا العامة. وتريحهم نفسياً، وعملياً أيضاً..

وقد علل «عليه السلام» الأمرين الأولين، بأمور ثلاثة.. وتوضيح هذه الأمور، وبيان بعض خصوصياتها يكون كما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» أمر عمال الخراج:

أولاً: بإنصاف الناس من أنفسهم، فإنهم بحكم موقعهم العملي والتنفيذي، قد يشعرون بأنهم إذا صدرت منهم بعض التعديات على هذا أو ذاك، فليس لأحد الحق في مطالبتهم بإعطاء الحق من أنفسهم، وكأنهم يرون أنفسهم ـ ولو بصورة جزئية ـ فوق القانون، وفي مأمن من المحاسبة.

وقبول هذا المفهوم، أو حتى التغاضي عنه، يكرس مخالفة صريحة للشريعة، ونقضاً للقيم الإيمانية والإنسانية..

ثم أمرهم «عليه السلام»:

ثانياً: بالصبر لحوائج الناس، لأن كثيرين ممن يتصدون للعمل العام، بالرغم من أنهم يتقاضون أجراً، فإنهم يتعاملون مع الناس

بشيء من ضيق الصدر، وقلة الصبر، والإهمال والتثاقل.. الأمر الذي يحرج الناس، الذين لهم حوائج يريدون قضاءها، ومشكلات يهمهم حلها.

2 ـ إنه «عليه السلام» قد علل هذين الأمرين، اللذين أصدرهما للعاملين في الحقل العام، بأمور ثلاثة، هي التالية:

ألف: إنهم خزان الرعية.. وعلى الخازن أن يمكّن صاحب المال من ماله، ولا يبطئ في ذلك، لأن هذا الإبطاء قد يوجب الإخلال بمسار الأمور، وقد يضيع على صاحب المال فوائد وعوائد، بلا مبرر ولا موجب ظاهر لتضييعها.

يضاف إلى ذلك: أن كون هؤلاء العمال عمالاً على الخراج، أو خزاناً للرعية، فذلك يعني: أن عليهم أن لا يتذمروا من حوائج الناس، بل الناس هم الذين يتذمرون منهم إذا قصروا في القيام بوظائفهم. لأن على الخازن أن يؤدي الأمانة إلى أهلها، ولا يتلكأ في ذلك ..

ب: إنهم وكلاء للأمة. والوكيل تابع للأصيل.. فما معنى أن يعتدي الوكيل على موكله، ويظلمه، ويعتدي ويبغي عليه، ولا ينصفه من نفسه؟!

ومما معنى أن يتلكأ الوكيل في أداء حق موكله إليه، أو أن يتضايق من مطالبته بذلك الحق؟!

ج: إنهم سفراء الأئمة.. والسفير هو الرسول المصلح بين القوم، والمصلح لا يتعدى على القوم الذين جاء ليصلح بينهم، ولا يتلكأ في

تلبية حاجاتهم، ولا يكون ضيق الصدر في تعامله معهم، بل هو يصبر على معرتهم، ويداريهم، ويتحمل، ولا يتثاقل، ولا يتأفف، ولا يضجر.

بيع الحاجات لأداء ماليات الدولة:

والذي نعرفه في الحكومات عبر التاريخ هو اعتبار حقوقها المالية مقدسة، ومقدمة على كل حق، وهي تضرب وتسجن، وتلاحق وتؤذي، وقد تكره الناس على الإقتراض وعلى بيع أملاكهم، وعقاراتهم، لأن المهم عندها هو: الحصول على ما ترى أنه لها.

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» في رسالته هذه، يحظر على عماله:

1 ـ بيع كسوة شتاء، أو صيف.

2 ـ يحظر عليهم بيع دابة له، يستفيد منها في أعماله، أو بيع عبد يخفف بعمله عنه بعض الأعباء..

3 ـ ويحظر عليهم أيضاً: ضرب أي كان من الناس، لأجل مال يراد استخراجه، ويرى أنه مطلوب منه..

بين نهجين:

وبعد.. فإن من المفيد هنا: أن نذكر لمحة عن نهج الفئات المناوئة لأهل البيت «عليهم السلام» في التعامل مع الناس فيما يرتبط بالأموال.

ويكفي أن نذكر هنا ما ذكره محمد بن علي بن نصر، المعروف

بابن رؤبة الدباس. فقد ذكر في كتابه افتراق هاشم وعبد شمس ما يلي:

1 ـ كان عمال بني أمية يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، ويقولون: هؤلاء فروا من الجزية.

2 ـ يأخذون الصدقة من الخيل.

3 ـ ربما دخلوا دار الرجل قد نفق فرسه أو باعه، فإذا أبصروا الآخية[1] قالوا: قد كان ها هنا فرس، فهات صدقتها.

4 ـ كانت بنو أمية تبيع الرجل في الدين يلزمه، وترى أنه يصبر بذلك رقيقاً. وكان معن أبو عمير بن معن الكاتب حراً، فباعوه في دين عليه، فاشتراه أبو سعيد العتكي. وباع الحجاج علي بين بشير بن ماحوز ـ لقتله رسول المهلب ـ على رجل من الأزد.

5 ـ وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين، كما توسم الخيل، علامة لاستعبادهم. ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم، كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة.

6 ـ وبايع مسلم (مسرف) بن عقبة أهل المدينة، وفيها بقايا الصحابة، وأولادها، وصلحاء التابعين على أن كلاً منهم عبد قن[2] ليزيد بن معاوية.. إلا الإمام السجاد «عليه السلام»، فإنه بايعه على

---

(1) الآخية: عروة تربط إلى وتدً مدقوق، تشد إليها الدابة.

(2) القن: الذي ولد عندك، ولا يستطيع أن يخرج عنك.

أنه أخوه وابن عمه(1).

7 ـ أما في عهد بني العباس، فالأمر أسوأ وأخطر، ويكفي أن نذكر: أن المنصور العباسي «كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدوا ما عليهم»(2).

وفي زمن المهدي: «كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، والزنابير والسنانير»(3).

وكان الرشيد قد «أخذ العمال، والتنَّاء، والدهاقين، وأصحاب الصنايع، والمبتاعين للغلات، والمقبلين. وكان عليهم أموال مجتمعة، فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام. فطالبهم بصنوف من العذاب»(4).

وكان قد ولى رجلاً يضرب الناس، ويحبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج(5).

وقال أبو يوسف للرشيد بشأن عمال الخراج:

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص240 ـ 242 عن كتاب إفتراق هاشم وعبد شمس لابن أبي رؤبة الدباس.

(2) المحاسن والمساوي ص339.

(3) الوزراء والكتاب ص142.

(4) تاريخ اليعقوبي ج3 ص146.

(5) البداية والنهاية ج10 ص184.

«بلغني: أنه قد يكون في حاشية العامل، أو الوالي جماعة، منهم من له حرمة، ومنهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار ولا صالحين، يستعين بهم. ويوجههم في أعماله، يقتضي بذلك الذمامات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، ولا ينصفون من يعاملونه، إنما مذهبهم أخذ شيء، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم إنهم يأخذون ذلك كله ـ فيما بلغني ـ بالعسف، والظلم، والتعدي[1].

وقال له: «وبلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس، ويضربونهم الضرب الشديد، ويعلقون عليهم الجرار، ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، وهذا عظيم عند الله، شنيع في الإسلام»[2].

لا سلاح بيد الأعداء:

ثم إنه «عليه السلام» منع عماله من أن يمسُّوا مال أحد من الناس، مصل ولا معاهد « إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعْدى به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام، فيكون شوكة عليه».

فقد ألمحت هذه الكلمات اليسيرة إلى أن السلاح بيد العدو يعطي شوكة وقوة لذلك العدو، وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله.. ولا يصح السكوت عنه والقبول به. فإذا وجد للمعاهد سلاح يعطيه قوة، فلا بد

---

(1) الخراج لأبي يوسف (ط سنة 1392 هـ) ص116.

(2) الخراج لأبي يوسف (ط سنة 1392 هـ) ص118.

من مصادرته.

بل يجب أن يتعدى الأمر السلاح إلى كل ما يعطي قوة عسكرية للأعداء. ولو كان مما يمكن الإستفادة منه في الأغراض العادية، ويمكن استخدامه لأغراض عسكرية. ولو بصورة غير مباشرة مثل الفرس التي يستفاد منها في غير الحرب، ويستفاد منها في الحرب أيضاً، لأنها تعين المقاتل وتعطيه تفوقاً على قرنه.

ويمكن التمثيل في أيامنا هذه بالسيارات أو الدرجات النارية ذات الإستعمال المشترك في الحرب وغيرها. فإما أن يصادر ذلك كله من أيدي الأعداء، أو يوضع في مستودعات يصعب الوصول إليها قبل معرفة المؤمنين بذلك، وأخذهم الحيطة والحذر المانع والرادع.

علي × وأمراء الأجناد:

قال المنقري:

وكتب إلى أمراء الجنود:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين.

أما بعد.. فإن حق الوالي ألا يغيره على رعيته أمر ناله، ولا أمر خص به، وأن يزيده ما قسم الله له دنوا من عباده وعطفا عليهم.

ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوى عنكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر حقا لكم عن محله، [ولا أقف به

دون مقطعه] ولا أرزأكم شيئاً، وأن تكونوا عندي في الحق سواء.

فإذا فعلت ذلك وجبت عليكم النصيحة والطاعة.

[وفي نص آخر: وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة].

فلا تنكصوا عن دعوتي، ولا تفرطوا في صلاح دينكم من دنياكم، وأن تنفذوا لما هو لله طاعة، ولمعيشتكم صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق، ولا يأخذكم في الله لومة لائم.

فإن أبيتم أن تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن فعل ذلك منكم، ثم أعاقبه عقوبة لا يجد عندي فيها هوادة.

فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم، يصلح الله أمركم. والسلام[1].

ونقول:

يبدو لنا: أن المخاطب بهذا الكتاب هو أيضاً مطلق العمال والمسؤولين.. وليس خصوص أمراء الأجناد.

ومع غض النظر عن ذلك نشير إلى ما يلي:

---

(1) صفين للمنقري ص107 والأمالي للطوسي ج1 ص231 وبحار الأنوار ج72 ص354 والمعيار والموازنة ص103 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص79 الكتاب رقم 50 مع اختلاف يسير.

من مواصفات الحاكم:

إن أول شيء أشار إليه «عليه السلام»، هو: أن شخصية الحاكم قد تتعرض لنوعين من الحالات تفرض وجود صفتي: الثبات والقوة في شخصيته، إذ بدون ذلك، فإن اختلالاً سوف يطرأ في الممارسة والسلوك:

النوع الأول: أن يواجه بعض الإنتكاسات والضربات التي تناله في شخصه، فإن لم يكن يملك الثبات والقوة والغنى في عمق شخصيته، فإنه سيرتد على رعيته ليتعامل معها بسلبية ورعونة، وحيف وأذى، ولذلك قال «عليه السلام»: إن المطلوب في الوالي هو: «أن لا يغيره على رعيته أمر ناله، ولا أمر خص به».

النوع الثاني: أن يصيب نعمة وفضلاً وسعةً، وامتيازاً، فإن لم يملك القوة والتماسك، والثبات والغنى في عمق شخصيته، فإن هذه النعمة وهذه السعة ستخرجه عن طوره إلى حالات من الإستكبار والإستعلاء، والإبتعاد عن الناس للعيش في عالمه النرجسي الذي تنسجه له أحلامه في أبراج أنانيته العالية والعاتية، التي لا تبقي مكاناً لرحمة أحد، ولا مجالاً للرأفة بأي كان..

من أجل ذلك قال «عليه السلام»: «..وأن يزيده ما قسم الله له دنواً من عباده، وعطفاً عليهم».

حقوق الحاكم.. وحقوق الرعية:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن للرعية على واليها حقوقاً، وعليها واجبات، فإذا أدى الوالي حقوقها إليها وجب عليها أداء ما يجب عليها.

وهذا مفهوم جديد ويخالف ما عهدناه وألفناه فيما يرتبط بالعلاقة بين الوالي والرعية.. فإن من عادة الحكام: أن يفرضوا على الرعية ما يشاؤون، ثم هم لا يتهاونون في اقتناصها منها، كما أنهم إن أقروا بأن للرعية حقاً عليهم، فهيهات ثم هيهات أن يؤدوه إليها إلا بمزيد من الإمتنان عليها والتعنيف، واستعراض العضلات، وطلب الإعتراف الجميل، وكأنهم متفضلون عليها، ومضحون بأملاكهم الخاصة، وبعرق جبينهم، وبسهر الليالي، والتضحيات الجسام في سبيلها.

أما علي «عليه السلام»، فيرى أن إعطاء الرعية حقوقها هو المقدم، ولا يؤخذ منها حتى ما يجب عليها إلا بعد أن تستوفي هي جميع حقوقها من الحاكم، ولذلك قال «عليه السلام» ـ بعد أن ذكر حقوق الرعية ـ: «فإذا فعلت ذلك وجبت عليكم النصيحة والطاعة».

2 ـ يضاف إلى ذلك قوله «عليه السلام»: إن حق الإمام على رعيته لا يزيد على أمرين، هما: الطاعة، والنصيحة.

أما حقوق الرعية على حاكمها، فهي خمسة، وهذا أيضاً مما لم يعهد بين الرعية والحاكم.. بل كانت حقوق الرعية دائماً هي الأقل، إن اعترف أحد لها بحق.. وكانت حقوق الحاكم هي الأكثر والأوفر،

وهي المقدسة والمقدمة على كل شيء.

والحقوق التي ذكرها «عليه السلام» للرعية هي التالية:

1 - أن لا يحتجز عنهم سراً إلا في حرب.

2 - أن لا يطوي عنهم أمراً إلا في حكم، ولا يقف دون قطعه.

3 - أن لا يؤخر لهم حقاً عن محله..

4 - أن لا يرزأهم شيئاً.

5 - أن يكونوا عنده في الحق سواء.

والذي نود أن نسجله هنا هو ما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» ببيانه هذا يعلمنا: أن للأمة الحق في أن تعرف ما لها من حقوق، وأن تطالب بها، وتترقب الحصول عليها، وتراقب سير الأمور في هذا السبيل.

وكان «عليه السلام» هو السبَّاق للتعريف بهذه الحقوق، وبذلك يكون «عليه السلام» قد أسهم في جعل الأمة أكثر وعياً ونضجاً، ومسؤولية.

ب: إنه «عليه السلام» قال: «وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب»..

وقد تضمنت هذه الكلمات الإشارة إلى أمور عديدة:

منها: أنه «عليه السلام» لم يقل: إن لكم عليَّ، إذ قد يفهم من هذا التعبير: أنه «عليه السلام» يريد أن يعطيهم عهداً على نفسه أن يفعل

ذلك، وأنه لولا عهده هذا، فإنه لا شيء يلزمه بفعل ذلك.. فهو المتبرع بهذا الأمر، والباذل له.. مع أن المطلوب هو بيان أن هذا الأمر مما جعله الله تعالى لهم عنده، واستأمنه عليه، ووضعه في عهدته..

ومنها: أنه «عليه السلام» عبر بالإحتجاز، ربما ليفيد: أن طبيعة الأمور تقتضي أن هذه الأسرار إنما هي أسرارهم، وترتبط بأمورهم، وتلامس شؤونهم الأمنية، والمعيشية، والحياتية، فعدم إطلاعهم عليها يمثل نوعاً من التعدي عليهم..

ومنها: قوله «عليه السلام»: «دونكم» ربما ليدل على أن مسارها الطبيعي يؤدي بها إليهم، وكأنها تسير باتجاههم، فاحتجازها معناه: منعها من مواصلة حركتها الطبيعية نحوهم.

ومنها: أن احتجازه السر في الحرب ليس لأجل أنه «عليه السلام» قد أصبح شريكاً لهم في ملكية هذا السر، بل لأن عدم احتجازه يؤدي إلى التفريط به وبهم، من حيث أنه يبطل فيه خصوصية كونه سراً، وهذا يلحق الضرر بهم، فهو يصونه ويحفظه لهم ولأجلهم.. فهو كالأمين على أموال الغير، حيث يجب عليه أن لا يفرط فيها.. دون أن يعطيه ذلك حقاً أو شراكة في تلك الأمانة..

ج: أما قوله «عليه السلام»: «..ولا أطوي عنكم أمراً إلا في حكم»، فيشير اختياره «عليه السلام» لكلمة «أطوي» إلى أن الحكم الذي يصدره إنما هو من إنشائه، وهو الذي يتحمل مسؤوليته..

ومن الواضح: أن إفشاء الحيثيات التي استند إليها في حكمه، قد

يعرض أحكامه للإستخفاف بها، وإلى الضعف والوهن في الإلتزام بها، والتطبيق لها، ويحد من فاعليتها، لأن معرفة الناس للحيثيات تفتح المجال أمام اجتهاداتهم، وتدخلهم في متاهات التخطئة والتصويب، والأخذ والرد، وتسقط بذلك هيبتها، وتفقد بريقها ووهجها..

مع أن هذا النوع من المعرفة ليس من حقوقهم عليه، وكيف يمكن أن يكون من حقوقهم، وهو مضر لهم، ومفسد لحياتهم؟!

نعم، من حق الناس أن يطالبوه بتحمل تبعات وآثار أحكامه حين يظهر بوارها وفساد آثارها.. وهذا أمر آخر.

د: وقال «عليه السلام»: «ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه».

وقد تضمنت هذه الفقرة الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: أنه «عليه السلام» تعهد بعدم تأخير أي حق لهم عن محله. وإنما عبر بكلمة «محله».. مع أنه يكفي أن يقول: «لا أؤخر لكم حقاً».. ربما ليدل: على أنه لو لم يضف هذه الكلمة لتوهم متوهم: أن المقصود هو التعهد بعدم تأخير الحق عن وقته وزمانه، مع أن المقصود أوسع وأدق من ذلك، فإن تأخير الشيء عن محله يشمل عديد من التأخير والتقصير.. فهو يشمل التأخير له عن زمانه، وعن مكانه، وعن رتبته ومقامه. ويشمل صور التقصير، والتجزئة، والتبديل، والتغيير، وما إلى ذلك..

الثاني: أن لا يقف بأي حق لهم دون قطعه، وهذا يضمن لهم حسم الأمر في حقهم، وعدم السماح بأي ترديد وشك وشبهة فيه يؤدي إلى التماس الأعذار في التسويف، أو التراخي، لأن التراخي في حسم الموقف وإزالة الشبهة، يؤدي إلى تأخيره عن محله بعد حصول الحسم، وزوال الريب..

هـ: قوله «عليه السلام»: «ولا أرزؤكم شيئاً» قد يفهم منه أيضاً: أنه يطمئنهم إلى استيفاءهم كامل حقوقهم، وأنه لا يتسامح حتى فيما يتسامح فيه الناس عادةً، ولا يستهين ولا يصرف النظر عن أصغر شيء فيه، مهما كان حجمه ونوعه..

و: أما قوله «عليه السلام»: «وإن تكونوا عندي في الحق سواء» ففيه رد على من سبقوه من الذين جعلوا الناس طبقات، وميزوا بين الشريف وغيره، وقدموا العربي على غير العربي، والقرشي على غيره في العطاء وفي أمور كثيرة أخرى.

وقد تحدثنا عن هذا الأمر حين مررنا على سياسات عمر في العطاء وفي غيره، مما كانوا يميزون بين الناس فيه، وموقف أمير المؤمنين «عليه السلام» منها..

حق الراعي على رعيته:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد ذكر: أن ما يجب على الرعية أمران فقط، وهما:

1 ـ الطاعة.

2 ـ النصيحة.

وقلنا: إنه قد شرطهما بتقدم وفاء الحاكم والراعي لرعيته بالحقوق الخمس التي لها عليه. غير أن بعض نصوص هذا الكتاب عبر عن الطاعة هنا بعبارة ذات مغزى عميق ودقيق، حيث ذكر «عليه السلام»: أن الوالي إذا وفى للرعية بما عليه «وجبت لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة».

فإن هذه الكلمة «وجبت لله عليكم النعمة» تشير إلى قوله تعالى: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**(1). وذلك حين أخذ «صلى الله عليه وآله» البيعة لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير.

وقوله: «ولي عليكم الطاعة» يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن هذه الطاعة المطلقة خاصة به «عليه السلام» ولا تشمل غيره.

الثاني: أنه يشير إلى قول رسول «صلى الله عليه وآله» للناس يوم الغدير: «ألست أولى بكم من أنفسكم»؟!

قالوا: بلى.

---

(1) الآية 3 من سورة المائدة.

قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار».

فأوجب على الناس طاعته «عليه السلام» بهذا التقرير النبوي الشريف.. وها هو علي «عليه السلام» يبيِّن هنا: أن هذه الطاعة مشروطة بقيامه هو «عليه السلام» بما يجب عليه تجاههم حسبما بيناه..

تهديد علي × للناس:

وأما قوله «عليه السلام»: «فلا تنكصوا عن دعوتي، ولا تفرطوا في صلاح دينكم من دنياكم، وأن تنفذوا لما هو لله طاعة ولمعيشتكم صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق» ثم عقب ذلك بتهديدهم بالعقوبة الصارمة ـ أما هذا ـ فيستفاد منه أمور:

الأول: إن مطالباته «عليه السلام» بالقيام بواجباتهم هذه بهذه الحدة والشدة والإستقصاء، ثم توعده لهم على التقصير والمخالفة بعقوبات لا هوادة فيها يدل: على أنه «عليه السلام» قد أدى ما عليه تجاههم على أكمل وجه وأتمه.

ويدل على ذلك أيضاً: قوله أخيراً: فخذوا هذا من أمرائكم، واعطوهم من أنفسكم يصلح الله شأنكم.

فلو لم يكن «عليه السلام» قد أعطاهم ذلك لما صحت منه هذه

المطالبة، ولا التهديد بالعقوبة، ولا هذا التوجيه منه «عليه السلام» لهم.

الثاني: إن ما يطلبه منهم من النفْرِ إلى جهاد عدوهم ليس فقط يفيدهم في آخرتهم، وإنما هو أيضاً فيه لمعيشتهم صلاح.

الفصل الثامن:

بنو تميم عند علي ×

ابن عباس يسيء معاملة بني تميم:

قال ابن ميثم:

روي: أن ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين وُلِّيَ البصرة من قبل علي «عليه السلام»، للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل، لأنهم كانوا من شيعة طلحة والزبير، وعائشة، فحمل عليهم ابن عباس، وأقصاهم، وتنكر لهم، وعيّرهم بالجمل، حتى كان يسميهم شيعة الجمل، وأنصار عسكر (وهو اسم جمل عائشة)، وحزب الشيطان.

فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي «عليه السلام»، من بني تميم، منهم حارثة بن قدامة، وغيره، فكتب بذلك حارثة إلى علي «عليه السلام»، يشكو إليه ابن عباس.

فكتب «عليه السلام» إلى ابن عباس[1] الكتاب التالي:

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج4 ص395 وبحار الأنوار ج33 ص493.

أما بعد.. فإن خير الناس عند الله غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله، وأقواهم بالحق وإن كان مراً، ألا وإنه بالحق قامت السماوات والأرض فيما بين العباد، فلتكن سريرتك فعلاً، وليكن حكمك واحداً، وطريقتك مستقيمة.

واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم.

وقد بلغني تنمرك لبني تميم، وغلظتك عليهم، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام. وإن لهم بنا رحماً ماسة، وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها.

فأربِعْ ـ أبا العباس ـ رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر، فإنَّا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك. والسلام(1).

ونقل نصر بن مزاحم ما يشبه الشطر الأول من هذا الكتاب، وقال: إنه «عليه السلام» أرسله إلى عبد الله بن عامر(2). غير الذي

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج4 ص395 وبحار الأنوار ج33 ص492 و 493 ونهج السعادة ج5 ص171 و 172 وشطر من الكتاب في نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص18 الكتاب رقم18.

(2) صفين للمنقري ص106.

نكث مع أصحاب الجمل.

ولكن قول ابن مزاحم غير دقيق، فإن عبد الله بن عامر بن كريز، قد التحق بالناكثين، وسار معهم إلى البصرة. وكان معهم في حرب الجمل. فإن كان هذا الكتاب قد كتب «عليه السلام» بعد حرب الجمل، حين كتب «عليه السلام» إلى عماله، فمن الواضح أنه ليس لابن عامر هذا، بل لابد أن يكون لابن عباس كما قاله ابن ميثم وغيره.. إلا أن يُدَّعى وجود شخص آخر اسمه عبد الله بن عامر.

ونقول:

توضيحات:

1 - قول ابن ميثم: إن حارثة بن قدامة كتب إلى علي «عليه السلام». لعل الصواب: جارية بن قدامة.. وقد صحفها النساخ بسبب تشابه رسم الخط.

2 - حادث أهلها: قال المعتزلي: «أي تعهدهم بالإحسان، من قولك: «حادثت السيف بالصقال»[(1)]. ومنه الحديث المروي: «حادثوا هذه القلوب بذكر الله». أي اجلوها واغسلوا الدرن عنها[(2)].

ويمكن أن يراد بالمحادثة: الحديث بتقديم الوعد لهم بالإحسان

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص125.

(2) بحار الأنوار ج33 ص494 والنهاية في اللغة ج1 ص351 ولسان العرب ج4 ص276.

إليهم، لكي يحل عقدة الخوف من نفوسهم.

3 ـ الوغم: الترّة والحقد. والأوغام: التِّرات والأحقاد في قوله «عليه السلام»: «وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام». أي لم يهدر لهم دم لحميَّتِهم وشجاعتهم.

4 ـ أربِعْ: أي قف.

5 ـ المقصود بالشر الذي يشارك فيه «عليه السلام»، ابن عباس: هو الضرر فقط، لا الأمر القبيح. وإنما صار «عليه السلام» شريكاً لابن عباس في الخير والشر، لأنه السبب البعيد، لأن ابن عباس منصوب من قبله.

6 ـ فال الرأي: ضعف وخطأ.

7 ـ التنمر: تنكر الأخلاق، وتغيرها.

8 ـ فيما بين العباد: حال من الحق، أو ظرف للقيام.

9 ـ لم يغب لهم نجم: أي لم يمت لهم سيد وشريف إلا قام آخر.

البصرة مهبط إبليس:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن البصرة مهبط إبليس.

ونقول:

يمكن أن يكون إبليس قد نزل في البصرة حين طرد من رحمة الله تعالى.

ويمكن أن يكون المراد: أن أهلها، لم يستضيئوا بنور العلم،

وانقادوا إلى أهوائهم، فحل فيهم إبليس وجنوده، وزين لهم الانحرافات، وارتكاب العظائم والمآثم.

لماذا يجب حفظ قلوب بني تميم؟!:

ثم إنه «عليه السلام» لم يصدر لابن عباس أوامر بصورة مبهمة تكون قوتها وفاعليتها بنفس كونها من جهة سلطوية، وصادرة من موقع الحاكمية، ومن صاحب شأن في الأمر والنهي، بل هو قد عللها له، وأوضح له حيثياتها.. وأسبابها، وهي:

أولاً: إن بني تميم ليسوا مجرد أرقام هامشية، بل فيهم قادة ومرجعيات، وسادات وأشراف، هي مصدر إلهام لهم، وتوجيه.

ثانياً: إنهم ذوو حمية، ولهم نفوس أبية، لا تحمل الأحقاد والأضغان والترات، بل هي بسبب قدرتها، وأنفتها وحميتها تبادر إلى التنفيس عن غضبها بأخذ حقها.. فتزول موجبات الغضب..

كما أن أحداً من أعدائهم لم يستطع أن يشفي غيظه منهم، لا في جاهلية ولا في إسلام، لمنَعَتِهم وعزتهم، وشدة شكيمتهم، ونجدتهم.

ثالثاً: إن لهم ببني هاشم قرابة قريبة، ورحم ماسة، فلا يجوز قطعها، لأنهم يجتمعون في إلياس بن مضر..

رابعاً: إن الشدة على بني تميم سوف تنتج أضراراً لا تختص بابن عباس، بل هي تلحق أيضاً بشريكه علي «عليه السلام»، فابن عباس يرتكب جريمة مزدوجة.. فإن كان يريد الإضرار بنفسه، فلا

مبرر له للإضرار بغيره. لا سيما وأن الإضرار بغيره سيكون إضراراً بالإمامة ومعناها، وبالإمام، ويلحق الشبهة بمعنى العصمة منه.. وهذا ضرر إعتقادي، بالدرجة الأولى، وليس ضرراً لشخص علي «عليه السلام».

ثم ألزمه «عليه السلام» بالتريث، وتفحص الأمور، والتدقيق فيها لتمييز الصالح من غيره، ليكون جديراً بالثقة التي أولاه إياها، حيث إنه «عليه السلام» رآه أهلاً لتولي شؤون البصرة، فيفترض فيه أن يحفظ هذا الظن الصالح فيه، ولا يكشف بسوء صنيعه عن ضعفه وخطأه..

الرحم بين بني تميم، وبني هاشم:

لقد أعلن أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن لبني تميم رحماً ماسة ببني هاشم، فيجب على ابن عباس رعايتها مع أن بين علي «عليه السلام»، وبين إلياس بن مضر حوالي ستة عشر أباً..

والسؤال هو: ما هذه الرحم؟! وكيف صارت ماسة مع هذا البعد في مورد تلاقي هاتين القبيلتين؟!

ونجيب ضمن النقاط التالية:

1 ـ إن هاشم هو ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن خزيمة، بن مدركة، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر.

وقد أسقط بعضهم بعض هذه الأسماء سهواً[1].

أما تميم، فهو ابن مرة، بن أدّ، بن طابخة، بن إلياس بن مضر[2].

2 ـ هناك أحاديث دلت على أن الرحم التي ورد الحث على صلتها تطلق على من قلت الوسائط بينهم وعلى من كثرت الوسائط وتعددت الآباء قبل الوصول إلى مورد التلاقي والإجتماع..

فعن الإمام الرضا، عن آبائه «عليهم السلام» قال: رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما أسري بي إلى السماء، رأيت رحماً متعلقة بالعرش، تشكو رحماً إلى ربها.

فقلت لها: كم بينك وبينها من أب؟!

فقال: نلتقي في أربعين أباً[3].

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام ج1 ص1 و 2 ومروج الذهب ج2 ص272 والبداية والنهاية ج2 ص255 والكامل في التاريخ ج1 ص456 و 457 وبحار الأنوار ج15 ص105 والسيرة الحلبية ج1 ص1 و 4 و 12 و 18 ـ 20 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص154 و 155 ومعجم قبائل العرب ج3 ص127.

(2) نهاية الإرب ج ص177 ـ 297 ومعجم قبائل العرب ج3 ص125 و 126 وراجع: تاريخ بغداد ج10 ص466.

(3) الخصال ج2 ص540 وعيون أخبار الرضا ص255 وبحار الأنوار ج74 ص91 وراجع: أسد الغابة ج1 ص677 و 1055 والإصابة ج2 ص18

وفي رواية: سبعة آباء[1].

ولعله «صلى الله عليه وآله» قد لقي في المرة الثانية رحماً غير الرحم التي لقيها في المرة الأولى.

وروى القمي: أن قوله تعالى: **(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)**[2] قد نزل في بني أمية وما صدر عنهم بالنسبة لأئمة أهل البيت «عليه السلام»[3].

وروي: أن الإمام الصادق «عليه السلام» قال للمنصور: «أنت ابن عمي، وأمس الخلق بي رحماً»[4].

مع أنه إنما يجتمع معه في عبد المطلب.

وليس للشارع اصطلاح خاص في الرحم، بل هو يستعملها بمعناها اللغوي، وهي نسبة بين اثنين تجمعهما رحم واحدة قربت أو بعدت..

رقم 1592.

(1) راجع: مهج الدعوات ص237 و 241 وبحار الأنوار ج47 و 194 و196.

(2) الآية 22 من سورة محمد.

(3) راجع: تفسير القمي ج2 ص308 ورياض السالكين ص199 والقواعد والفوائد ج2 ص51 وبحار الأنوار ج4 ص110.

(4) مهج الدعوات ص237 و 241 وبحار الأنوار ج47 ص194 و 196.

فإنّا شريكان في ذلك:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن علياً «عليه السلام» شريك فيما جرى على لسان ابن عباس، وما فعلته يده.

مما يعني: أنه يصح نسبة فعل المأمور إلى الآمر، وإن كان الآمر سبباً بعيداً، والمأمور هو السبب القريب..

فهل يصح أن يقال: إن علياً «عليه السلام» يشارك عماله في كل ما صنعوه بالرعية؟! وهل يصح إسناد أفعال عماله إليه، لأنه هو الذي مكنهم وأقدرهم؟!

ولكن قد يقال:

إن الآمر إن كان قد أمر وأراد، وقصد صدور نفس الفعل المعين من المأمور به، وكان أمره مؤثراً في تحريك المأمور وبعثه نحو الفعل، بحيث نبعت إرادته من إرادة آمره.. فإن هذا التسبيب فيه مشاركة حقيقية بنظر العقلاء، وفي واقع الأمر، يكون كل من الآمر والمأمور شريكان في الفعل..

ولكن إذا كان الحاكم قد نصب شخصاً ليقيم العدل في بلد، ويجري أحكام الإسلام على أهله. وصار ذلك العامل يتصرف كيفما شاء من دون مراجعة من نصَّبه، وربما يفعل بعض ما لا يرضاه، فإن فعل ذلك العامل لا يعد عرفاً فعلاً لمن نصَّبه، ولا يكون من نصبه شريكاً له، إلا إذا ظهر لهم أنه راض بفعله، فيكون شريكاً له بالرضا، لا من حيث التسبيب.

إلا أن يقال:

أولاً: إنَّ نَصْبَ العامل وعَزْلِه يكون بيد الحاكم، وبما أن حفظ دماء وأعراض وأموال الناس، وسلامة دينهم، وغير ذلك هو من مسؤولية الحاكم فليس له أن يفرط فيها، فلا بد من الدقة في اختيار العمال، كما لا بد من مراقبة أعمالهم.

فإذا حصل أي حيف منهم، فإنه يكون عند الله شريكاً فيه مع التفريط، أما بنظر الناس فهو (شريك فيه مع التفريط، وبدونه).

فلعله «عليه السلام» أجرى كلامه وفق هذا المعنى العرفي.

ثانياً: قلنا فيما سبق: إنه «عليه السلام» يريد تقرير الشراكة بينه وبين ابن عباس من حيث لحوق الضرر والنفع به «عليه السلام» وبابن عباس على حد سواء، وليس المراد الشراكة في انتساب الفعل إليه، لكي يلحقه قبحه وحسنه ليقال: إن العامل إذا سرق مال الله أو ظلم، فإن من نصبه يكون سارقاً أيضاً، أو ظالماً.

والحاصل: أن العقوبة والمثوبة لمن ينصب العامل مشروطة بالرضا وعدمه، فلا تنال علياً «عليه السلام» إلا إذا تحقق شرطها..

وأما الآثار الوضعية كالضرر والنفع فإن لحوقها بعلي «عليه السلام» غير مشروط برضاه وعدمه..

فتنمر ابن عباس لبني تميم يوجب حقدهم على حكومة علي كلها.. وهذا ضرر كبير يلحق بابن عباس وبعلي «عليه السلام» أيضاً، سواء، علم علي «عليه السلام» به أم لم يعلم..

ضابطة لمعرفة الأخيار:

1 - إن أول ما يطالعنا في كتاب علي «عليه السلام» لابن عباس هو الضابطة التي أعطاها لمعرفة خير الناس، وتمييزهم عن غيرهم.. وهي ضابطة عملية يمكن لأكثر أو لكل الناس أن يستفيدوا منها. بمعنى أن بإمكانهم ضبط أعمالهم بها في مجال اختيار الصداقات، وتحديد من يريدون التعامل معهم مالياً، أو اجتماعياً، أو في أي مجال كان.

2 - إن هذا يجعل الحياة أكثر سلامة، وهناء وصفاء وسهولة.. ويحد كثيراً من ظهور المشكلات، ويؤكد شيوع الثقة والسكينة بين الناس.

3 - إن هذه الضابطة لا تحتاج إلى أكثر من مباشرة التجربة مع الأشخاص، أو الإستفادة من تجارب الآخرين معهم.

وهي تتلخص في تحديد خير الناس عند الله، بأنه: أعملهم بطاعته، وأقواهم بالحق وإن كان مراً..

فخير الناس لا يستقوي على غيره بالباطل، بل تكون قوته بالحق نفسه وإن كان تجرعه صعباً عليه، بسبب مرارته.. لأن مرارة الحق ليست من ذاتيات وجوده، وإنما بسبب تعديات الناس عليه، ومحاولتهم الهرب منه، وخلطه بشيء من باطلهم، الذي هو نتيجة عصبياتهم غير المشروعة، أو هو رشحة من أنانياتهم، وأهوائهم، ومفاهيمهم الخاطئة التي يريدون أن يفرضوها على

الناس، مع أنها لا تتلاءم مع السنن التي أودعها الله في مخلوقاته، لتكون هي حدود السلوك في كل خفض ودعة، وضيق وسعة..

أصالة الحق في عمق التكوين:

وقد بيَّن «عليه السلام»: أن التخلي عن هذا الحق المر، أو الزيغ عنه، أو محاولة خلطه بنتاج الأهواء، والعصبيات، والأنانيات وغيرها، إخلال بمسيرة الحياة، وعبث بمكوناتها، بل هو مخاطرة بالحياة كلها.. لأن الحق هو وضع الأمور في موضعها الطبيعي.. وما عدا ذلك، فهو الباطل.

وهذا يبدأ من عملية خلق السماوات والأرض، ثم يتدرج ذلك في جميع المراتب اللاحقة، التي لا بد أن تأتي متوافقة مع الحقائق الراهنة للخلق والتكوين. إذ بدون هذا التوافق لا يتحقق الغرض المتوخى منها، لأن عدم التوافق يستدرج أموراً أخرى مكانها، وستكون متنافرة مع سائر العناصر التي يفترض أن تأخذ موقعها الطبيعي في السياق العام.

وقد لا يقتصر الأمر على تضييع الأهداف المتوخاة، بل يصل هذا التنافر إلى حد التصادم المدمر والقاتل..

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «ألا وإنه بالحق قامت السماوات والأرض فيما بين العباد..».

فلاحظ بدقة متناهية هذا الربط بين قيام السماوات والأرض

بالحق، وبين كون هذا القيام بالحق هو الذي يفترض أن يكون الحاكم على مسيرة الحياة بين العباد..

فلتكن سريرتك فعلاً!!:

ثم إنه «عليه السلام» فرَّع على ذلك الأساس الذي أرساه ثلاثة أمور:

أولها: أن تكون سريرة ابن عباس فعلاً..

وقد يقال: إن هذا الكلام غير مفهوم، بل لا يستقيم.. إذ لا معنى لأن تكون السريرة فعلاً..

ونجيب بما يلي:

1 ـ يحتمل أن يكون هناك اختلال من قبل النساخ، وأن الصحيح هو: أن كلمة «فعلاً» محرفة عن كلمة «كعلانيتك»..

ويحتمل أن تكون العبارة هكذا: فلتكن سيرتك فعلاً، لا مجرد أقوال..

2 ـ إن كلمة «فعلاً» قد ذكرها ابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة، ونقلها عنه المجلسي «رحمه الله» في بحار الأنوار بنفس هذا اللفظ، فإن كان هناك خطأ من النساخ، فإنما حصل قبل عصر المجلسي. ثم نقلها المجلسي «رحمه الله» كما وجدها..

3 ـ فسَّر المجلسي «رحمه الله» هذه الكلمة بالذات، فقال: قوله «عليه السلام»: «فلتكن سريرتك فعلاً» أي لا تضمر خلاف ما تفعل،

ولا تخدع الناس(1).

وهذا المعنى، لا يبتعد عن معنى كلمة «كعلانيتك» كما هو ظاهر.

الثاني: أن يكون حكم ابن عباس واحداً في جميع الحالات المتفقة، فلا يختلف حكمه لزيد عن حكمه لعمرو.

الثالث: أن تكون طريقته مستقيمة.

ولسنا بحاجة إلى الكثير من الجهد لندرك مدى ارتباط هذه الأمور الثلاثة بالأساس الذي أرساه فيما يرتبط بمرتكز التعامل بين العباد؛ فإن قيام السماوات والأرض إذا كان بالحق. وكان الإخلال بالحق من موجبات اختلال هذا القيام، لأن ضرورة التكوين والخلق تفرض مراعاة هذا الحق في جميع الأحوال، فلا يبقى مبرر لتخالف النوايا مع الأفعال..

كما أنه إذا كان الأمر مرتبطاً بحقائق التكوين، فلا يمكن أن يسمح باختلاف الأحكام، مع وحدة موضوعاتها، وتوافق حالاتها وشرائطها..

وهو يفرض أيضاً: أن تكون طريقة التعامل مع الأمور في خط الإستقامة، لأن أي اضطراب في المسار سيؤدي إلى اضطراب في الوضع العام، وعدم الوصول إلى النتائج المرجوة..

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص494.

قدوم تميم إلى الكوفة:

وقالوا: قدم على علي بن أبي طالب «عليه السلام» بعد قدومه الكوفة: الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، وزيد بن جبلة، وأعين بن ضبيعة، وعظيم الناس بنو تميم، وكان فيهم أشراف، ولم يقدم هؤلاء على عشيرة من أهل الكوفة.

فقام الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة، وحارثة بن بدر، فتكلم الأحنف، فقال:

«يا أمير المؤمنين، إنه إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنها لم تنصر عليك. وقد عجبوا أمس ممن نصرك، وعجبوا اليوم ممن خذلك، لأنهم شكوا في طلحة والزبير، ولم يشكوا في معاوية. وعشيرتنا بالبصرة، فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا، فقاتلنا بهم العدو، وانتصفنا بهم، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس»!

قال علي لجارية بن قدامة ـ وكان رجل تميم بعد الأحنف ـ: ما تقول يا جارية؟!

قال: «أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى، ولم تستكره فيه شاخصاً، ولم تشخص فيه مقيماً. والله لولا ما حضرك فيه من الله لغمك سياسته، وليس كل من كان معك نافعك، ورب مقيم خير من شاخص، ومصراك خير لك، وأنت أعلم».

فكأنه [بقوله]: «كان معك» ربما كره إشخاص قومه عن

البصرة.

وكان حارثة بن بدر أسد الناس رأيا عند الأحنف، وكان شاعر بني تميم وفارسهم، فقال علي: ما تقول يا حارثة؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا نشوب الرجاء بالمخافة. والله لوددت أن أمواتنا رجعوا إلينا فاستعنا بهم على عدونا. ولسنا نلقى القوم بأكثر من عددهم، وليس لك إلا من كان معك، وإن لنا في قومنا عدداً لا نلقى بهم عدوا أعدى من معاوية، ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام، وليس بالبصرة بطانة نرصدهم لها، ولا عدو نعدُّهم له.

ووافق الأحنف في رأيه، فقال علي للأحنف: اكتب إلى قومك.

فكتب الأحنف إلى بني سعد:

«أما بعد.. فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم:

شقيت سعد بن خرشة برأي ابن يثربي، وشقيت حنظلة برأي لحيان، وشقيت عدي برأي زفر ومطر، وشقيت بنو عمرو بن تميم برأي عاصم بن الدلف، وعصمكم الله برأيي لكم حتى نلتم ما رجوتم، وأمنتم ما خفتم، وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء، لاحقين بأهل العافية. وإني أخبركم أنا قدمنا على تميم الكوفة، فأخذوا علينا بفضلهم مرتين:

بمسيرهم إلينا مع علي، وميلهم إلى المسير إلى الشام. ثم أخمروا(1) حتى صرنا كأنا لا نعرف إلا بهم، فأقبلوا إلينا، ولا تتكلوا عليهم، فإن لهم أعدادنا من رؤسائهم، وحناناً أن تلحق فلا تبطئوا، فإن من العطاء حرماناً، ومن النصر خذلاناً. فحرمان العطاء القلة، وخذلان النصر الإبطاء، ولا تقضى الحقوق إلا بالرضا، وقد يرضى المضطر بدون الأمل».

وكتب معاوية بن صعصعة، وهو ابن أخي الأحنف:

تميم بن مر إن أحنف نعمة من الله لم يخصص بها دونكم سعدا
وعم بها من بعدكم أهل مصركم ليالي ذم الناس كلهم الوفدا
سواه لقطع الحبل عن أهل مصره فأمسوا جميعاً آكلين بن رغدا
وإعظامه الصاع الصغير وحذفه من الدرهم الوافي يجوز له النقدا
وكان لسعد رأيه أمس عصمة فلم يخط لا الإصدار فيهم ولا الوردا
وفي هذه الأخرى له مخض زبدة سيخرجها عفواً فلا تعجلوا الزبدا
ولا تبطئوا عنه وعيشوا برأيه ولا تجعلوا مما يقول لكم بدا
أليس خطيب القوم في كل وفدة وأقربهم قرباً وأبعدهم بعدا

---

(1) الإخمار: هو الستر. أي غلبوا عليهم.

وإن علياً خير حاف وناعل فلا تمنعوه اليوم جهداً ولا جدا
يحارب من لا يحرجون بحربه ومن لا يساوى دينه كله ردا[1]
ومن نزلت فيه ثلاثون آية تسميه فيها مؤمناً مخلصاً فردا
سوى موجبات جئن فيه وغيرها بها أوجب الله الولاية والودا

فلما انتهى كتاب الأحنف وشِعر معاوية بن صعصعة إلى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة.

فعزت بالكوفة وكثرت.

ثم قدمت عليهم ربيعة ـ ولهم حديث ـ وابتدأ خروج جرير إلى معاوية[2].

ونقول:

إننا نلاحظ ما يلي:

ما تقول يا جارية؟!:

1 ـ إن ابن قتيبة نسب شطراً مما قاله جارية بن قدامة إلى الأحنف،

---

(1) الرد: الزائف من الدراهم.

(2) صفين للمنقري ص24 ـ 27 وبحار الأنوار ج32 ص361 وراجع: الإمامة والسياسة ج1 ص86 و 87 و (تحقيق الزيني) ج1 ص79 و (تحقيق الشيري) ج1 ص106.

فراجع(1).

2 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يريد أن يفعل أي شيء يؤثر على مكانة جارية بن قدامة في قومه، وإنما يريد له أن يزداد احتراماً ونفوذاً وقوة وعزاً فيهم. لا سيما وأنه رجل مأمون، ومستقيم على جادة الحق، وهو من خيرة أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»..

ولم يكن الأحنف بالذي يستحق أن يضحى بمثل جارية بن قدامة في سبيله، ولا سيما في مورد لا يحتاج إلى مثل هذه التضحية، بل يمكن أن يعطى لكل منهما دوره، وأن يوفى إليه حقه، من دون أن يؤثر على الآخر شيئاً..

3 - إن ما قاله جارية «رحمه الله» جدير بأن يقال، بخلاف كلام الأحنف، فإنه لم يتجاوز به المنطق العادي، الذي يتوقع من أي زعيم قبيلة وصاحب نفوذ في عشيرته.

أما كلام جارية، فهو زاخر بالنفحات الإيمانية، مفعم بالواقعية الهادية التي تفتح القلب والعقل على الحق وأهله، فلاحظ مثلاً:

ألف: قوله: إنه قد كان لتقوى أمير المؤمنين «عليه السلام» الأثر الكبير في جمع الناس له، ليحارب بهم معاوية وغيره، فقد لمسوا أنه

---

(1) راجع: الإمامة والسياسة ج1 ص86 و (تحقيق الزيني) ج1 ص79 و (تحقيق الشيري) ج1 ص106.

«عليه السلام» لم يستكره شاخصاً عنه، بحيث يرده عن سفره، ليبقى إلى جانبه، كما أنه «عليه السلام» لم يزعج المقيم، ليخرجه معه إلى الحرب..

أي أن الناس قد لمسوا: أنه «عليه السلام» كان يتحرج من إكراه الناس، لأنه يرى أن ذلك غير مستساغ..

وهذه سياسة لم يعهدوها فيمن سبقه، بل كانوا يجبرون الناس على ما يريدون، ولا يرضون منهم بغير الطاعة المطلقة والعمياء..

ب: إنه «رحمه الله» قد بيَّن: أن هذه السياسة هي الموافقة للحكمة، والمنسجمة مع الواقع، فإن من ينفر معه قد لا ينفعه كثير منهم، كما أن من يقعد عنه قد يكون خيراً له ممن ينفر معه إذا كان النافرون معه سوف ينهزمون، ويوجبون كسر هيبته، وحلول الكارثة به وبالمسلمين.

ما تقول يا حارثة؟!:

إن علياً «عليه السلام» طلب من حارثة بن بدر أن يقول رأيه، فكان رأياً حصفياً(1) وسديداً.

ويبدو لنا: أنه «عليه السلام» كان يريد أن يسمع الناس رأي

---

(1) الحصيف: المحكم العقل. وقد حصف بالضم حصافة. راجع: الصحاح للجوهري ج4 ص1344 ولسان العرب ج9 ص48.

هؤلاء الحكماء العقلاء، ليتعقلوها، ويفكروا فيها، بعيداً عن الظنون والأوهام التي قد تراود أذهان بعض الناس، لو أنه كان هو الذي يقول ذلك لهم..

إن علياً «عليه السلام» كان ولا شك في غنىً عن آراء الناس، لأنه إمام معصوم، ومسدد بالمعارف القرآنية، وبما حباه الله ورسوله به من أسرار، وأخبار، وحقائق ودقائق، فإنه مرعي بألطاف الله، وهو باب مدينة العلم، وهو مع القرآن، ومع الحق.. والقرآن، والحق معه..

ولكن قد يشيع بعض مرضى القلب، أو يتوهم بعض ضعفاء البصيرة: أنه يجر النار إلى قرصه، ويسوق الأمور إلى ما يتوافق مع مصالحه، ومع هوى نفسه.. فإذا سمعوا الرأي نفسه من غيره كان ذلك أبعد عن التهمة، وأقرب إلى القبول..

وهو بهذا الأسلوب يعلِّم الناس: أن لا يتكلوا على آرائهم، وأن يستعينوا بذوي الرأي فيهم.. وأن يستفيدوا من أنجع الأساليب لتوعية الناس، وتعريفهم بالحقائق التي ينبغي لهم أن يعرفوها.. مهما كانت الأمور عندهم واضحة، وأعلامها فيها لائحة..

يضاف إلى ذلك: أن هذا يؤكد قيمة الحكمة، وأهلها والعقل ودوره، وقيمة واحترام أهل الرأي والعقل في الناس..

شعر معاوية بن صعصعة:

وعلينا أخيراً: أن لا ننسى الإشارة إلى ما ضمنه شعر معاوية بن

صعصعة، من أن علياً «عليه السلام» خير حاف وناعل، وأن ثلاثين آية قد نزلت فيه تسميه مؤمناً، بالإضافة إلى ما أوجبه الله تعالى له من المودة والولاية..

فإن هذه المصطلحات لم تكن متداولة لدى العراقيين، وقد بدأت تدخل إلى العراق، وتتغلغل فيه، ووصلت حتى إلى قبائل تميم على لسان شعرائهم..

مع أن العراق إلى الأمس القريب لم يكن يعرف الشيء الكثير

الفصل التاسع:

كتاب علي × إلى جرير البجلي:

قال نصر بن مزاحم: ثم إن علياً «عليه السلام» بعث إلى العمال في الآفاق، وكان أهم الوجوه إليه الشام.

روى نصر، عن محمد بن عبيد الله القرشي، عن الجرجاني قال: لما بويع علي وكتب إلى العمال في الآفاق، كتب إلى جرير بن عبد الله البجلي، وكان جرير عاملا لعثمان على ثغر همدان، فكتب إليه مع زحر بن قيس الجعفي:

«أما بعد.. فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً، فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال [وقد علمت ما كان من أمر عثمان ابن عفان، وبيعة المهاجرين والأنصار إياي، ومسيري إلى البصرة، وما كان من محاربتهم إياي، حتى أعطاني الله عليهم الظفر].

وإني أخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير، عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف.

إني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار، حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، فاستنفروهم، فأجابوا.

فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فأعذرت في الدعاء، وأقلت العثرة، وناشدتهم عقد بيعتهم. فأبوا إلا قتالي، فاستعنت بالله عليهم، فقتل من قتل، وولوا مدبرين إلى مصرهم.

فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللقاء، فقبلت العافية، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبد الله بن عباس، وسرت إلى الكوفة.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس، فاسأل عما بدا لك».

زاد ابن أعثم:

[واقرأ كتابي هذا على المسلمين، وأقبل إلي بخيلك ورجلك، فإني عازم على المسير إلى الشام إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله].

قال: فلما قرأ جرير الكتاب قام فقال:

أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه.

وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان.

ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها،

[لمصاهرته، وقرابته، وخدمته، وشجاعته، وهجرته].

ألا وإن البقاء في الجماعة، والفناء في الفرقة. وعلي حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم، [فاتوا ما عندكم من الرأي!].

فقال الناس: سمعاً وطاعة، رضينا رضينا.

فأجاب جرير، وكتب جواب كتابه بالطاعة.

وكان مع علي رجل من طيئ، ابن أخت لجرير، فحمل زحر بن قيس شعراً له إلى خاله جرير، وهو:

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى وبايع علياً إنني لك ناصح
فإن علياً خير من وطئ الحصى سوى أحمد والموت غاد ورائح
ودع عنك قول الناكثين فإنما أولاك، أبا عمرو، كلاب نوابح
و بايعه إن بايعته بتنصيحة ولا يك معها في ضميرك قادح(1)
فإنك إن تطلب به الدين تعطه وإن تطلب الدنيا فبيعك رابح
و إن قلت عثمان بن عفان حقه علي عظيم والشكور مناصح
فحق علي إذ وليك(2) كحقه وشكرك ما أوليت في الناس صالح

---

(1) القادح، بالقاف: أصله الأكل يقع في الشجر والأسنان، والمراد به: الغش والدخل. وفي اللسان: «قدح في ساق أخيه: غشه وعمل في شيء يكرهه». وفي الأصل: «فادح» بالفاء، وهو الحمل الثقيل والنازلة تنزل بالمرء. والوجه ما أثبت من ح.

(2) وليه، كرضيه: صار ولياً له. وسكن الياء للشعر.

وإن قلت لا نرضى علياً إمامنا فدع عنك بحراً ضل فيه السوابح

أبى الله إلا أنه خير دهره وأفضل من ضمت عليه الأباطح

ثم قام زحر بن قيس خطيباً(1)، فكان مما حفظ من كلامه أن قال:

«الحمد لله الذي اختار الحمد لنفسه، وتولاه دون خلقه، لا شريك له في الحمد، ولا نظير له في المجد، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائم الدائم، إله السماء والأرض، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالنور الواضح(2)، والحق الناطق، داعياً إلى الخير، وقائداً إلى الهدى».

ثم قال: «أيها الناس، إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلا رجيع من القول، ولكن لا بد من رد الكلام. إن الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير محاباة له ببيعتهم، لعلمه بكتاب الله، وسنن الحق.

وإن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث، وألَّبا عليه

---

(1) كذا في الأصل. وفي ح: «قال نصر: ثم إن جرير قام في أهل همدان خطيباً». وعقب ابن أبي الحديد على هذه الخطبة والشعر الذي بعدها بقوله: «قال نصر: فسر الناس بخطبة جرير وشعره». انظر ح (1: 247). وقد مضت خطبة لجرير في الصفحة السابقة، فيصح ما هنا إن كان قد أشار إلى تلك الخطبة.

(2) في الأصل: «بالحق الواضح» وأثبت ما في ح.

الناس، ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب، وأخرجا أم المؤمنين، فلقيهما فأعذر في الدعاء، وأحسن في البقية، وحمل الناس على ما يعرفون [وعند ابن أعثم: فأظهره الله عز وجل على من خالفه، ونكث بيعته، والكلام كثير].

هذا عيان ما غاب عنكم. ولئن سألتم الزيادة زدناكم، ولا قوة إلا بالله».

وقال جرير في ذلك:

أتانا كتاب علي فلم نرد الكتاب، بأرض العجم
ولم نعص ما فيه لما أتى ولما نذم[1] ولما نلم
ونحن ولاة على ثغرها نضيم العزيز ونحمي الذمم
نساقيهم الموت عند اللقاء بكأس المنايا ونشفي القرم
طحناهم طحنة بالقنا وضرب سيوف تطير اللمم
ضربنا الأعاصم فيما مضى وارض يطير منها السقم
مضينا يقيناً على ديننا ودين النبي مجلي الظلم
أمين الإله وبرهانه وعدل البرية والمعتصم
رسول المليك، ومن بعده خليفتنا القائم المدَّعم
علياً عنيت وصي النبي نجالد عنه غواة الأمم
له الفضل والسبق والمتكرمات وبيت النبوة لا يهتضم[2]

---

(1) في الأصل: «ولما نضام»، صوابه من ح.

(2) بعد هذا في ح، كما سبق: «قال نصر: فسر الناس بخطبة جرير وشعره».

وقال رجل(1):

لعمر أبيك والأنباء تنمى لقد جلى بخطبته جرير
و قال مقالة جدعت رجالاً من الحيين خطبهم كبير
بدا بك قتل أمته [شيعة] علي ومخك إن رددت الحق رير(2)
أتاك بأمره زحر بن قيس وزحر بالتي حدثت خبير
فكنت بما أتاك به سميعا وكدت إليه من فرح تطير
فأنت بما سعدت به ولي وأنت لما تعد له نصير(3)
ونعم المرء أنت له وزير ونعم المرء أنت له أمير
فأحرزت الثواب، ورب حاد حدا بالركب ليس له بعير
ليهنك ما سبقت به رجالاً من العلياء والفضل الكبير(4)

وقال النهدي في ذلك:

أتانا بالنبا زحر بن قيس عظيم الخطب من جعف بن

---

(1) في نسخة أخرى: وقال ابن الأزور القسري في جرير يمدحه بذلك.

(2) مخ رير: ذائب فاسد من الهزال. يقال مخ رار، ورير بالكسر، ورير بالفتح. وفي الأصل: «يزير» وفي ح: «وتفخر إن رددت الحق زير» كلاهما محرف، والصواب ما أثبت.

(3) في الأصل: «بصير» بالباء، صوابه من ح.

(4) تقرأ بالرفع عطفاً على: «ما سبقت»، وبالجر عطفاً على «العلياء»، وفي القراءة الأخيرة إقواء.

سـعد(1)

تـخـيره أبــو حســن علـي ولــم يــك زنــده فيهــا بصــلد
رمـى أعراض حـاجتـه بـقـول أخـــوذ للقلـــوب بـــلا تعـــد
فـسـر الـحـي مـن يمـن وأرضـى ذوي العليـاء مـن سلفي معد(2)
ولـم يـك قـبلـه فيـنـا خـطيب مضـى قبلـي ولا أرجـوه بعـدي
متـى يشــهد فـنـحـن بـه كـثير وإن غــاب ابــن قــيس غــاب جـدي(3)
ولـيس بـمـوحشـي أمـر إذا مـا دنـا منــي وإن أفـردت وحـدي
لـــه دنــيـا يـعـاش بـهـا وديــن وفـــي الـهـيـجــا كــذي شــبلين ورد

قال ثم أقبل جرير سائراً من ثغر همدان(4) [ممن معه من الخيل والرجل] حتى ورد على علي «عليه السلام» بالكوفة، فبايعه، ودخل فيما دخل فيه الناس، من طاعة على، واللزوم لأمره(5).

---

(1) جعف، أراد «جعفي» وحقها أن تنتهي في الرسم بالياء، لكن كذا وردت في الأصل وح. وجعفي، بتشديد الياء، هم بنو سعد العشيرة بن مذحج، حي من اليمن.
(2) يعني ربيعة ومضر ابني نزار بن عدنان.
(3) الجد، ها هنا: الحظ.
(4) كذا وردت بإهمال الدال، كما هو أصلها الفارسي. انظر التنبيه ج1 ص15.
(5) راجع: صفين للمنقري ص14 - 20 والفتوح لابن أعثم ج2 ص363 -

ونقول:

كنا نود أن يكون لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، ولكننا آثرنا صرف النظر عنها، رغم أهميتها، لكي نوفر الوقت والجهد إلى تسليط الأضواء، ولو بصورة محدودة على خصوص ما يصدر عن علي «عليه السلام» نفسه..

من أجل ذلك نكتفي هنا بتسجيل ما يلي:

علي × في الشعر والنثر:

ما أكثر الشعر الذي قرأناه، وسنقرأ شطراً منه في الثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكله يتضمن التأكيد على أنه الوصي، وعلى فضله وسبقه، وعلى أنه «عليه السلام» خير أهل الأرض ما عدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن الهدى والنجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة هو في الكون معه «عليه السلام»، إلى غير ذلك من أمور كثيرة جداً لا سبيل للإحاطة بها.. فلاحظ على سبيل المثال: ما قاله ابن أخت جرير بن عبد الله البجلي، وأقوال جرير بن عبد الله نفسه..

كما أن أقوال، وخطب، وكتب أصحاب علي «عليه السلام» زاخرة بهذه المعاني، ونظائرها، وفيها من التأكيد على حقه، وعظمته، وفضله، وعدله، وسلامة سيرته ما لا يجارى ولا يبارى.

---

367 و (ط دار الأضواء) ج2 ص500 - 502.

وهذا يدل على شدة انبهارهم به، وبفضله، وعلمه، وسياساته، وتدبيره، وكل ما يرتبط به من قريب أو من بعيد..

المهاجرون والأنصار في كلام علي ×:

ما أكثر ما نجد علياً «عليه السلام» وأصحابه يذكرون بيعة المهاجرين والأنصار له، واجتماعهم على نصرته «عليه السلام»، وعلى أنه محق في تصديه لمن أصر على مناوأته، وشن الحروب عليه، والذين اعتزلوه، وخذلوه، فإن لهم أتباعاً يهتدون بمواقفهم، ويصوبونهم في آرائهم.

وهذا يدل على أنه وخِيار أصحابه «عليه السلام» كانوا يعرفون أن الأكثرية الساحقة في الأمة باستثناء أفراد، هم في غاية القلة كانوا يعيشون بلا ثقافة، ولا معارف دينية، وكان المهاجرون والأنصار، بالرغم من كل التباينات التي كانت قائمة بينهم، هم الأكثر معرفة بأمور الدين، وبأحكامه. بسبب ما كانوا يسمعونه ويتداولونه من وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حتى إذا نسي أحدهم أمراً ذكره به آخر..

يضاف إلى هذا: أن الصحابة قد رأوا الآيات والمعجزات، والكرامات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأم أعينهم..

كما أنهم كانوا يرون الهدي النبوي ماثلاً أمامهم، ويرون ويتلمسون بأنفسهم محاسن الأخلاق متجسدة فيه «صلى الله عليه

وآله»، وفي الخيرة من أهل بيته، والصفوة من أصحابه.

وما كان أحد منهم يريد التفريط بهذا الشرف، مهما كان سلوكه أو انتماؤه أو طموحاته، أو التزامه.

أما سائر الناس ممن فتحت بلادهم، وأسلموا بعد استشهاده «صلى الله عليه وآله»، فلم يهتم حكامهم وولاتهم في العهود التي سبقت عهد علي «عليه السلام» بنشر معارف الدين وقيمه، وأخلاقه، وحقائقه، وشرائعه فيهم.

بل إن حصل أحد منهم على شيء من ذلك، فإنما هو بمبادرات فردية خاصة، وقليلة جداً..

وهناك فريق قصَّر عن إدراك معالي الأمور، ونيل الفضائل، فاستسلم لأفاعي الحسد والحقد، والكراهية لأهل الفضل والعلم والنبل والكرامة، على رأسهم علي وأهل البيت «عليهم السلام».

ومن هؤلاء: سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي موسى الأشعري، وأضرابهم، وفيهم أنزل الله تعالى: **(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)**(1).

أما الأعم الأغلب، فهو يبحث عن المنافع والمناصب، ولا يزال يعيش الذهنية، والمفاهيم، والعادات التي كانت معه قبل انخراطه في المجتمع الإسلامي، الذي لم يجد فيه الشيء الكثير مما جاء به رسول

---

(1) الآية 54 من سورة النساء.

الله «صلى الله عليه وآله»، إن لم يكن قد وجد فيه الكثير من المنفرات، والأهواء، والعصبيات، والمفاهيم الجاهلية، والعادات الموروثة..

فلم ير كبير فرق بين ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام.. لا سيما وأن الذين تسلموا أزمة الحكم كانوا لا يزيدون عليه كثيراً في مجال الثقافة، والمعرفة، والإلتزام، إن لم يكونوا أكثر بعداً منه في جميع ذلك، ولا سيما بعد أن طغت على أولئك الحكام روحية الإستفادة من الدين كشعار، أو فقل: كوسيلة لنيل ما عجزوا عن نيله بدونه.

ولأجل ذلك: كان «عليه السلام» يرى أنه لا بد من توجيه الناس إلى المهاجرين والأنصار ممن لم يمل مع الهوى، ولا ركن للدنيا منهم، الذين كانوا ينتشرون في البلاد ليأخذوا منهم وعنهم، بالرغم من كل تبايناتهم، وتقصيراتهم، وبالرغم من انخراط كثير منهم في أمور الدنيا، وسعيهم للنيل من زخارفها..

اقرأ كتابي على المسلمين:

ونلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» ـ حسب رواية ابن أعثم ـ قد طلب من جرير البجلي كما طلب من الأشعث بن قيس أيضاً ـ كما سنرى ـ: أن يقرأ كتابه إليه على المسلمين..

وهذا إعلام بأن المطلوب: هو أن يعرف الناس حقيقة ما يجري من نفس كتابه «عليه السلام»، لأنه هو المصدر الأوثق، وهو

المسؤول والمعني مباشرة، فهو أولى من غيره، بالتوجه إليه لأخذ الأخبار منه، وهو خير من أن يسمعو الخبر على شكل شائعات، أو نتف تأتيهم على غير وجهها، بل تكون قد عبثت بها الأهواء والميول، ووضعت في غير مواضعها، وفسرت بما لا يتوافق مع الواقع.. كما أن الأشعث وجرير قد يكونا غير مأمونين على بيان الحقائق بالنحو الصحيح والمقبول.

كما أن نفس شعور الناس بأن حاكمهم يريد لهم أن يتعرفوا على الحقائق، ولا يريد أن يحجب عنهم شيئاً يعطيهم المزيد من السكينة والطمأنينة، والثقة، ويمنع من تسلل شياطين الإنس والجن إلى مشاعرهم، للتأثير عليها، وإلى أفكارهم للعبث بها.

الشورى في كلام جرير:

وقد ذكر جرير بن عبد الله البجلي: أنه «لو جعل الأمر شورى بين المسلمين كان [علي «عليه السلام»] أحقهم بها». ثم علل هذه الأحقية ـ حسب رواية ابن أعثم ـ بقوله: «لمصاهرته، وقرابته، وخدمته، وشجاعته، وهجرته».

ونحن نرى: أن هذا الكلام غير دقيق من الناحية العلمية والواقعية، فإن ما ذكره مبرراً لتعين اختيار علي «عليه السلام» لإمامة الأمة من قبل الشورى، لا يصلح لذلك، وإنما قال ذلك جرير إنطلاقاً من المنطق المناوئ لأمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنهم أرادوا أن يجدوا لأنفسهم مكاناً في الخلافة بالإستناد إلى أمثال هذه

الأمور، فإن المصاهرة والقرابة بما هي كذلك، لا تعني جامعية من يختارونه للعلم الخاص، والبصيرة في الأمور، والحكمة، والتدبير الصحيح، والفكر الثاقب، والورع، والإستقامة على طريق الحق والخير والصلاح، والإلتزام بأحكام الشرع إلى حد العصمة، والزهد بالدنيا، والشجاعة، والجهاد، وما إلى ذلك، مما لا بد منه في الإمامة والخلافة..

وهكذا الحال بالنسبة للخدمة، فإن من يفعل ذلك قد يكون الموقع المناسب له هو أن يكون مأموراً، ينفذ ما يطلب منه لا أن يكون آمراً..

كما أن الشجاعة لا تكفي بمفردها إذا لم يكن معها سائر الصفات التي أشرنا إلى بعضها آنفاً..

أما الهجرة، فهناك مهاجرون كثيرون، ولم يكن لديهم الأهلية لهذا المقام.

هذا كله.. عدا لزوم تعيين الإمام بالنص من الله ورسوله. حيث لا يبقى للشورى، ولا لآراء الناس مكان أو معنى يذكر.

ولكننا قد قلنا آنفاً: إن جريراً يورد الكلام وفق المعايير التي كان قد أشاعها المناوئون، وكان يعرفها أهل الدنيا، ويتدولونها فيما بينهم، بغض النظر عما يفرضه الشرع والدين..

كتاب علي × إلى الأشعث:

وروى نصر، عن محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال: لما

بويع علي، وكتب إلى العمال، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني، والأشعث على أذربيجان عامل لعثمان، وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك، فكتب إليه علي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس..

«أما بعد، فلولا هنات كنَّ فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله.

[وفي الفتوح: وقد مضى عثمان لسبيله كما بلغك، وبايعني المهاجرون والأنصار، والتابعون، وإنما توقفي عليك، فإذا أتاك كتابي هذا فاقرأه على من قبلك من المسلمين، وادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، فإن العمل الذي في يدك ليس لك بطعمة الخ..].

[أما نصر بن مزاحم، فيتابع على النحو التالي:]

ثم إنه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني، ثم نقضا بيعتي على غير حدث، وأخرجا أم المؤمنين وسارا إلى البصرة، فسرت إليهما فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا، فأبلغت في الدعاء، وأحسنت في البقية.

وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه أمانة.

وفي يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه حتى تسلمه

إلي، ولعلي ألا أكون شر ولاتك لك إن استقمت. ولا قوة إلا بالله».

وأرسل الكتاب مع زياد بن مرحب الهمداني.

فلما قرأ الكتاب قام زياد بن مرحب [زياد بن كعب] فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، إن من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، إن أمر عثمان لا ينفع فيه العيان، ولا يشفى منه الخبر، غير أن من سمع به ليس كمن عاينه.

إن الناس بايعوا علياً راضين به [طائعين غير مكرهين، وحاربه من حاربه من أهل البصرة، فأورثه الله الأرض]، وأن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث، ثم آذنا بحرب فأخرجا أم المؤمنين.

فسار إليهما، فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة، فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين».

[وأنا رسوله إليكم، فاسمعوا وأطيعوا!

قال: فضج الناس من كل ناحية بالسمع والطاعة. وقام رجل منهم على قدمه وأنشأ يقول:]

وذكر في الهامش الأبيات التي ستأتي عن قريب، وأولها:

أتاه الرسول رسول علي فسرَّ بمقدمه المسلمونا

ثم قام الأشعث بن قيس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، إن أمير المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان، فهلك

وهي في يدي، وقد بايع الناس علياً، وطاعتنا له كطاعة من كان قبله. وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم. وعليٌّ المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر».

فلما أتى منزله دعا أصحابه، فقال:

إن كتاب علي قد أوحشني، وهو آخذ [آخذي] بمال أذربيجان، [وأخاف إن سرت إليه يطالبني بمال أذربيجان، وإن سرت إلى معاوية لم يطالبني بشيء، واللحاق عندي بمعاوية أصلح، فهاتوا ما عندكم من الرأي]، وأنا لاحق بمعاوية.

فقال القوم [فقال له قومه وعشيرته]: الموت خير لك من ذلك. أتدع مصرك وجماعة قومك، وتكون ذنباً لأهل الشام؟!

فاستحيا فسار حتى قدم على علي، فقال السكوني ـ وقد خاف أن يلحق بمعاوية[1]:

إني أعيذك بالذي هو مالك بمعاذة الآباء والأجداد
مما يظن بك الرجال، وإنما ساموك خطة معشر أوغاد
إن آذربيجان التي مزقتها ليست لجدك ـ فاشنها ـ ببلاد[2]

(1) صفين للمنقري ص20 و 21 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص367 و 368 و 370 و 371 و (ط دار الأضواء) ج2 ص502 - 504.

(2) اشنها، أراد أشنأها ثم حذف الهمزة وعامله معاملة المعتل. والشناءة والشنآن: البغض.

كـانـت بـلاد خـلـيـفـة وَلَّاكـهـا وقضــاء ربـك رائـح أو غــاد
فـدع الـبلاد فـليـس فيها مطمـع ضـــربت عليـــك الأرض بالأســداد(1)(2)
وأقصـد علياً خير من وطأ الثرى بعـد النبـي الهاشـمي الهـادي
وارفـض مـعاويـة بـن صـخر إنــه حرب الرسول غداة كل مبادي
والحق بـمصـرك إنـه لك واسـع ترشـد لعمـري أيمـا إرشـاد (3)
فادفـع بـمـالك دون نفسك إننـا فـــادوك بـــالأموال والأولاد
أنـت الـذي تـثـنى الخـناصر دونـه وبكـــبش كنـــدة يستهـــل الـوادي(4)

وعند ابن أعثم:

[أنـت الـذي تثنى الخناصر باسمـه عند الـورى من حاضر أو بـاد]
ومـعصّـب بـالتـاج مفرق رأسـه ملـك لعمـرك راسـخ الأوتـاد
وأطـع زيـاداً إنـــه لك ناصـح لا شـك فـي قـول النصـيح زيـاد
وانـظـر عـلـيـاً إنـه لـك جـنـة ترشـــد ويهـــدك(5) للسعـــادة

(1) أي سد عليه الطريق فعميت مذاهبه، وواحد الأسداد سد.
(2) صفين للمنقري ص22 والفتوح لابن أعثم ج2 ص367.
(3) الفتوح لابن أعثم ج2 ص367.
(4) صفين للمنقري ص22.
(5) في الأصل: «يرشد ويهديك للسعادة» محرف.

هاد(1)

[فلما سمع الأشعث هذه القصيدة من ابن عمه كأنه استحيا مما أراد أن يفعل من مسيره إلى معاوية، ثم إنه جمع الناس فواعدهم وهنأهم وسار بهم حتى قدم الكوفة على علي](2).

قال ابن أعثم: وكتب رجل من كندة من بني عم الأشعث للأشعث:

أما بعد! فإن بيعة علي بن أبي طالب أتتني فقبلتها، ولم أجد إلى دفعها سبيلاً، وإني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجده يلزمني وقد شهده المهاجرون والأنصار، وكان أوثق أمورهم الوقوف.

فالزم يا بن عم بيعة أمير المؤمنين علي «رضي الله عنه»، فإنه أفضل من غيره، وقد قلت أبياتاً فاسمعها. ثم أثبت في أسفل كتابه ما قاله من الشعر.

وقال ابن أعثم أيضاً: إن الأشعث بن قيس لما نظر في كتاب علي «رضي الله عنه»، وقرأ شعر ابن عمه الكندي فنودي له في الناس، ثم خرج من منزله وأقبل فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى [عليه، وصلى] على نبيه، ثم قال: إنه من لم يكفه القليل لم يستغن بالجزيل.

---

(1) صفين للمنقري ص23 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 هامش ص371.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص369 و (ط دار الأضواء) ج2 ص504.

وقد كان ابن عفان ولاني بلاد أذربيجان(1).. إلى آخر ما تقدم مع بعض اختلاف.

ومما كتب به إلى الأشعث [وعند ابن أعثم: إنها لرجل من كندة ـ كما تقدم ـ]:

أبلغ الأشعث المعب بالتاج غلاماً حتى علاه القتير(2)
يا ابن آل المرار من قبل الأم وقيس أبوه غيث مطير(3)
قد يصيب الضعيف ما أمر الله ويخطئ المدرب النحرير
قد أتى قبلك الرسول جريراً فتلقاه بالسرور جرير
وله الفضل في الجهاد وفي الهجرة والدين، كل ذاك كثير(4)
إن يكن حظك الذي أنت فيه فحقير من الحظوظ صغير
يا ابن ذي التاج والمبجل من كندة، ترضى بأن يقال أمير؟!
أذربيجان حسرة فذرنها وابغين الذي إليه تصير
واقبل اليوم ما يقول علي ليس فيما يقوله تخيير
واقبل البيعة التي ليس للناس سواها من أمرهم قطمير
عمرك اليوم قد تركت علياً هل له في الذي كرهت نظير

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص368 و 369 و (ط دار الأضواء) ج2 ص503.

(2) القتير: الشيب، أو أول ما يظهر منه. يقول: كان ملكا من صباه إلى مشيبه.

(3) أبوه، على الالتفات. ولو لم يلتفت لقال: «أبوك».

(4) الفتوح لابن أعثم ج2 هامش ص368 والأبيات أيضاً في صفين للمنقري ص23.

ومما قيل على لسان الأشعث:

أتانا الرسول رسول علي ... فسر بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي ... له الفضل والسبق في المؤمنينا
بما نصح الله والمصطفى ... رسول الإله النبي الأمينا
يجاهد في الله، لا ينثني، ... جميع الطغاة مع الجاحدينا
وزير النبي وذو صهره ... وسيف المنية في الظالمينا
وكم بطل ماجد قد أذاق ... منية حتف، من الكافرينا
وكم فارس كان سال النزال ... فآب إلى النار في الآئبينا(1)
فذاك علي إمام الهدى ... وغيث البرية والمقحمينا(2)
وكان إذا ما دعا للنزال ... كليث عرين يزين العرينا
أجاب السؤال بنصح ونصر ... وخالص ود على العالمينا

وفي هامش الفتوح:

أجاب الرسول بنصر ونصح ... وخالص ود على العالمينا
فما زال ذلك من شأنه ... ففاز وربي مع الفائزينا

---

(1) سال: مخفف سأل. قال حسان (انظر ديوانه ص67 والكامل ص288 ليبسك):

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

(2) المقحمون: الذين أصابتهم السنة والجدب، فأخرجتهم من البادية وأقحمتهم الحضر. وفي الأصل: «المفخمينا» محرفة.

[قال: واستبشر الناس بخلافة علي «رضي الله عنه»، وبايعوه عن آخرهم، وانصرف الأشعث بن قيس إلى منزله يقول شعراً][(1)].

وقال نصر بن مزاحم:

ومما قيل على لسان الأشعث أيضاً:

أتانا الرسـول رسـول الـوصي — علـي المهـذب مـن هاشـم
رسـول الوصـي وصـي الـنبي — وخيـر البريـة مـن قـائم
وزيـر الـنبي وذو صـهـره — وخيـر البريـة فـي العـالم
له الفضـل و السـبق بالصالحات — لهـدي النبـي بـه يـأتمي[(2)]
مـحمـدا أعنـي رسـول الإلـه — وغيـث البريـة والخـاتم
أجبنـا علـيـاً بـفـضـل لـه — وطاعـة نصـح لـه دائـم
فقيـه حليـم لـه صـولـة — كليـث عـرين بهـا سـائم
حـليـم عفيـف و ذو نـجـدة — بـعيـد مـن الـغدر والـمأثـم[(3)]

ونقول:

تضمنت النصوص المتقدمة أموراً كثيرة تحتاج إلى بيان.. ونذكر

(1) الفتوح لابن أعثم الكوفي ج2 ص369 و (ط دار الأضواء) ج2 ص504.
(2) يأتمي، أراد يأتمم أي يأتم، فقلب إحدى الميمين ياء، وكذلك يفعلون، كما قالوا في التظنن التظني، وفي التنصص التقصي. وفي الأصل: «يأتم» محرفة.
(3) صفين للمنقري ص20 - 24 الفتوح لابن أعثم الكوفي ج2 ص367 - 370 و (ط دار الأضواء) ج2 ص502 - 505.

منها ما يلي:

الأشعث إلى معاوية أقرب:

إن تاريخ الأشعث الكندي لا يدل على أنه كان من المهتمين بالآخرة، أو من المتعاملين بالقيم العليا، والحافظين لحدود الشريعة. بل كان رجلاً طموحاً، إلا أن طموحه لا يدل على علو همة، بل يدل على دناءة وسقوط في حب الدنيا.. وجريئاً بوقاحة وصلافة لا أدب فيها، لا يبالي في سبيل أغراضه بشرع أو دين، أو بأخلاق، أو بعهود وقيود وحدود..

وقد ارتد بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأسر في عهد أبي بكر في سنة اثني عشر للهجرة، فأطلقه أبو بكر وزوَّجه أخته، فولدت له محمداً وغيره.

وكان الأشعث منافقاً يحض الخوارج على مخالفة علي «عليه السلام».

وسنذكر فيما يأتي إن شاء الله بعض ما يتعلق بأعمال الأشعث الشنيعة، ولكن ما نريد الإشارة إليه هنا، والدلالة عليه هو: أن الأشعث بعد قتل عثمان كان يرى مصلحته مع معاوية، وهو أقرب إليه من علي «عليه السلام»، لأن الأشعث صهر أبي بكر، كما أنه قد زوَّج ابنته لعمرو بن عثمان، وكان أحد ولاة عثمان أيضاً، وكان الناكثون في حرب الجمل يتذرعون بالطلب بدم عثمان.. وكان يرى

أن معاوية ومن معه يتربصون الدوائر بعلي «عليه السلام»، ويعملون على الإستفادة من قتل عثمان في أي تحرك يقومون به.

كما أن الأشعث لم يكن يروق له ما يراه من تشدد علي «عليه السلام» في أمر الأموال، وفي غيرها من أمور الدين، لأنه يريد أن يأخذ حريته في ذلك كله.

فلأجل ذلك كله كان يرى: أن موقعه الطبيعي هو مع معاوية لا مع علي «عليه السلام».

ولذلك نراه: قد حاول أن يقنع جماعته بهذا الأمر، فلم يرضوه منه، لأنهم وجدوه عاراً عليهم، وقد بيَّنوا له ذلك بما لم يجد معه مناصاً ولا خلاصاً، فرضي بالبقاء إلى جانب علي «عليه السلام» على مضض، وبالرغم عنه. وكان يتربص بعلي الدوائر، وينتهز الفرصة للغدر، ويتحين المكر والوثبة.

والبيان الذي اعتمدوه لإقناعه بالعدول عن المسير لمعاوية، هو قولهم له: إنه ـ وهو الزعيم الكبير، والآمر الناهي ـ كيف يرضى أن يكون ذنباً لأهل الشام.

فترى أن اعترافهم له بالزعامة والرياسة أمر يثلج صدره، ويسلي همه، وبعد هذا النفخ والإنتفاخ كيف يطيب له أن يضع نفسه في موضع التابع الذليل؟!

يضاف إلى ذلك: أنه لو أراد أن يفعل ذلك، فإن عصبيته لعراقيته تأبى له الرضا بأن يصبح ذنباً لأهل الشام.

فلم يجد بداً بعد هذا من التراجع عن قرار اللحوق بمعاوية عصبيةً، وعلى مضض. وهكذا كان.

لولا هنات كنَّ فيك!!:

وقد أشرنا آنفاً: إلى أن تاريخ الأشعث ومواقفه لا تساعد على أن يرضي علي «عليه السلام» طموحه، أو أن يكون مقدماً عنده «عليه السلام»، وفقاً لمبادئ علي «عليه السلام»، ونهجه، ونظرته إلى الحياة، وطريقته في التعامل مع الأمور.. ولكن ما يستوقفنا في هذا النص هو أسئلة تحتاج إلى إجابات، ومن هذه الأسئلة:

أنه «عليه السلام» كتب إلى الأشعث يقول: «لولا هنات كنَّ فيك كنت المقدم في هذا الأمر».

فأولاً: ما المبرر لهذه المواجهة الصريحة للأشعث؟! ألم يكن الأولى هو الرفق به، وغض النظر عن سوابقه، ومداراته واستصلاحه؟!

ثانياً: ما المبرر لقوله «عليه السلام»: «كنَّ فيك»؟! ولماذا لم يقل له: لولا هنات فيك؟! فهل كانت هذه الهنات ثم زالت؟!

ثالثاً: ما المقصود بالأمر الذي أشار إليه «عليه السلام» بكلمة «هذا»؟! وقد أراد «عليه السلام» للأشعث أن يكون فيه، لكن الهنات هي التي تمنع من ذلك؟!

ويمكن أن يجاب:

ألف: بالنسبة للسؤال الأول نقول:

إن أمر الأشعث لم يكن خافياً على أحد، ولم يكن من المصلحة: أن يتجاهله علي «عليه السلام»، فلو أنه سكت عنه، ولم يصارحه، فإن الأشعث نفسه سوف يبقى وجلاً، وغير واثق بمصيره؛ فمصارحته هذه تعطيه وضوحاً تاماً بأن القرار من علي «عليه السلام» هو غض النظر عن تلك الهنات، وفق معادلة واضحة يتحكم الأشعث نفسه فيها.

فإما أن يعطيها قوة ورسوخاً، ويحولها إلى علاقة إيجابية تمتلك عناصر البقاء والثبات، من خلال التبديل في معطياتها السلبية، وتحويلها إلى إيجابيات.

وإما أن يلحق بها المزيد من الوهن والضعف، ويقضي على ما تبقى من نبضات الحياة فيها.

إن هذا الواقع الجديد: يمكن أن يعطيه أملاً، وأن يفتح أمامه أبواب الرجاء، ويجعله هو المسؤول عن مصير العلاقة به.

كما أن هذا الوضوح مع الأشعث يعطي الإنطباع للآخرين: بأن تصرف علي «عليه السلام» معه مبني على الصدق والصراحة والوضوح، فلا يتوهمن أحد أنه مبني على المداهنة، أو على الجهل بحاله، أو على الرضا بالإنحراف ومباركته..

ب: أما الجواب على السؤال الثاني:

فإن التعبير بكلمة «كُنَّ فيك»، التي تدل على أنه يغض النظر عن

حالته الراهنة، تشير إلى أنه يريد إفساح المجال له ليتنكر لتلك الهنات، ويعترف بأنها تمثل نقصاً وعيباً، ويدينها.

وفيه أيضاً: تحاشي إحراجه بالتصريح بأنه لا يزال مبتلى بها بالفعل من جهة أخرى. لكي يبرر بهذا وذاك، مطالبته بمواصلة تحاشيها والإبتعاد عنها.

ج: بالنسبة للسؤال الثالث نقول:

المشار إليه بكلمة «هذا» بهذا الأمر: هو أن توكل إليه إدارة العمل السياسي في كل مورد لا يريد الإمام مباشرة العمل فيه بنفسه، كما كان الحال بالنسبة لعمار بن ياسر، والأشتر وأضرابهما.

التقوى هي الشرط:

أما قوله «عليه السلام»: «ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً، إن اتقيت الله..» يعطي:

أولاً: إن الهنات التي كانت في الأشعث، حتى لو كانت قد زالت منه، فإن آثارها لا تزول، ولا بد من أخذها بنظر الإعتبار، ولذلك أبقاه «عليه السلام» في دائرة بذل الجهد لمواجهة تلك الآثار من حيث أن تقوى الله التي ستكون مؤثرة في ذلك، بحيث يحمل بعض أمره بعضاً..

ولعل هذه الهنات تحدث تشوهات وخدوشاً في مرآة النفس، فتخرجها عن حالة الصفاء الذي كانت عليها، ولا تعود صالحة

للمهمات التي كانت تتصدى لها لولا تلك التشوهات والخدوش.

ثانياً: إنه «عليه السلام» أبقى مسألة إلتزام الأشعث بتقوى الله في دائرة الترديد والشك أيضاً، ولذلك استعمل كلمة «إن»، لا كلمة «إذا» في قوله: «إن اتقيت الله».

علي × للأشعث: إنما توقفي عليك!!:

ثم إنه «عليه السلام» بعد أن ذكر للأشعث أمر عثمان، وبيعة المهاجرين والأنصار له «عليه السلام» قال: «وإنما توقفي عليك».

والسؤال هنا هو: إذا كان الأشعث قد فقد صلاحيته للتقدم على الناس في تدبير الشأن العام، فما معنى أن يتوقف علي «عليه السلام» عليه؟!

وما المقصود بهذا التوقف؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن فقدان صلاحية التقدم على الناس لا يعني عدم توقف الأمر عليه.. فإن الأمر قد يتوقف على شخص لخصوصية فيه، مع أنه لا يصلح لأن توكل إليه أمور رئيسية وأساسية في النظام العام.

ثانياً: إن الأمر قد يتوقف على شخص لا بمعنى أن الأمر سوف ينهار بدونه.. بل بعمنى أنه لا بد من تحديد موقعه، فإن دخل فيه، فإن الأمور تجري بنحو معين يتناسب مع موقعه وحجمه.

وإن لم يدخل فيه، فلا بد من إحداث تغييرات تتناسب مع فقدان

دور هذا الشخص بسبب اعتزاله. أو تتناسب مع الواقع الذي ينشأ من تحوله إلى الطرف المقابل والمعادي.. بعد تقديرهم حجم الخلل الذي أحدثه هذا التحول في صفوف هذا الفريق، ومستوى القدرة التي أضافها لذلك الفريق.

اقرأ كتابي على المسلمين:

وقد أشرنا حين الحديث عن كتابه «عليه السلام» لجرير بن عبد الله البجلي إلى أنه «عليه السلام» قد كتب إليه وإلى الأشعث يأمرهما بقراءة كتبه على الناس، وأن لهذه السياسة مبرراتها، فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه هناك.

بيعة المهاجرين والأنصار:

وأشرنا فيما سبق أيضاً: إلى أنه «عليه السلام» لم يزل يذكِّر ببيعة المهاجرين والأنصار، ونصرتهم له.

وقد ذكرنا هناك أيضاً بعض ما يهدف إليه «عليه السلام» هو وخِيار أصحابه من هذا التذكير، فلا بأس بالرجوع إليه، للإطلاع عليه.

عملك ليس لك بطعمة:

وقد كتب «عليه السلام» للأشعث: «إن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه أمانة».

ونلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قد خص الأشعث بهذا الخطاب، فكأنه «عليه السلام» قد استهدف النقطة الحساسة عند الأشعث، وهي: أن الذين سبقوه قد تعاملوا في توليتهم عمالهم البلاد، ورقاب العباد بمنطق أن على العامل أن يؤدي لهم شطراً من المال، ثم يكون الباقي رهناً برغبات الولي والعامل وميوله. فله أن يصلح به شأنه، وأن يرضي به من يحتاج الى إستجلاب رضاه، وأن يغري به من يحتاج إلى الاغراء.

أما العباد والبلاد، فهو الذي يقرر أن يخصهم بشيء، فيكون عطاؤه كرماً وتفضلاً، أو أن تشح نفسه، فيكون شحه هذا إنصافاً وعدلاً..

ولكن لعلي «عليه السلام» منطق آخر اختصرته كلمته هذه التي أشرنا اليها.

وهو يتلخص بأمرين:

أولهما: أن العمل أمانة الله بيد العامل، وعليه أن يؤدي الأمانة لأهلها سالمة، وإلا فهو خائن..

ثانيهما: أنه إذا اختصه أميره بولاية، فإن ذلك لا يكون امتيازاً له ولا يكون ما أوكله إليه طعمة له يتملكها، فلا يحق لأحد انتزاعها منه، بل ولايته أمانة في يده لا بد أن يؤديها لأهلها حين تطلب منه، ولا يصح له منعهم منها.

كما أن توليه لأمانته محدود بقدرته على حفظها وعلى أدائها سليمة، فإن عجز عن ذلك، فعليه إرجاعها، ولو لم تطلب منه، فهو مجرد خازن وحافظ للمال، وليس مالكاً له.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد سلب الأشعث، وكل عامل، ووال أي حق في التصرف فيما تحت يده خارج دائرة الحفظ والحراسة.. وأعاد الأمور إلى نصابها.. ومهد السبيل أمام سؤال كل عامل ووال عن أمانته، ومطالبته بإرجاعها إلى أهلها.

كما أنه قد أعطى الناس الضابطة التي تدلهم على الأمين وعلى الخائن.. وفتح أعين أهل البلاد على حقيقة أنه ليس للحاكم أن يتصرف بهم كيف يشاء.. فإن فعل ذلك، فهو خائن.

ولكل أحد أن يواجه الخيانة بالرفض، والخائن بالإدانة، والضرب على يده، ومنعه من الإستمرار في عمله الخياني، فلم يعد بمقدور العمال أن يبيعوا ويشتروا كما يحلو لهم. كما أنه ليس لهم أن يؤدوا الأمانة لغير أهلها.

فإن كان الأشعث وغيره يفكر باللحاق بمعاوية، فإنه يلحق به كشخص، أما المال الذي جمعه، والعمل الذي ودَّعه، فيخرج من يده ليعود لأهله الشرعيين بصورة تلقائية.

طلحة والزبير لم يتوبا:

وقد صرح «عليه السلام» في رسالته للأشعث بأن طلحة والزبير

لم يرجعا عن غيهما. فما يزعمه بعض الناس من رجوع الزبير، وتوبة طلحة شائعة لا أساس لها من الصحة، يراد بها إخراج هذين الناكثين عن دائرة البغي، واستحقاق القتل، ومحاولة بائسة ويائسة لإعادة شيء من الإعتبار لهما.. وكيف؟! وأنى؟! ولماذا؟!

لعلِّي لا أكون شر ولاتك:

وقد ألمح «عليه السلام» إلى الأشعث: بأنه يريد أن يبقيه في جملة ولاته حين قال له: «لعلِّي لا أكون شر ولاتك، إن استقمت».

وقد دلت هذه الكلمة بنحو من أنحاء الدلالة على الأمور التالية:

1 - إنه «عليه السلام» ألمح إلى إمكانية أن يبقيه في جملة ولاته. أو إنه أراد أنه «عليه السلام» لن يكون شر من يتولى على الأشعث ويأخذ على يده، ويكون مهيمناً عليه.

2 - إنه إن كان يظن أنه سيسيء معاملته، فهو واهم، لأن لعلي «عليه السلام» ضابطة ينتهي إليها في تعامله مع الولاة وغيرهم، وهي: أنه يحسن معاملة من يستقيم على جادة الحق والصلاح.. ويعامل من لا يستقيم بما يستحقه، حتى يعود إلى تلك الجادة.

3 - إن استقامة الأشعث ليست مضمونة، لأنه «عليه السلام» قررها مستفيداً من كلمة: «إن» الشرطية، التي تستعمل في موضع الشك في حصول مدخولها، لا الجزم به كما في «إذا» الشرطية.

4 - إنه «عليه السلام» قد جعل الأمر في عهدة الأشعث، وأخرج

نفسه منه، فالأشعث هو الذي يقرر الإستقامة، فيفوز بولاية علي «عليه السلام» له، وبحسن المعاملة، أو يقرر الإمعان في سلوك طريق الإنحراف.. فيحرم نفسه من ذلك.

5 ـ هذا ولا بد من الإشارة إلى أن الإستقامة ليست علة مباشرة للحصول على حسن المعاملة في الولاية، بل هي علة لرضا الله ورسوله، ورضا أمير المؤمنين، فيستحق حسن الولاية.

زياد بن مرحب: أمر عثمان مبهم:

وقد قرر زياد بن مرحب: أن الخوض في أمر عثمان لا يجدي، لأنه مبهم ومشكوك، فلا يمكن الإطمئنان إلى ما يأتي به الناس من أخبار، وتحليلات لما جرى، فإن من حضر أمره إما شديد التحامل عليه، أو شديد التعصب له.. فلا مجال للإعتماد على أخبار هؤلاء، ولا أولئك.

أما من غاب عنه، فعدم الإعتماد على أقواله فيه أولى..

وهذا يسقط ورقة يحاول الإستفادة منها المصطادون في الماء العكر، وفي طليعتهم معاوية لتأليب الناس على بعضهم، وإثارة الفتن والقلاقل فيهم..

لا إكراه في البيعة لعلي ×:

ثم ذكر زياد: أن الناس بايعوا علياً «عليه السلام» راضين طائعين غير مكرهين..

وهذا يدل على عدم صحة ما يدَّعيه طلحة والزبير، من أنهما قد أكرها على البيعة، لأنهما يريدان بذلك تبرير نكثهما من غير سبب ظاهر، فاعترفا بالبيعة، لأن إنكارها غير ممكن.. ولكنهما ادعيا أمراً يمكن أن يدعى أنه قد دبر في الخفاء..

ولكن رفض علي «عليه السلام» قبول البيعة من الناس، حتى بقوا اياماً كثيرة يلاحقونه، ويصرون عليه بقبولها، وعلى رأسهم طلحة والزبير يكذب دعواهما.

علي × الوارث:

وقد أشار زياد بن مرحب في قوله: «فأورثه الله الأرض، وجعل له عاقبة المتقين» إلى قوله تعالى: **(إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)**(1).

وهذه لفتة لطيفة تدل على مستوى الوعي لدى زياد بن مرحب.

صفات علي × مرة أخرى:

وقد وصف السكوني علياً «عليه السلام»: بأنه خير من وطأ الثرى.

ووُصف في النصوص المتقدمة أيضاً بأنه:

وصي النبي، ووزيره، وصهره، وسيف المنية، وإمام الهدى،

(1) الآية 128 من سورة الأعراف.

وخير البرية، وغير ذلك.. وهي صفات تظهر فضله، وتميزه «عليه السلام» على جميع الناس؛ باستثناء رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهي تحمل في طياتها أيضاً روح ومعنى التقديس له «عليه السلام»، الأمر الذي لا نجده لأي من الخلفاء الذين سبقوه، ولحقوه بعد ولده الإمام الحسن «عليه السلام»، وهو تقديس لا ينطلق من معان غائمة، ولا مبهمة، بل من الوضوح والمعاينة لهذه المعاني وآثارها، فإنها هي التي ساقتهم إلى هذا المستوى من النظرة.

وإذا كان لبعض الخلفاء شيء من الإحترام، فإنها لا تنطلق من نفس هذه المعاني بلا ريب..

بل هي معان أقرب إلى دواعي الأهواء، وألصق بالمنافع الدنيوية، وقد تمازجت ببعض العصبيات، وتناغمت مع كثير من المفاهيم الجاهلية الموروثة، وقد غذتها الأحقاد التي أنتجتها حروبهم التي شنوها على الإسلام وأهله، وهم يحاولاون مصادرة حريات الناس، ومحاصرة الإسلام، والحد من امتداداته، تمهيداً لخنقه، والقضاء عليه..

فدافع أهل الحق عن أنفسهم، وحاق بالمعتدين ما كسبت أيديهم..

أمر عثمان لا يغنيه:

وقد تقدم في بعض النصوص ما دل على أن بعضهم ينظر إلى

قضية عثمان من زاوية أخرى تظهر أن ثمة نضجاً غير عادي في الفهم السياسي لهذه القضية، حيث إنه ركز موقفه من عثمان على أمرين هما في غاية الوضوح، والبداهة:

فأولاً: إنه قد غاب عن أمر عثمان، ولم تتضح له حيثياته، فلا يحق له اتخاذ موقف تجاهه، لا سلباً ولا إيجاباً، لأن غيبته عنه معناها أنه ليس مطالباً به، وليس له أي تكليف تجاهه، لأن من حضره هو الذي كان يجب عليه أن يدفع عنه، إن كان مظلوماً، أو أن يدفع ظلمه عن الناس، إن كان ظالماً، وفي هذه الحالة إما أن يدفعه عن الظلم بالقوة إن كان يسوغ له استعمال القوة، أو بالنصيحة، إن كانت النصيحة تكفي لذلك.

فإن لم يمكنه ذلك، فعليه أن يعتزل ويبتعد.

ثانياً: إن الغائب عن ساحة الصراع، إذا كان يعرف أنه لا يملك المعرفة الكافية التي تخوله إبداء الرأي، واتخاذ الموقف الصحيح. وكان المتصدون للأمور في موقع الحدث هم أعرف الناس بخفايا ما يجري، كما أنهم يملكون من المعرفة بحقائق الدين وشرائعه ما يجعلهم جديرون بالثقة، والإعتماد. وقد عاشوا مع الرسول «صلى الله عليه وآله» واستفادوا منه، وحظوا منه بما لم يحظ به أحد سواهم.

وكان فيهم العقلاء والعلماء والأتقياء والزهاد والأبرار، وغير ذلك من موجبات الوثوق بهم، والإنتهاء إلى رأيهم، ولا سيما من قبل الغائبين الذين لا يملكون شيئاً من كل تلك الميزات، إذا كان يعرف

ذلك كله، فعليه أن يعرف حده، فيقف عنده، فإذا رأى أن هؤلاء بالذات، هم الذين قتلوا عثمان، أو اعتزلوا ولم يشاركوا في قتله، فمعنى ذلك: أن ثمة أسباباً كبيرة جداً دعت من قتله للقتل، ومن اعتزله للسكوت والإعتزال. وهذه معادلة واضحة، وصحيحة ومرضية..

الفـــهــــارس

1 ـ الفهرس الإجمالي
2 ـ الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: البيعة.. ونصب الوالي.. 7
الفصل الخامس: من البصرة.. إلى الكوفة.............................. 35

القسم السادس: حتى معارك صفين..

الباب الأول: حداث قبل صفين..

الفصل الأول: علي × في الكوفة.. بداية مسيرة....................... 69
الفصل الثاني: أحداث جرت في الكوفة.................................. 89
الفصل الثالث: نصب العمال وعزل قيس.. 113
الفصل الرابع: ابن أبي بكر يتولى مصر.. 151
الفصل الخامس: وقفات مع كتب علي × لابن أبي بكر.. 181
الفصل السادس: أسئلة.. مؤآخذات.. ورسائل متبادلة............... 217
الفصل السابع: توجيهات إلى العمال وأمراء الخراج............... 239
الفصل الثامن: بنو تميم عند علي ×.................................. 283
الفصل التاسع: استقدام علي × للبجلي والأشعث.................... 305
الفهارس:.. 341

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: البيعة.. ونصب الوالي..

بيعة أهل البصرة علياً ×:... 9

نص البيعة:.. 9

البيعة بعد النكث: 10

على ماذا كانت البيعة؟!: 10

لو بايعني مروان!!:.. 11

لا أبايعك حتى تكرهني: 15

فإنه أذل له:.. 15

توضيح حول الرواية الأخيرة:... 17

دوافع التوبة والاعتذار: 18

إنما أنا بشر مثلكم:... 18

كنت أولى الناس بالناس: 19

إنها كف يهودية: 20

لنكث بإسته: 20

إمرة كلعقة الكلب أنفه: 22

نصب الولاة على البلاد: 22

علي × وزياد: 22

علي × لم يول زياداً: 25

متى كان نصب الولاة؟!: 27

أعجلت السبائية علياً ×: 27

الثناء على المحسن لإحسانه: 28

خطبة علي × في حفل التنصيب: 30

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق: 31

إن زاغ الحاكم يعزل: 32

علي × يظن خيراً بابن عباس: 33

الفصل الخامس: من البصرة.. إلى الكوفة.

خطبة الوداع: 37

نحو الكوفة: 37

من مالي، ومن غزل أهلي: 40

أخبث البلاد، وأخشنها تراباً: 43

الإستقبال في الكوفة:... 44

هل الناكثون مشركون؟!: 46

من هو ابن السوداء؟!:... 47

الإستقبال والتهنئة:... 48

جرأة الراسبي على الله:.. 48

عودة الظافر:.. 49

علي × لا ينزل القصر: 53

أشراف أهل البصرة مع علي ×: 55

الخطبة العتيدة:.. 55

معايير الدنيا تختلف عن الآخرة: 56

الله هو الذي نصر وخذل: 57

طاعة من أطاع الله:.. 59

ليعرف حزب الله: 61

تصحيح المفاهيم: 62

القسم السادس: حتى معارك صفين..

الباب الأول: أحداث قبل صفين..

الفصل الأول: علي × في الكوفة.. بداية مسيرة..

فرح الناس بعلي ×:.. 71
بيعة أهل الكوفة:.. 73
علي × يعاتب المتخلفين:.. 74
المطالبات ضرورية: 77
هل يثق علي × بمن لا يوثق به؟!:... 77
ابن صرد لم ينصر أهل بيت نبيه:.. 79
مفارقة بين الأفعال والأقوال:.. 81
كلام ابن صرد غير موزون وأناني:... 81
من أين يثبت ابن صرد أقواله؟!: 82
ابن صرد زعيم التوابين:... 83
اتهامات علي × لابن صرد:... 85
هل سعيد بن قيس من المتربصين؟!: 86

الفصل الثاني: أحداث جرت في الكوفة..

خطبة الجمعة في الكوفة:.. 91
عصيان بني ناجية بعد حرب الجمل: 94

سبي ذراري بني ناجية: 95

علي × وأهل السواد في العراق: 96

النائب عن الجماعة: 97

الحاكم وتفقد أحوال الرعية: 98

لماذا السؤال عن ملوك فارس؟!: 99

منطلقات الإصلاح عند علي ×: 100

أفضل من آصف بن برخيا: 101

إخسأ يا كلب:.. 104

يضرب برجله صدر معاوية: 108

لا يسبقونه بالقول:.. 110

أين النظرة إذن؟!:... 111

الفصل الثالث: نصب العمال وعزل قيس..

علي × ينصب العمال: 115

نصب العمال كان تدريجياً:................................... 117

خيانة مخنف بن سليم: 118

طموحات بنات كسرى: 119

تذكير: 121

مما سبق:.. 121

مكاتبات بين قيس ومعاوية:.. 122
عزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر مصر: 127
ما أصغر ذنوب عثمان!!: 131
رشاوى معاوية: 132
قيس يكشف دخيلة معاوية:.. 133
تصديق قول قيس بفعل معاوية:....................................... 134
نجاح مكيدة معاوية:... 135
غضب قيس: 139
هل كان علي × مغلوباً على أمره؟!:.................................. 144

الفصل الرابع: ابن أبي بكر يتولى مصر..

ابن أبي بكر يتولى مصر:.. 153
عهد علي لمحمد بن أبي بكر: 154
من كتب علي × لواليه على مصر: 156
1 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر:..................... 157
تعقيب للعلامة الأحمدي &:.. 158
2 ـ كتابه × لمحمد بن أبي بكر وأهل مصر: 159
في الصلاة والوضوء: 168
في الوصية: 170

في الصوم والإعتكاف: 171

إستيلاء ابن العاص على الكتاب: 172

تأسف علي على × هذا الكتاب:.. 174

3 ـ عهده × إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: 175

4 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر: 177

[صورة أخرى لنقل الغارات]:... 177

5 ـ كتابه × إلى محمد بن أبي بكر: 178

الفصل الخامس: وقفات مع كتب علي × لابن أبي بكر

مضامين العهد: 183

1 ـ البناء الروحي للوالي:... 183

2 ـ تصنيف الفئات لتحديد حقوقهم:.................................... 184

3 ـ الواجبات على الناس:... 185

4 ـ السياسة المالية: 187

إبقاء الخراج على ما هو عليه:.. 190

لفت نظر: 192

5 ـ معاملة الحاكم للناس:.. 193

7 ـ السلطة القضائية: 195

سرور علي × باهتمامات ابن أبي بكر: 197

إن يعذب فنحن أظلم:.. 198
التقوى أكثر نفعاً في الدنيا:... 199
حفظ النبي ' في أهل بيته: 202
إمام الهدى، وإمام الردى:.. 205
لا تقض بقضاءين: 208
موقع عامة الرعية: 210
والزم الحجة عند الله: 211
أصلح أحوال رعيتك:... 212
وخض الغمرات إلى الحق: 213
الحاكم النموذج:.. 214

الفصل السادس: أسئلة.. مؤآخذات.. ورسائل متبادلة..

زيارة الجبار سبحانه:... 219
الوضوء المخالف للقرآن:.. 221
الشك في كل ما لم يروه المفيد:....................................... 222
تسعة وتسعون تنيناً:.. 222
وأتبعها ستاً من شوال:.. 224
ليلة القدر في منام النبي ' : 226
قيمة العلم عندمعاوية:... 229

سوف أكيس بعدها!!: 230

تذكير: 231

تبادل رسائل بين معاوية وابن أبي بكر: 232

خاتمة هذا الفصل: 237

الفصل السابع: توجيهات إلى العمال وأمراء الخراج..

أحسن إليهم ما استطعت: 241

إختلاف أهل البصرة: 242

علي × يغور في الأعماق: 243

للاختلافات عواملها النفسية: 244

المعالجة: 245

إيضاحات لهذه الإجراءات: 247

نظرة أهل البصرة إلى أمرائهم: 249

لا اجتهاد في مقابل النص: 250

أحسن إلى هذا الحي من ربيعة: 250

اقسم المال بينهم حتى تغنيهم: 251

المطلوب هو الغنى: 252

احمل ما فضل إلينا: 252

تعرف الأمور بنظائرها: 254

الإستدلال بالحاضر على المستقبل: 255
طبخ الطلاء للمسلمين:.. 256
وأكثر من لطف الجند:.. 256
أمراء الخراج: أوامر وزواجر:.. 257
من المخاطب؟!:... 260
الحذر ضرورة:.. 261
ارحموا ترحموا:.. 261
أنصفوا من أنفسكم، وأصبروا لحوائجهم: 267
بيع الحاجات لأداء ماليات الدولة: 269
بين نهجين: 269
لا سلاح بيد الأعداء:.. 272
علي × وأمراء الأجناد: 273
من مواصفات الحاكم: 274
حقوق الحاكم.. وحقوق الرعية:.. 275
حق الراعي على رعيته:.. 280
تهديد علي × للناس: 281

الفصل الثامن: بنو تميم عند علي ×

ابن عباس يسيء معاملة بني تميم: 285

توضيحات: 287
البصرة مهبط إبليس: 288
لماذا يجب حفظ قلوب بني تميم؟!: 289
الرحم بين بني تميم، وبني هاشم: 290
فإنَّا شريكان في ذلك: 292
ضابطة لمعرفة الأخيار: 294
أصالة الحق في عمق التكوين:.. 295
فلتكن سريرتك فعلاً!!: 296
قدوم تميم إلى الكوفة: 298
ما تقول يا جارية؟!:... 301
ما تقول يا حارثة؟!:... 303
شعر معاوية بن صعصعة: 304

الفصل التاسع: استقدام علي × للبجلي والأشعث..

كتاب علي × إلى جرير البجلي:... 307
علي × في الشعر والنثر: 314
المهاجرون والأنصار في كلام علي ×:................................. 314
أقرأ كتابي على المسلمين: 317
الشورى في كلام جرير: 317

كتاب علي × إلى الأشعث: 319
الأشعث إلى معاوية أقرب: 326
لولا هنات كنَّ فيك!!:... 328
التقوى هي الشرط:.. 330
علي × للأشعث: إنما توقفي عليك!!:................................ 331
اقرأ كتابي على المسلمين: 332
بيعة المهاجرين والأنصار: 332
عملك ليس لك بطعمة:.. 333
طلحة والزبير لم يتوبا: 334
لعلّي لا أكون شر ولاتك:... 335
زياد بن مرحب: أمر عثمان مبهم: 336
لا إكراه في البيعة لعلي ×: 336
علي × الوارث: 337
صفات علي × مرة أخرى:... 337
أمر عثمان لا يعنيه:... 338

الفهارس:

1 ـ الفهرس الإجمالي.. 343
2 ـ الفهرس التفصيلي 345